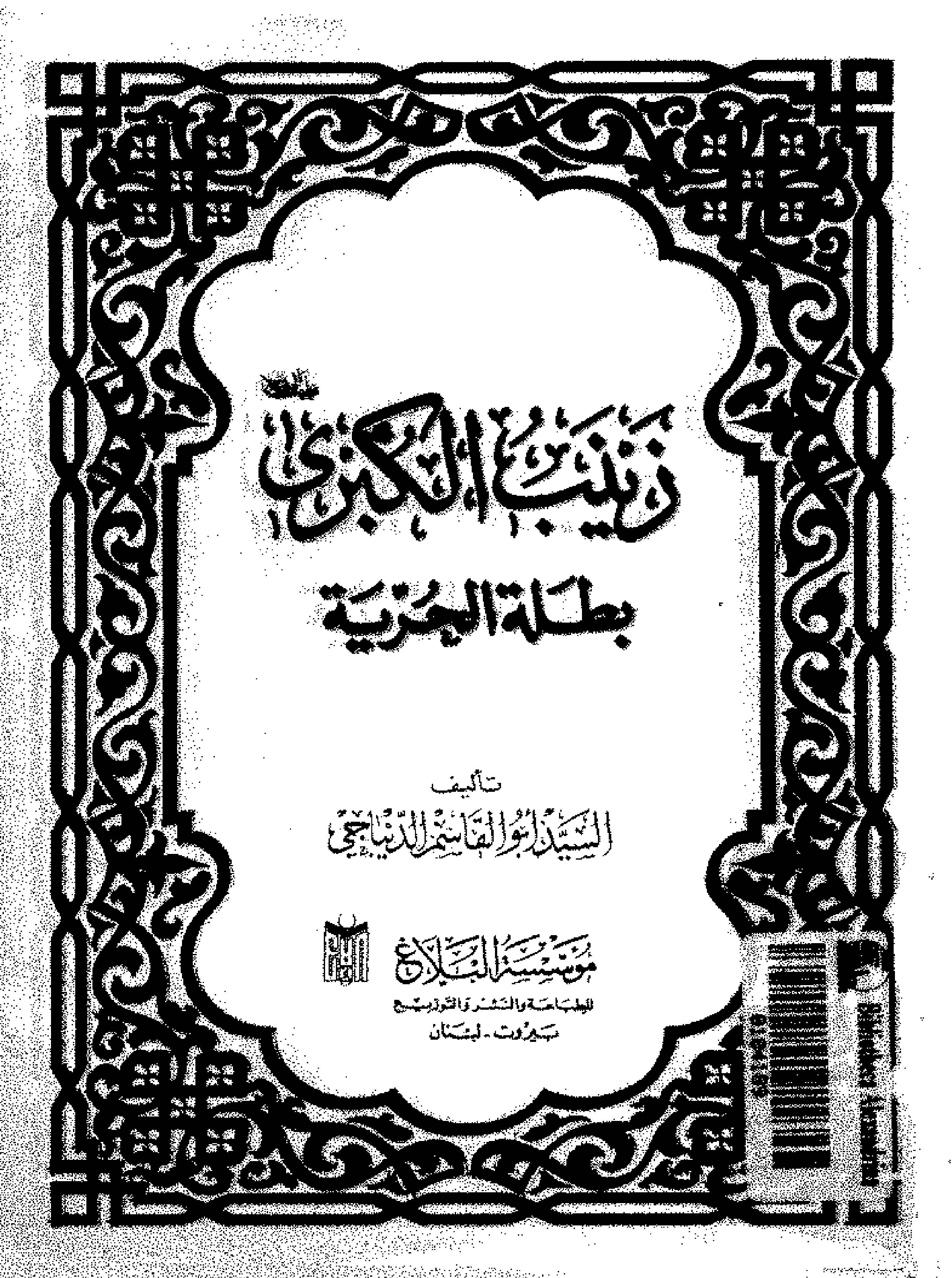


زينب الكبرى عليها السلام

بطلة الحرية

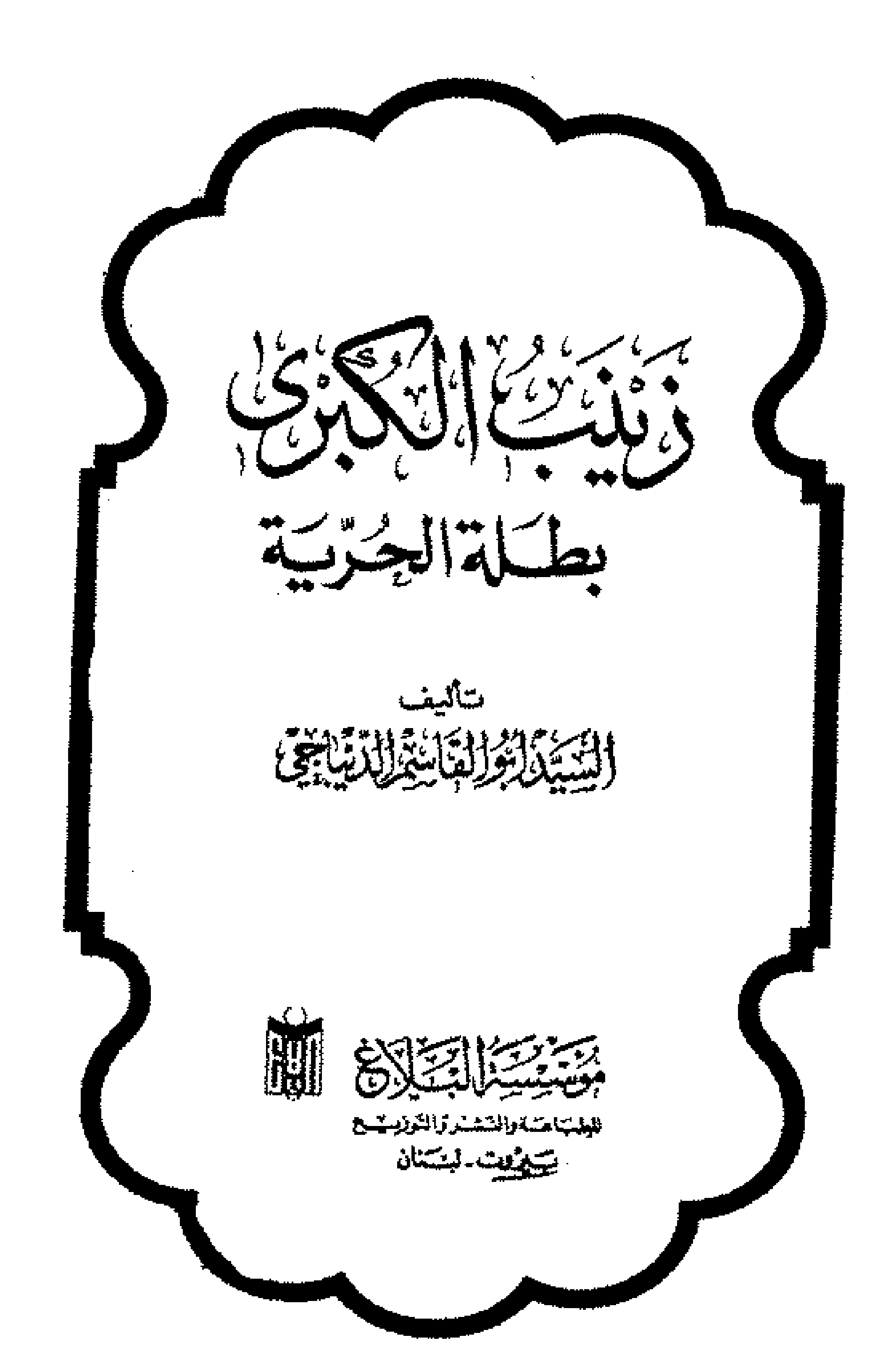
تأليف

السيد أبو القاسم الديباجي

مؤسسة البلاغ

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان



زينب الكبرى

بطلة الحرية

تأليف

السيد أبو القاسم الديباجي

مؤسسة البلاغ
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان



الطبعة الثانية

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

مؤسسة البلاغ

لبنان - بيروت - بئر العبد - سنتر الإنماء - ط ٣ - حريك : ١١/٧٩٥٢

هاتف: ٨٢٥٨٥٢ - ٨٢٧٨٢٦ - فاكس: ٦٠٢٣٧٩ - سجل تجاري: ٣٦٢٢١

المستودع - طريق صيدا القديمة - جانب فرن الأمراء - هاتف: ٤٦٣٢٥٨

عَنْ إِمَامِ الْعَارِفِينَ

أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع)

الْعِلْمُ نَهْرٌ

وَالْحِكْمَةُ بَحْرٌ

وَالْعُلَمَاءُ حَوْلَ النَّهْرِ يَطُوفُونَ

وَالْحُكَمَاءُ وَسَطَ الْبَحْرِ يَغُوصُونَ

وَالْعَارِفُونَ فِي سُفُنِ النَّجَاةِ يَسِيرُونَ

في المجلد الثاني لشرح أصول الكافي للملا محمد صالح المازندراني صفحة ٧٠ باب فضل العلم

مقدمة

ꕤ

زينب (ع) أم عاشوراء

من العظماء في تاريخ البشرية من ينال وسام فخر الإنسانية ويتربع على رفيع قمة العظمة والجلال ويخرج عن نطاق زمانه وقد تشعشعت سيرته على جبين التاريخ فهم لم يُخلَقوا لأنفسهم بل خُلقوا لغيرهم وكانوا كالشمس الطالعة على البشرية قاطبة فكانوا قدوة عظيمة لحاملي راية الحق ونماذج طيبة للإنسانية جمعاء .

من هؤلاء العظماء تلك الزهرة المحمدية والدرة العلوية والوديعة الفاطمية حاملة الراية الحسينية فاطمة الثانية زينب الكبرى (ع) ابنة فاطمة الزهراء (ع) وعلي المرتضى (ع) التى انعقدت حياتها مع الفاجعة المؤلمة والخالدة في كربلاء فكانت الناطقة بأهداف ثورة عاشوراء والحاملة على عاتقها جزءاً غير يسير من مسئولية ثورة الإمام الحسين (ع) العظيمة ، فأكملت الثورة حتى أثمرت .

بحثت في وصفها وكمالها فسألت ربي عز وجل قال هي زين أب ، سألت رسول الله (ص) قال هي خديجة الكبرى ، سألت علي (ع) قال هي ثمرة فؤادي ، سألت الحسين (ع) قال

أخص نوابي ، سألت السجاد (ع) قال عالمة غير معلمة ، سألت الجبال العالية قالت هي أكثر رسوخا ، سألت أمواج المحيط قالت هي أكثر ثورة ، سألت الشمس قالت هي أكثر ضياء ، سألت القمر قال هي أكثر نورا ، سألت كربلاء قالت صابرة محتسبة ، سألت الكوفة قالت خطيبة قاطعة ، سألت الشام قال فاضحة الظالمين ومدافعة لحرم الحق المبين وحاملة لثورة الإمام الحسين (ع) ، سألت المدينة قالت فاطمة الثانية وبالحق على الظلم منادية وعن حرم الولاية محامية !!

وأقول أن زينب الكبرى (ع) هي أم عاشوراء !!

وكيف لا أقول أنها أم عاشوراء !! فعاشوراء وثورة الإمام الحسين (ع) كانت لوالدين كريمين ، الإمام الحسين (ع) الذي ولدت له تلك المولودة الخالدة بأوسع معاني الجمال والجلال والعظمة ، الحسين (ع) الذي سعى من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى كربلاء في خلق هذه المولودة المباركة التي ولدت بين الأول من محرم عام واحد وستين للهجرة إلى يوم عاشوراء من تلك السنة على أرض كربلاء ، هذه المولودة كانت بحاجة إلى أم واعية ترعاها وتضحي في سبيلها ، تلك الأم كانت زينب الكبرى (ع) .

مع غروب يوم عاشوراء وولادة تلك الثورة العظيمة حان دور الأم وهي زينب (ع) ، فكانت يدها في استقبال مولودها وما أن ضمتها إلى صدرها حينما ضمت صدر الحسين (ع) إلى صدرها وقالت كلمتها الخالدة : " اللهم تَقَبَّلْ مِنَّا هَذا القُرْبانْ "[1] حتى نهضت واستقامت وجلدت أمام عواصف الأحداث فكانت تحمل مولودتها وتهاجر بها من كربلاء إلى الكوفة والشام والمدينة ، وكانت معها أينما ذهبت ، وسعت سعيها وجاهدت جهادها في تربية وتنشئة تلك المولودة .

---

[1] – الكبريت الأحمر (للتستري) : ج ٣ ص ١٣ عن الطراز المُذَهَّب

على هذا ، فثورة عاشوراء التي لم يكن لها مثيل في التاريخ هي مولـودة للحسين (ع) وزينب (ع) ، وظهرت في عالم الوجود تشرق بنورها وتزهـو بعظمتهـا ، وتربـت وترعرعـت بالمساعي الهادفة لزينب (ع) ، بدأت من المدينة المنورة ومـن محضـر رسـول الله (ص) وانتهت إليها ، ومن ذلك المكان كتب لها الخلود والبقاء إلى فناء العالم .

نعم ، " زينب (ع) هي أم عاشوراء " !!

السيد أبو القاسم الديباجي

١٤ رجب المرجب ١٤١٧ هـ

محتوى الكتاب

مقام السيدة زينب (ع) عقيلة بني هاشم أرفع من أن يسعه هذا الكتاب وهذه الصفحات ، ولكن لا بأس إن وقف عطشان على شاطئ هذا النهر العظيم وغرف غَرفة وشرب شربة ، فمن وثق بماء لم يظمأ ، وإذا ذكرنا شيئا فذلك قبس من أنوار سيرتها على أمل أن نعرض الوجه المشرق للبتول الثانية والمثل الأعلى في الإنسانية .

صنف هذا الكتاب على أربعة فصول :

الفصل الأول : زينب (ع) من المهد إلى أحداث كربلاء ولمحات من فضائلها

الفصل الثاني : زينب (ع) وأحداث كربلاء

الفصل الثالث : زينب (ع) بعد عاشوراء إلى وفاتها

الفصل الرابع : مواقف زينب (ع) وبعض كراماتها

الفصل الأول

زينب عليها السلام

من المهد إلى أحداث كربلاء

ولمحات من فضائلها

والدا زينب (ع)

والدها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، ابن عم رسول الله (ص) ووصيه وأول من أسلم من الرجال وجاهد في سبيل الله ، أول أئمة الشيعة والشخصية الثانية في الإسلام والتاريخ وعالم البشرية بعد رسول الله (ص) ، ذلك الذي قال فيه الإمام الصادق (ع) :
" لَوْلا أنَّ الله تَبارَكَ وَتَعالَى خَلَقَ أميرَ المؤمِنينَ لِفاطِمَةَ (ع) ما كانَ لَها كُفْوٌ عَلَى ظَهْرِ الأرْضِ ، مِنْ آدَمَ وَمَنْ دونه " [1] .

ولد أمير المؤمنين (ع) قبل البعثة بعشر سنوات في مكة المكرمة داخل الكعبة المشرفة ، وفي سن الثالثة والستين وفي التاسع عشر من شهر رمضان عام أربعين للهجرة وفي محراب مسجد الكوفة ضرب بسيف الغدر وفي ليلة الواحد والعشرين من رمضان انتقلت روحه الطاهرة إلى الرفيق الأعلى .

أولاد علي (ع) من فاطمة الزهراء (ع) خمسة وهم على الترتيب :
الحسن ، الحسين ، زينب ، أم كلثوم ، ومحسن (عليهم السلام) [2] .

والدتها الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (ع) ابنة رسول الله (ص) والملقبة بسيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين .

روى الإمام الصادق (ع) أن الله سبحانه وتعالى خاطب نبيه وقال :
" لَوْلاكَ لَما خَلَقْتُ الأفْلاكَ ، وَلَوْلا عَلِيٌّ لَما خَلَقْتُكَ ، وَلَوْلا فاطِمَةَ لَما خَلَقْتُكُما " [3] .

فالزهراء (ع) محور وعصارة ونواة عالم الوجود .

---

[1] – أصول الكافي : ج ١ ص ٤٦١

[2] – ترجمة إرشاد المفيد : ج ١ ص ٣٥٥

[3] – مستدرك سفينة البحار : ج ٣ ص ٣٣٥ و ج ٨ ص ٢٣٩

ولادتها الميمونة

هناك روايات مختلفة في تاريخ ولادة السيدة زينب (ع) ، والمشهور أنها ولدت في الخامس من جمادي الأولى عام ستة من الهجرة في المدينة المنورة [1] ، فكانت ثالث إخوتها بعد الحسن (ع) والحسين (ع) وكانت تصغر الحسين (ع) بسنتين ، وحين وفاة رسول الله (ص) كان عمرها خمس سنوات [2] .

وبولادة هذهٰ الزهرة من آل طه قرت عينا والديها وأفاضت على بيت النبوة والولاية والعصمة جمالا ورونقا وبهاء .

تسميتها من قِبَل الله عز وجل

كانت من عادة أهل بيت النبوة أن يوكلوا تسمية المولود إلى رسول الله (ص) ولما ولدت السيدة زينب (ع) كان رسول الله (ص) في السفر فجاءت فاطمة الزهراء (ع) إلى علي (ع) وقالت له : ماذا نسميها ؟! فقال علي (ع) : ما كنت لأسبق باسمها رسول الله (ص) فلنصبر حتى يرجع رسول الله (ص) من سفره .

صبر علي (ع) وفاطمة (ع) ، وبعد ثلاثة أيام رجع رسول الله (ص) من سفره ، وكعادته في كل عودة لا يهدأ من وعثاء السفر حتى تكتحل عيناه برؤية ابنته فاطمة الزهراء (ع) ، ويدخل رسول الله (ص) إلى ذلك البيت العظيم ، وقد ذكر صاحب كتاب (ناسخ التواريخ) عن كتاب (رياض المصائب) أن زينب بنت علي (ع) لما ولدت أخبر النبي بذلك فأتى

---

[1] - يروي البعض أنها ولدت في شهر شعبان عام ٦ هـ أو في شهر رمضان عام ٦ هـ ، ويروي البعض الآخر أنها ولدت في محرم عام ٥ هـ أو آخر ربيع الثاني عام ٥ هـ أو ٦ هـ أو ٧ هـ (رياحين الشريعة : ج ٣ ص ٣٣)

[2] - مستدرك سفينة البحار : ج ٤ ص ٣٠٢

وقال لابنته فاطمة (ع) : يا بنية ، آتيني بابنتك المولودة ، فلما أحضرتها أخذها وضمها إلى صدره ووضع خده المنيف على خدها وبكى بكاء شديداً عالياً حتى سالت دموعه على خديه فقالت الزهراء (ع) : لماذا بكاؤك يا رسول الله ، لا أبكى الله عينيك يا أبتاه ؟!

فقال (ص) : يا بنتاه يا فاطمة ، اعلمي أن هذه البنت ستبتلى ببلايا وترِد عليها مصائب شتى ورزايا !!

ثم يقول أمير المؤمنين (ع) : يا رسول الله ، سمِّها !!

فيجيب (ص) : أولاد فاطمة أولادي لكن أنتظر نزول الوحي في تسميتها .

فنزل جبريل (ع) وقال : يا رسول الله ، إن الله تعالى سلم عليك وقال لك سمِّ مولودة فاطمة زينب ، فإنّا كتبنا اسمها في اللوح المحفوظ [1] .

فضمها الرسول (ص) إلى صدره وأخذ يقبلها ثم قال : أوصيكم بها ، فهي شبيهة خديجة الكبرى (ع) [2] .

وهناك روايات أن بعد ولادة زينب (ع) ذهب سلمان الفارسي (رض) إلى مسجد رسول الله (ص) فأخبر رسول الله (ص) بولادتها وهنأه فبكى رسول الله (ص) وقال : يا سلمان أخبرني جبريل عن الله عز وجل أن مصائب هذه المولودة لا حد لها ، وستبتلي بمصائب كربلاء [3] .

ووردت في بعض الروايات أن أم كلثوم كنية لزينب (ع) أوقعها عليها رسول الله (ص) وذلك لشبهها بابنته أم كلثوم [4] .

---

[1] ـ تراجم أعلام النساء الأعلمي الحائري : ج ٢ ص ١١٦

[2] ـ الطراز المُذهّب : ج ١ ص ٤٤

[3] ـ الخصائص الزينبية (تأليف المرحوم آية ا... السيد نور ا... الجزائري المتوفى عام ١٣٨٤) : ص ١٦٦

[4] ـ مقتل الحسين (للمقرم) : ص ٣٩٢

تحليل

من الروايات التي ذكرناها آنفا نشير إلى بعض أمور منها :

١- من الأخلاقيات المثالية أن تكون تسمية المولود على من يتصف بالكمال والطهارة حتى يختار له اسما حسنا ، وكما قال أمير المؤمنين (ع) : " **وَحَقُّ الوَلَدِ عَلَى الوالِدِ أنْ يُحَسِّنَ اسْمَهُ** "[1] .

٢- كان مقام زينب (ع) من العلو والرفعة بحيث أن رسول الله (ص) نبئ بتسميتها من قبل الله عز وجل .

٣- ثبوت اسم زينب (ع) في اللوح المحفوظ (وهي من المقامات الملكوتية الرفيعة) ، وقال البعض كما أن اسم الحسن والحسين (عليهما السلام) زينة عرش الله سبحانه وتعالى ، فهكذا اسم زينب (ع) زينة اللوح المحفوظ .

٤- كلمة " زينب " مكونة من كلمتين " زين " و " أب " أي زينة أبيها ، وهذه التسمية لزينب (ع) إن دلت على شيء فإنما تدل على أن سيرتها سوف تكون فخرا لوالدها الإمام علي (ع) وأهل بيته ، بعبارة أخرى حينما لقب رسول الله (ص) ابنته الزهراء (ع) بـ " أم أبيها " فذلك لأنها كانت أم الإسلام ، وبجهادها وتضحياتها المريرة مع صغر سنها كانت سببا في علو شأن الإسلام وقوته واستمراره ، وهكذا ابنتها زينب (ع) التي محت وأزالت كل شائبة وغبار صنعته أيدي أعداء الله وأعداء رسوله ووليه فكانت بعلمها وعملها وسيرتها زينة وفخرا لأبيها .

ويرى بعض العلماء أن كل حرف من حروف اسم زينب (ع) له رمز ومعنى :

---

[1] - نهج البلاغة : الحكمة ٣٩٩ ، شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد) : ج ١٩ باب ٤٠٧ ص ٣٦٥

" ز " إشارة إلى أمها الزهراء (ع) ، " ي " إشارة إلى والدها الإمام علي (ع) ،" ن " إشارة إلى أخويها الحسن والحسين (عليهما السلام) ، و " ب " إشارة إلى كلمة النبي الأمي العربي جدها رسول الله (ص) [1] .

اللغوي المعروف الفيروزآبادي في كتاب (القاموس) يقول أن كلمة زينب تعني شجرة عظيمة جميلة ذات رائحة طيبة .

خلاصة الحديث أن تسمية زينب (ع) من قِبَل الله تبارك وتعالى وثبوت اسمها على اللوح المحفوظ يكشف عن عظمة هذا الاسم المبارك الذي كان في مصاف أسماء أخويها الحسن والحسين (عليهما السلام) فما يكون لأحد أن يقاس بهم ، ولقول أن زينب (ع) كانت مجمع الكمالات للخمسة أصحاب الكساء فكانت زهرة في حياتهم وثمرة في روضتهم .

وبهذا نصل إلى هذه النتيجة بأن هذه المولودة ظاهرا وباطنا حوت على جميع صفات الكمال والجمال ، وباسمها الملكوتي حازت على مقام معنوي عال .

بعض الأكابر في وصفها قالوا أنها امرأة طويلة القامة حسنة الهيئة عالية المقام ، كانت في وقارها وعظمة شخصيتها كجدتها خديجة (ع) وفي حيائها وعفتها كأمها الزهراء (ع) وفي بلاغتها وفصاحتها كأبيها علي (ع) وفي حلمها وصبرها كأخيها الحسن (ع) وفي شجاعتها ورباطة جأشها كأخيها الحسين (ع) .

أوجه التشابه بين زينب (ع) وخديجة (ع)

حين ولادة زينب (ع) أوصى رسول الله (ص) بها وشبهها بخديجة الكبرى (ع) ، هذا التشبيه لا يخلو من المعاني السامية ، فزينب (ع) كانت تحمل أوصاف جدتها الكبرى خديجة (ع) ،

---

[1] – الخصائص الزينبية (العلامة الجزائري) : ص ١٦٠

ولمّا كان لوجود خديجة (ع) أثر ظاهر وملحوظ في نشر الإسلام ، كذلك كانت زينب (ع) في حمل راية الإسلام ونشرها .

خديجة (ع) هي أول من أسلمت من النساء ونطقت بالوحدانية لله سبحانه وتعالى وكانت تتصف بالشجاعة والتضحية وكان رسول الله (ص) يذكرها على الدوام ويبين مكانتها ، ووردت في شأنها روايات كثيرة منها أنها إحدى أفضل سيدات أهل الجنة اللاتي اصطفاهن الله سبحانه وتعالى على نساء العالمين وهن :
آسيا بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة الكبرى وفاطمة الزهراء عليهن سلام الله [1] .

لخديجة الكبرى (ع) مقام عال عند الله سبحانه وتعالى وفي الملأ الأعلى ، فقد وردت رواية بأن رسول الله (ص) في ليلة المعراج وحينما رجع إلى عالم الأرض قال لجبريل (ع) : " ما حاجتك يا جبريل " ؟! فقال : " أبلغ سلام الله وسلامي إلى خديجة " ، ولما أبلغ رسول الله (ص) خديجة هذا البلاغ قالت خديجة (ع) : " إن الله هو السلام ومنه السلام وإليه السلام وعلى جبريل السلام " [2] .

ويكفي خديجة (ع) عظمة أن تضحياتها في سبيل الإسلام كانت في الميزان تعادل سيف أمير المؤمنين علي (ع) ، تلك المرأة التي كانت من أجمل نساء قريش وأكثرهم علما والتي كانت تلقب بـ "ملكة العرب " و " سيدة البطحاء " .

كما كانت خديجة الكبرى (ع) تؤنس رسول الله (ص) في وحشته وتواسيه وتخفف من آلامه كذلك كانت زينب الكبرى (ع) مع أخيها الحسين (ع) .

---

[1] ـ مجمع البيان : ج ١٠ ص ٣٢٠ ، كشف الغمة : ج ٢ ص ١٣٣

[2] ـ بحار الأنوار : ج ١٦ ص ٧ ، كشف الغمة : ج ٢ ص ١٣٣

كما ضحّت خديجة الكبرى (ع) بكل أموالها في سبيل رفعة شأن الإسلام في مرافقتها لزوجها رسول الله (ص) ، كذلك زينب (ع) التي ضحّت في سبيل ثورة عاشوراء بكل ما تملك من رفاهية العيش مع زوجها ورافقت أخاها الحسين (ع) إلى كربلاء .

لما بعث رسول الله (ص) دعا الناس إلى الإسلام ، فهاجمه المشركون وشجوا جبينه وأدموا ساقيه ، اختفى رسول الله (ص) عن الأنظار واتكأ على موضع من جبل حراء أو جبل أبي قبيس يقال له المتكأ ، فخرج علي (ع) وخديجة في طلبه ، فجعلت تجول في وادي مكة تحمل له الماء والخبز وهي تقول : من أحس لي النبي المصطفى ؟! من أحس لي الربيع المرتضى ؟!! [1]

وزينب الكبرى (ع) حينما وقع الحسين (ع) على الأرض وهو يجود بنفسه جالت في وادي كربلاء ولكن لم يكن هناك خبز ولا ماء ، فوضعت يديها على رأسها ونادت بأعلى صوتها فكسر دوي صوتها حاجز المكان والزمان وهي تقول : أما فيكم مسلم !! ولما وقع بصرها على عمر بن سعد صرخت في وجهه وقالت : أيقتل الحسين وأنت تنظر إليه !! [2]

وخلاصة الحديث أن زينب الكبرى (ع) كانت شبيهة جدتها خديجة الكبرى (ع) في جميع معاني الجمال الظاهرية والعظمة المعنوية .

بكاء رسول الله (ص) عليها وثواب البكاء عليها

يروى أن بعد ولادة السيدة زينب (ع) جاء الإمام الحسين (ع) وكان عمره الشريف ثلاث سنوات إلى جده رسول الله (ص) وقال : يا جداه ، الله تبارك وتعالى رزقني أختا ، وما أن سمع رسول الله (ص) هذا الحديث من الحسين (ع) تألم كثيرا وأجهش بالبكاء .

---

[1] ـ معالي السبطين : ج ٢ ص ٣٩

[2] ـ الخصائص الزينبية (العلامة الجزائري) : ص ١٦٤

فسأله الحسين (ع) : لم تبكي يا جداه ؟!

فقال له رسول الله (ص) : يا نور عيني ، عما قريب ستعرف سر هذا البكاء !!

إلى أن أتى جبريل (ع) يوما إلى رسول الله (ص) وهو يبكي فسأله رسول الله (ص) : لم تبكي يا جبريل ؟!

فقال جبريل (ع) : ابنتك – زينب (ع) – ستبتلى في حياتها بمصائب كثيرة أولها مصيبة فراقك ثم مصيبة فراق والدتها الزهراء (ع) ثم مصيبة قتل أبيها أمير المؤمنين (ع) ثم مصيبة أخيها الإمام الحسن (ع) ثم أعظمها وأشدها مصائب كربلاء وفيها يحدودب ظهرها ويشيب رأسها !!

بكى رسول الله (ص) ثم وضع وجهه الكريم والغارق بالدموع على وجه زينب (ع) وبكى بكاء عاليا .

سألته الزهراء (ع) عن سبب بكائه فشرح لها رسول الله (ص) بعض المصائب التي سوف ترد على ابنتها زينب (ع) ، فقالت الزهراء (ع) : وما أجر من بكى على ابنتي زينب ؟!

فقال رسول الله (ص) : أجره كأجر من بكى على مصائب ولداي الحسن والحسين [1] .

وهذه ميزة كتبت للسيدة زينب (ع) بأن يكون أجر البكاء على مصائبها كأجر البكاء على أخيها الحسين (ع) مع العلم ما للبكاء على الحسين (ع) من الأجر العظيم والثواب الجزيل .

قال الإمام السجاد (ع) : " أيُّما مُؤمِنٍ دَرَقَتْ عَيْناهُ لِقَتْلِ الحُسَينِ (ع) حَتَّى تَسيلَ عَلَى خَدِّهِ بَوَّأَهُ الله غُرَفاً فِي الجَنَّةِ يَسْكُنُها أحْقاباً " [2] .

وقال الإمام الصادق (ع) : " مَنْ تَبَاكَى فَلَهُ الجَنَّةُ " [3]

---

[1] – الخصائص الزينبية (العلامة آية ا... الجزائري) : ص ١٥٥ ، ناسخ التواريخ : ص ٤٢

[2] – اللهوف (لابن طاووس) : ص ٩

[3] – أمالي الصدوق : مجلس ٢٩ ، بحار الأنوار : ج ٤٤ ص ٢٨٨ رواية ٢٧ باب ٣٤

زينب (ع) ابنة رسول الله (ص) في صلب علي (ع)

من السمات البارزة والمميزة لزينب (ع) أنها ابنة رسول الله (ص) مباشرة كأخويها الحسن والحسين (عليهما السلام) ، أي يمكن القول أن السيدة زينب (ع) ابنة رسول الله (ص) لا حفيدته ، وكما يقول رسول الله (ص) : " لِكُلِّ بَنِي أبٍ عُصْبَةٌ يَنْتَمُونَ إِلَيهِم ، إلاَّ وُلْدِ فاطِمَةَ ، فَأَنَا وَلِيُّهُمْ وَعُصْبَتُهُمْ ، وَهُمْ خُلِقوا مِنْ طينَتي ، وَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ بِفَضْلِهِمْ ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ الله ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ الله "[1] .

ثلاثية شخصية زينب (ع)

يرى علماء النفس أن هنالك ثلاثة أبعاد ذات أثر مباشر في أصل تكوين شخصية الإنسان :

١ - الوراثة ٢ - التربية ٣ - البيئة

وفي شخصية السيدة زينب (ع) اكتملت هذه الأبعاد الثلاثة .

الناحية الوراثية

نشأت زينب (ع) في دار الوحي وتربت في بيت التنزيل ونمت في حجر العصمة والطهارة ، فجدها رسول الله (ص) خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ، وحسب ما ورد في الرواية التي ذكرناها آنفا أن زينب (ع) ابنة رسول الله (ص) ومن صلبه وخلقت من طينته ، ووالدتها ابنة

---

[1] - لهذا الحديث مضامين مختلفة في كتب الشيعة والسنة ، وللشرح المفصل يمكن مراجعة كتاب فضائل الخمسة في الصحاح الستة للفيروزآبادي : ج ٣ ص ١٥٠

رسول الله (ص) ووالدها أمير المؤمنين علي (ع) وصي وخليفة رسول الله (ص) بلا جدال ، فورثت من هذه الأنوار اللامعة فيوضات الكمال .

وفي الحقيقة فإن وجود زينب (ع) هي عصارة الشخصيات الفذة والحالات المعنوية والملكوتية لرسول الله (ص) وفاطمة الزهراء (ع) وأمير المؤمنين علي (ع) ، فكانت مجمعا لتجليات النبوة والعصمة والولاية .

وعلى هذا الأساس اكتملت في شخصيتها المعاني الإنسانية الرفيعة كالزهد والإيثار والصبر والشجاعة والشكر على النعمة والبلاء وغيرها من الكمالات .

ويمكن القول أن عبر تاريخ البشرية لم نجد شخصا يحمل هذه الصفات العالية في الوراثة مثل الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم (عليهم السلام) .

ومن الجدير بالذكر أن في مسألة الوراثة تطرح هذه الرواية بأن فاطمة الزهراء (ع) كانت أشبه الناس بأبيها رسول الله (ص) قولا وفعلا .

تقول عائشة (إحدى زوجات رسول الله (ص)) : " أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِشْيَةُ أبيها رَسولِ الله "[1] .

وقيل في شأن السيدة زينب (ع) أن : " مَنْطِقُها كَمَنْطِقِ أبيها أميرِ المُؤمنين "[2] .

الناحية التربوية

كانت السيدة زينب (ع) منذ ولادتها وحتى سن السادسة من عمرها الشريف تحت الرعاية المباركة لجدها رسول الله (ص) وأمها الزهراء (ع) وأبيها علي (ع) فرضعت من ثدي العصمة

---

[1] – بحار النوار : ج ٤٣ ص ٥١ رواية ٤٨ باب ٣

[2] – الخصائص الزينبية (العلامة الجزائري) : ص ٢١٠

والطهارة والوحي ، وبعد وفاة جدها وأمها نمت وترعرعت ونشأت في مدرسة أبيها إمام المتقين واكتسبت منه أعلى مقامات العلوم الإسلامية والإنسانية والمعنوية .

يقول رسول الله (ص) : " ما نَحَلَ والِدٌ وَلَداً نَحْلاً أفْضَلُ مِنْ أدَبٍ حَسَنٍ "[1] .

قيل لوالدة المرحوم آية الله العظمى الشيخ مرتضى الأنصاري (رض) – صاحب كتاب (المكاسب والرسائل) ذات يوم : هنيئا لك بهذا الولد ، ولكن كيف استطعت أن تنشئي مثل هذا الابن النابغة والزاهد والعارف !! فأجابت الوالدة قائلة : لم أكن أرضع ولدي إلا وأنا على وضوء ، و مع تلك المراقبة الشديدة لا عجب أن يصل ولدي إلى هذه المرتبة والمقامات !! [2]

وعلى هذا فمن أساسيات التربية السليمة هي مراقبة الوالدين للأبناء ، ومن مثل فاطمة الزهراء(ع) وأمير المؤمنين وإمام المتقين علي (ع) في تربية أولادهما اللذان كان لهما الدور الأساسي في تربية وتنمية هذه الشخصيات العظيمة !!

وفي رواية عن يحيى المازني يقول فيها : كنت في جوار أمير المؤمنين (ع) في المدينة مدة مديدة وبالقرب من البيت الذي كانت تسكنه زينب ابنته فلا والله ما رأيت لها شخصا ولا سمعت لها صوتا وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدها رسول الله (ص) تخرج ليلا والحسن عن يمينها والحسين عن شمالها وأمير المؤنين أمامها فإذا قربت من القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين (ع) فأخمد ضوء القناديل ، فسأله الحسن مرة عن ذلك فقال : أخشى أن يرى شخصها أحد " !! [3]

---

[1] – مستدرك الوسائل : ج ١٥ ص ١٦٤ ، نحل : أهدى

[2] – سيرة الشيخ الأنصاري : ص ٧٠

[3] – زينب الكبرى (العلامة المحقق الشيخ جعفر النقدي) : ص ٢٢

نعم ، فصفاء ذات زينب (ع) وخلوص جوهرها وكفاءتها من جانب ووراثتها كمال صفات جدها وحسن تربيتها في ظل والد كوالدها أمير المؤمنين (ع) ووالدة كفاطمة الزهراء (ع) وإخوة كأخيها الحسن (ع) والحسين (ع) من جانب آخر كوّن لها شخصية فذة فكانت الشخصية الإسلامية النسائية الثالثة بعد جدتها خديجة الكبرى وأمها فاطمة الزهراء (ع) .

الناحية البيئية

وهو البعد الثالث في تكوين شخصية زينب الكبرى (ع) ، فزينب (ع) نشأت وتربت في بيئة اكتملت فيها الفضائل وجلّت فيها القيم المعنوية العالية ، بيئة أحاطتها عبقات أنفاس رسول الله (ص) الطيبة ، وعلتها إشراقات فاطمة الزهراء (ع) المتلألئة ، واحتوتها أنوار أمير المؤمنين (ع) الجلية ، وطوقتها هالات السبطين البهية .

النتيجة

لا شك أن الشخصية العظيمة للسيدة زينب (ع) كانت قائمة على ثلاثة أسس تربوية قوية ومتكاملة ، وأجلّ من ذلك أن يد التربية الملكوتية والإرادة الإلهية هي التي وضعتها في مهد التكامل وعلو الشأن وأفاضت عليها أنوار الإنسانية والقيم الإسلامية العالية فصنعت منها تلك الشخصية الفذة .

زينب (ع) في طفولتها

كانت حياة زينب (ع) منذ نعومة أظفارها كحياة والدتها الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (ع) مليئة بالأحداث البناءة والهادفة ؛ على سبيل المثال نعطف بأبصاركم إلى بعض من هذه الأحداث :

١ – الرؤيا التي اضطرب لها زينب (ع)

إن كان مولد السيدة زينب (ع) في السنة الخامسة من الهجرة ، فهذا يعني أنها قضت ما يقارب خمس سنوات من عمرها مع جدها الأكرم رسول الله (ص) .

نقل في الطراز المذهب عن بحر المصائب عن بعض الكتب لما دنت الوفاة من النبي (ص) رأى كل من أمير المؤمنين (ع) والزهراء (ع) رؤيا تدل على وفاته (ص) فأخذا بالبكاء والنحيب ، فجاءت زينب (ع) إلى جدها رسول الله (ص) وقالت : ياجداه ، رأيت البارحة رؤيا أنها انبعثت ريح عاصفة سوّدت الدنيا وما فيها وأظلمتها وحركتني من جانب إلى جانب فرأيت شجرة عظيمة فتعلقت بها من شدة الريح فإذا بالريح قلعتها وألقتها على الأرض ثم تعلقت على غصن قوي من أغصان تلك الشجرة فقطعتها أيضا فتعلقت بفرع آخر فكسرته أيضا فتعلقت على أحد الفرعين من فروعها فكسرته أيضا فاستيقظت من نومي !!
بكى رسول الله (ص) وقال : الشجرة جدك والفرع الأول أمك فاطمة والفرع الثاني أبوك علي والفرعان الآخران هما أخواك الحسنان ، تسود الدنيا لفقدهم وتلبسين لباس الحداد في رزيتهم [١] .

قيل أنها كانت تتلو شيئا من القرآن بمسمع من أبيها ، فبدا لها أن تسأله عن تفسير بعض الآيات ففعل ، ثم استطرد متأثرا بذكائها اللامع يلمح إلى ما ينتظرها في مستقبل أيامها من دور ذي خطر ، ولشدة ما كانت دهشته حين قالت له زينب (ع) في جد رصين : " أعرف ذلك ، أخبرتني به أمي ، كيما تهيئني لغدي " [٢] ، ولم يجد الأب ما يقول ، فأطرق صامتا وقلبه يخفق رحمة وحنانا .

---

[١] – زينب الكبرى (العلامة الشيخ جعفر النقدي) : ص ١٩

[٢] – بطلة كربلاء (لبنت الشاطئ) : ص ٢٥

على هذا الأساس ، كانت زينب (ع) على صغر سنها تعلم ما ستواجهه في حياتها من مصائب وشدائد فتسلحت بالإيمان والرضا بقضاء الله المحتوم وأعدت لذلك كامل عدتها من صبر وشجاعة وشهامة .

٢- كلمة زينب (ع) في حزنها على أمها الزهراء (ع)

كان لارتحال الرسول الأعظم وانتقاله إلى الرفيق الأعلى الأثر البالغ في نفس زينب (ع) ، فكانت ترى بأم عينيها ما يجرى على والدتها في فراق جدها رسول الله (ص) من مصائب ومحن وما أصابها من الحزن الشديد ، ومع ذلك فوجود والدتها بجنبها كان يسكن من روعها وحزنها ، ولكن لم يمهلها الدهر فأبلاها بمصيبة عظيمة أخرى حينما رأت أبيها أمير المؤمنين (ع) وهو يكفن جسد أمها الطاهر ليلا وهو ينادي : يا حسن ، يا حسين ، يا زينب ، يا أم كلثوم ، تعالو وتزودوا من أمكم !!
أسرعت زينب (ع) إلى والدها وفي هذه اللحظة تذكرت جدها رسول الله (ص) فنادته بصوت حزين وعين باكية وهي تقول : " يا رَسولَ الله ، الآنَ حَقاً فَقَدْناكَ " !![1]

٣- لسان الموحد لا ينطق باثنين

كانت زينب (ع) في طفولتها جالسة في حجر أبيها أمير المؤمنين (ع) ، وهو (ع) يلاطفها بالكلام ، فقال لها : بنية ، قولي واحد ، فقالت : واحد ، ثم قال لها : قولي اثنين ، فسكتت ،

---

[1] - رياحين الشريعة : ج ٣ ص ٥١ (نقلا عن عمدة الطالب للنسابة)

فقال لها أمير المؤمنين (ع) : تكلمي يا قرة عيني ، فقالت (ع) : يا أبتاه ، ما أطيق أن أقول اثنين بلسان أجريته بالواحد !! فضمها صلوات الله عليه وقبل بين عينيها [1] .

وكانت زينب (ع) تعني بذلك وحدانية الله (ع) ، فبالرغم من صغر سنها إلا أن كل ذرة من ذرات وجودها المقدس كان ينطق بالوحدانية لله (ع) .

٤- التوحيد الخالص

سألت زينب (ع) والدها أمير المؤمنين علي (ع) ذات يوم وقالت : أتحبنا يا أبتاه !! فقال أمير المؤمنين (ع) : وكيف لا أحبكم وأنتم ثمرة فؤادي !! فقالت زينب (ع) : الحب لله تعالى والشفقة لنا [2] .

هنا تشير زينب (ع) إلى أن الحب الحقيقي والخالص لله سبحانه وتعالى والانقطاع إليه ، ولكن حب الأولاد حب ظاهري بمعنى الرأفة واللطف في المعاملة معهم لا الحب الحقيقي المنحصر لذات الله الواحد الأحد (ع) ، وكان هذا هو مفهوم كلام أمير المؤمنين (ع) الذي كشفت عن مضمونه زينب (ع) .

وأمير المؤمنين (ع) بطرحه هذه الأسئلة على زينب الكبرى (ع) إنما يريد أن يبين مقام زينب (ع) الرفيع ومكانتها الجليلة .

وكيف لا تكون زينب (ع) في هذا المستوى الرفيع من العرفان والمعرفة واليقين بذات الله سبحانه وتعالى في هذه السن المبكرة من عمرها وقد أحيطت بأنوار الخمسة أصحاب الكساء (عليهم السلام) ، وفي كنف ورعاية جدها رسول الله الأعظم (ص) وأبيها أمير

---

[1] - زينب الكبرى (العلامة المحقق الشيخ جعفر النقدي) نقلا عن رياحين الشريعة : ج ٣ ص ٥٤ ، الخصائص الزينبية (العلامة الجزائري) : ص ٣٠٩

[2] - رياحين الشريعة : ج ٣ ص ٥٤

المؤمنين سيد الموحدين (ع) وفي حجر والدتها الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (ع) وفي جوار أخويها الإمامين السبطين الحسن (ع) والحسين (ع) !!

٥- التضحية والإيثار

دخل ضيف على أمير المؤمنين علي (ع) ، ولم يكن في البيت أي طعام ، فقال أمير المؤمنين (ع) لفاطمة الزهراء (ع) : ألا يوجد لدينا بعض الطعام ؟! فقالت (ع) : لا يوجد لدينا طعام إلا خبزا واحدا ادخرتها لابنتي زينب ، فسمعت زينب (ع) بذلك وكان عمرها لا يتجاوز الخمس سنوات فقالت لوالدتها : أماه ، أعط نصيبي من الخبز للضيف ، وسأصبر !! [1] على هذا ، آثرت هذه الطفلة بسخائها عذب كرم الضيافة على مرارة الجوع .

٦- علاقة زينب (ع) بأخيها الحسين (ع)

كانت علاقة زينب (ع) بأخيها الحسين (ع) علاقة شديدة لا يمكن وصفها ، فكانت ترافقه على الدوام وتمعن النظر في وجهه المبارك وتأنس بوجوده الشريف .

هذه المحبة الفائقة والألفة العجيبة بين زينب (ع) والحسين (ع) لفتت انتباه فاطمة الزهراء (ع) ولم تكن تعرف السر في ذلك بعد ، إلى أن بينت هذا الأمر لرسول الله (ص) وقالت له : أبي يا رسول الله ، أتعجب من أمر زينب فهي كثيرة الارتباط بأخيها الحسين (ع) ولا يقر لها قرار دون أن تنظر إليه أو تستشم رائحته !!
حينما سمع رسول الله (ص) بذلك تأثر كثيرا واغرورقت عيناه بالدموع وتنفس الصعداء وقال : يا نور عيني ، ابنتي هذه سترافق الحسين (ع) إلى كربلاء وستشاركه المصائب والبلايا [2] .

---

[1] – رياحين الشريعة : ج ٣ ص ٦٤

[2] – سرور المؤمنين (الشيخ محمد علي الكاظميني) نقلا عن رياحين الشريعة : ج ٣ ص ٤١

وعلى هذا الأساس حينما تم عقد قران زينب (ع) مع ابن عمها عبدالله بن جعفر ، اشترطت في وثيقة العقد أن لا يمانعها زوجها من لقائها بأخيها الحسين (ع) في أي وقت شاءت وأن ترافقه في سفره أينما ذهب .

علاقة زينب (ع) بأخيها الحسين (ع) فاقت العقول وحيرت الألباب ، العلامة الجزائري في كتابه (الخصائص الزينبية) يقول : أن الإمام الحسين (ع) حينما كان يغيب عن زينب (ع) وهي طفلة صغيرة في المهد كانت تبكي ولا يهدأ لها قرار إلا حينما يقع بصرها ثانية على نور وجه أخيها الحسين (ع) فكانت تسر برؤيته وتضحك له [1] .

وكانت هذه العلاقة تنمو بنموها فكانت تزوره في اليوم أكثر من مرة وكلما كانت تريد الصلاة كانت تبدأها بالنظر إلى نور وجه أخيها الحسين (ع) ثم تدخل في الصلاة .

وفي يوم عاشوراء أخذت بيدي ولديها محمد وعون وذهبت بهما إلى خيمة الحسين (ع) وقالت له : جدي إبراهيم (ع) قَبِل الأضحية من قِبَل الله (ع) ، فاقبل مني هذين الولدين ليفدوا بأنفسهما في سبيلك ، ولو لم يسقط الجهاد عن المرأة لفديتك بنفسي ألف مرة ، وطلبت في كل ساعة ألف شهادة في سبيلك !! [2]

تحليل

يمكن القول أن الحب الذي كانت تكنه زينب (ع) لأخيها الحسين (ع) لم يكن حبا عاطفيا بل كان ينبئ عن حب ملكوتي خالص نبع من النور المطلق عالم الغيب تبارك وتعالى ،

---

[1] ـ الخصائص الزينبية : ص ٣٣٦

[2] ـ ناسخ التواريخ : ص ٧٤

وكما قال رسـول الله (ص) : " إنَّ لِقَتْلِ الحُسَيْنِ حَرارَةً فِي قُلـوبِ المُؤْمنينَ لا تَبْرُدُ أَبَداً " !! [1]

فحب الحسين (ع) والإعجاب بسلوكه الفكري ومنهجه العملي لهو من خصائص العقيدة السليمة والإيمان الكامل ، وفطرة زينب (ع) من بدء حياتها كانت متصلة بإيمانها الكامل وحرارة حب الحسين (ع) في قلب زينب (ع) كانت نابعة من ذلك الإيمان فكانت هي الشعلة التي حملتها زينب (ع) يوم عاشوراء للوصول إلى أهدافها السامية .

٧- علاقة الإمام الحسين (ع) بأخته زينب (ع) واحترامه لها

وردت في الرسالة العملية (ذخيرة المعاد) لآية الله العظمى الشيخ زين العابدين المازندراني (من كبار المراجع في عصر الأستاذ الأعظم الشيخ مرتضى الأنصاري (رض)) هذه المسألة الشرعية :

إذا كان هناك رجل يقرأ القرآن ودخل عليه مؤمن ، فهل يجوز لقارئ القرآن أن يقطع قراءته ويقوم احتراما لهذا المؤمن ؟!

وفي جواب هذه المسألة الشرعية وردت هذه الرواية بأن الإمام الحسين (ع) كان مشغولا بقراءة القرآن فدخلت عليه السيدة زينب (ع) فقام لها وهو يحمل القرآن بيده [2] .

وفي كتاب (تحفة العالم) تأليف السيد جعفر آل بحر العلوم ورد أن الإمام الحسين (ع) وضع القرآن على الأرض وقام لأخته زينب (ع) إجلالا واحتراما لها .

---

[1] - مستدرك الوسائل : ج ١٠ ص ٣١٨

[2] - رياحين الشريعة : ج ٣ ص ٧٦

زواج السيدة زينب (ع)

زينب (ع) يخطبها الأشراف من العرب

روي عن الخزاز القمي أن رسول الله (ص) نظر إلى أولاد علي (ع) وأولاد جعفر الطيار أخي علي (ع) وقال : " بَناتُنا لِبَنينا وَبَنونا لِبَناتِنا "[1] .

وحينما بلغت السيدة زينب (ع) سن البلوغ والزواج تقدم لخطبتها الأشراف من العرب ورؤساء القبائل ، منهم الأشعث بن قيس الكندي - ملك كندة - وكان مصرا على ذلك ، وكان الإمام علي (ع) يعلم ما يكنّه هذا الرجل من النفاق وسوء الخلق ، فأجابه أمير المؤمنين (ع) بحدة ونزره وقال له : " يا ابْنَ الحائِكِ ، أغَرَّكَ بْنُ أبي قُحافَة[2] حين زوَّجك أم فروة !!

وغضب الأشعث ولمّح لعلي (ع) أنه لن ينسى رده وأنه الفاتك الشجاع فقال الإمام علي (ع) : " أبِالموتِ تُهدِّدُني ، فوالله ما أبالي أوَقَعْتُ على الموتِ أو وَقَعَ الموتُ عَلَيَّ !! "[3]

والجدير بالذكر أنه [illegible] وهي أم فروة وكانت زوجة الأشعث بن القيس وأنجبت منه ابنتها جعدة بنت الأشعث وولدها محمد بن الأشعث ، فكانت جعدة زوجة الإمام الحسن (ع) وسقته السم بمال بذله لها معاوية[4] ، ومحمد بن الأشعث أحد قتلة

---

[1] - بحار الأنوار : ج ٤٢ ص ٩٢

[2] - شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد) : ج ٤ باب ٥٦ ص ٧٤

[3] - العقد الفريد : ج ٣ ص ٣٠١ ، مقاتل الطالبيين : ص ٣٤

[4] - نهج البلاغة : ج ١٦ ص ١١

الإمام الحسين (ع) يوم الطف [1] والذي دعا عليه الإمام الحسين (ع) فسلط الله عليه عقربا لدغته فمات بادي العورة [2] .

زواج زينب (ع) من ابن عمها عبدالله بن جعفر

ومن الذين تقدموا لخطبة زينب (ع) ابن عمها عبدالله بن جعفر الطيار ، وشدة حيائه كانت مانعا ليبدي هذا الأمر ، فجعل رجلا يتوسط له في خطبة زينب (ع) من أبيها علي بن أبي طالب (ع) ، ذهب الرجل إلى أمير المؤمنين (ع) وأخذ يذكره بالحديث الذي ورد عن رسول الله (ص) الذي قال فيه : " بَناتُنـا لِبَنينـا وَبَنونا لِبَناتِنـا " وطلب منه أن يزوج ابن أخيه عبدالله من ابنته زينب (ع) .
وافق علي (ع) على ذلك ، وتم الزواج المقدس بينهما [3] .

روى البعض أن زواج عبدالله بن جعفر بزينب (ع) تم في السابعة عشر من الهجرة وكان عمرها آنذاك أحد عشر عاما [4] .

وروي أن أبناء الشهيد جعفر الطيار (ع) الثلاثة وهم عبدالله ومحمد وعون كانوا في كنف ورعاية عمهم أمير المؤمنين (ع) ، وزوّج عبدالله من ابنته زينب (ع) ، ومحمد من ابنته أم كلثوم (ع) ، وزوج عون من ابنة أخيه عقيل [5] ، ويجدر بالذكر أن محمد وعون – ابنا جعفر الطيار (ع) – كانا في قافلة الإمام الحسين (ع) يوم عاشوراء واستشهدا بين يديه [6] .

---

[1] – شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد) : ج ١ ص ٣٦٢

[2] – بحار الأنوار : ج ٤٤ ص ٣١٧

[3] – رياحين الشريعة : ج ٣ ص ٥٩

[4] – الخصائص الزينبية : ص ٢٦٠

[5] – تذكرة الشهداء (ملا حبيب ا... الكاشاني) : ص ١٤٦

[6] – تنقيح المقال (للمامقاني) : ج ٢ ص ٣٥٥

لمحات من شخصية عبدالله بن جعفر – زوج زينب (ع)

عبدالله هو ابن جعفر بن أبي طالب (ع) الملقب بجعفر الطيار والمكنى بأبي المساكين ، وكان جعفر ثالث الإخوة من ولد أبي طالب أكبرهم طالب وبعده عقيل وبعده جعفر وبعده علي ، وكل واحد منهم أكبر من الآخر بعشر سنين وأمهم فاطمة بنت أسد الهاشمية [1] ، وكان من السابقين ولقب بالرجل الثاني في الإسلام ، وابن أبي الحديد العالم المعروف في مذهب أهل السنة يرى أن جعفر الطيار هو الشخص الثالث في الإسلام بعد علي (ع) وخديجة الكبرى (ع) [2] .

وفي العام الخامس من البعثة بأمر من رسول الله (ص) هاجر جعفر بن أبي طالب مع جمع من المسلمين وكان عددهم ما يقارب خمسة وسبعين أو ثمانين رجلا واثنتي عشرة امرأة إلى الحبشة هربا من أذى المشركين ، فاستقروا فيها بكامل الحرية والأمان ولمدة خمس عشرة سنة وقاموا بنشر بذور الإسلام في قلوب الناس فأسلم الكثير ومنهم النجاشي ملك الحبشة وكثير من القساوسة والمسيحيين .

زوجة جعفر الطيار وهي أسماء بنت عميس كانت من النساء البارزات في الإسلام وأنجبت من جعفر ثلاث بنين : عبدالله ، محمد ، وعون [3] .

وفي العام السابع من الهجرة وكان فيه فتح خيبر قدم جعفر الطيار مع أصحابه من الحبشة إلى المدينة فالتزمه رسول الله (ص) وقبّل بين عينيه وقال : " **ما أَدْري بِأَيِّهِما أنا أَشَدُّ فَرَحاً بِفَتْحِ خَيْبَرٍ أمْ بِقُدومِ جَعْفَرٍ** " [4] .

---

[1] – بحار الأنوار : ج ٢١ ص ٦٣ (عن مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني)

[2] – شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد) : ج ١٣ ص ٢٢٤

[3] – أعيان الشيعة (الطبعة الجديدة) : ج ٤ ص ١١٩

[4] – شرح نهج البلاغة البلاغة (لابن أبي الحديد) : ج ١٥ باب ٩ ص ٧٢

وفي أوائل العام الثامن من الهجرة كانت غزوة مؤتة (بين المسلمين والكفار في الشام) ، وكان جعفر بن أبي طالب حامل راية المسلمين ، واستشهد في هذه الغزوة بعد أن قطعت يداه ، فقال رسول الله (ص) إن الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء ، فمن هنالك قيل له جعفر ذو الجناحين [1] .

كان أبناء جعفر صغارا حينما استشهد والدهم ، فذهب رسول الله (ص) إلى بيت أسماء بنت عميس – زوجة جعفر بن أبي طالب – وطلب أولاد جعفر فلما أتوا بهم إليه أخذهم وضمهم إلى صدره وأخذ يمسح بيديه الكريمتين على رؤوسهم ويواسيهم ثم أخذهم معه إلى بيته فأقاموا في بيته ثلاثة أيام وهو يراقبهم ويعتني بهم [2] .

كان عبدالله بن جعفر – زوج السيدة زينب (ع) – أول طفل مسلم ولد في أفريقيا ، وقد واجه في سني عمره الأولى شهادة والده العظيم وعناية رسول الله (ص) الكريم ، وكانت له مكانة خاصة وشخصية مميزة بين أطفال وشباب المدينة .

ذكريات عبدالله بن جعفر الطفولية مع رسول الله (ص)

يقول عبدالله بن جعفر : أنا أحفظ حين دخل رسول الله (ص) على أمي فنعى لها أبي فانظر إليه وهو يمسح على رأسي ورأس أخي وعيناه تهراقان الدموع حتى تقطر لحيته ثم قال : اللهم إن جعفرا قد قدم إليك إلى أحسن الثواب فاخلفه في ذريته بأحسن ما خلفت أحدا من عبادك في ذريته ثم قال : يا أسماء ألا أبشرك !! قالت : بلى ، بأبي وأمي يا رسول الله ، قال (ص) : إن الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة ، قالت : فأعلم الناس ذلك ،

---

[1] – بحار الأنوار : ج ٢٢ ص ٢٧٦

[2] – أعيان الشيعة (الطبعة الجديدة) : ج ٤ ص ١٢٤ و ص ١٢٥ ، حياة القلوب (العلامة المجلسي) : ج ٢ ص ٢٢٦ و ص ٢٢٩

فقام رسول الله (ص) وأخذ بيدي يمسح بيده رأسي حتى رقى إلى المنبر وأجلسني أمامه على الدرجة السفلى والحزن يُعرف عليه فقال : إن المرء كثير بأخيه وابن عمه إلا أن جعفرا قد استشهد وجُعل له جناحان يطير بهما في الجنة ، ثم نزل رسول الله (ص) ودخل بيته وأدخلني معه وأمر بطعام يصنع لأجلي وأرسل إلى أخي وتغدينا عنده غداء طيبا مباركا وأقمنا ثلاثة أيام في بيته ندور معه كلما صار في بيت إحدى نسائه ثم رجعنا إلى بيتنا ، فأتانا رسول الله (ص) بعد ذلك وأنا أساوم شاة أخ لي فقال (ص) : اللهم بارك له في صفقته ، قال عبدالله : فما بعت شيئا ولا اشتريت شيئا إلا بورك لي فيه [1] .

كان رسول الله (ص) يُكِنّ لعبدالله احتراما خاصا وكان يحبه كثيرا وكان كلما يراه يقول له : " السَلامُ عَلَيْكَ يا ابْنَ ذي الجَناحَيْنِ " [2] .
وبهذا القول كان رسول الله (ص) يجدد ذكرى جعفر بن أبي طالب الطيار (ع) .

وببركة دعاء رسول الله (ص) أصبح عبدالله بن جعفر من أثرياء المدينة وفي نفس الوقت كان من السخاء والكرم بحيث أنه كان على الدوام ينفق أمواله على المستحقين والضعفاء والفقراء حتى أن البعض كان يؤنبه على هذا الفعل ويخوفه من نقص أمواله وثروته ، فكان يرد عليهم بهذه الأبيات من الشعر :

لَسْتُ أخْشى قِلَّةَ العَدَمِ	ما اتَّقَيْتُ اللهَ في كَرَمي
كُلَّما أنفَقْتُ يُخْلِفُهُ	لي رَبّي واسِعُ النِعَمِ

وهنا نورد لكم نموذجا من سخاء عبدالله بن جعفر :

كان عبدالله بن جعفر راكبا فرسه فرأى رجلا في طريقه ، أخذ الرجل بعنان الفرس وقال لعبدالله : أيها الأمير !! بالله أقسم عليك أن تضرب بسيفك هذا على رأسي ، فتعجب عبدالله

---

[1] ـ شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد) : ج ١٥ ص ٧١ ، بحار الأنوار : ج ٢١ ص٥٦ رواية ٨ باب ٢٤
[2] ـ الإصابة (لابن حجر) : ج ١ ص ٢٣٨

من أمر الرجل وقال له : هل فقدت عقلك يا رجل ؟! فقال : لا والله !! ولكن لي عدو قاسي وعنيد قد جعلني في ضيق من العيش ولا أملك سلاحا أحاربه به ، فقال له عبدالله : ومن هو عدوك ؟! قال : الفقر !!

هنالك التفت عبدالله إلى غلامه وقال له : أعط هذا الرجل ألف دينار !!

ولما أعطى الغلام الأموال لذلك الرجل قال له عبدالله : يا أخا العرب ، خذ هذا المال وكلما طاردك هذا العدو تعال إلينا وبإذن الله ننجيك منه !!

فقال الفقير : والله لقد أعطيتني ما يكفيني لمحاربة عدوي وخلاصي منه !! [1]

عبدالله بن جعفر ودفاعه عن حرم الولاية العلوية

كان عبدالله بن جعفر من شيعة أهل البيت المخلصين ، وكانت له مواقف كثيرة وشجاعة في دفاعه عن حرم أهل البيت (ع) وعلى الخصوص دفاعه القاطع في الأحداث التي ارتبطت بأحقية خلافة أمير المؤمنين (ع) بعد وفاة رسول الله الأعظم (ص) ، وورد في ذلك روايات عديدة من جملتها :

دخل عبدالله بن جعفر يوما على معاوية فأدناه وقربه فمال عمرو بن العاص إلى بعض جلساء معاوية فنال من علي (ع) جهارا غير ساتر له وثلبه ثلبا قبيحا فالتمع لون عبدالله بن جعفر واعتراه الأفكل [2] حتى أرعدت خصائله ثم نزل عن السرير كالفنيق فقال عمرو : مه يا أباجعفر !!

فقال له عبدالله : مه ، لا أم لك !! ثم قال : أظن الحلم دل على قومي وقد يستجهل الرجل الحليم .

---

[1] – رياحين الشريعة : ج ٣ ص ٢٢١

[2] – الأفكل : رعدة

ثم حسر عن ذراعيه وقال : يا معاوية حتى م نتجرع غيظك وإلى كم الصبر على مكروه قولك وسيء أدبك وذميم أخلاقك ، هبلتك الهَبول [1] ، أما يزجرك ذمام المجالسة عن القدع [2] لجليسك ، إذا لم تكن حرمة من دينك تنهاك عما لا يجوز لك أما والله لو عطفتك أواصر الأرحام أو حاميت على سهمك من الإسلام ما أرعيت بني الإماء المتك والعبيد الصك (السك) أعراض قومك ، وما يجهل موضع الصفوة إلا أهل الجفوة وإنك لتعرف وشائظ قريش وصبوة غرائزها فلا يدعونك تصويب ما فرط من خطئك في سفك دماء المسلمين ومحاربة أمير المؤمنين إلى التمادي فيما قد وضح لك الصواب في خلافه ، فاقصد لمنهج الحق فقد طال عماك عن سبيل الرشد وخطبك في بحور ظلمة الغي ، فإن أبيت إلا تتابعنا في قبح اختيارك لنفسك فاعفنا من سوء القالة فينا إذا ضمنا وإياك والندى وشأنك وما تريد إذا خلوت والله حسيبك فوالله لولا ما جعل الله لنا في يديك لما أتيناك .

ثم قال : إنك إن كلفتني ما لا أطلق ساءك ما سرك مني من خلق .

فقال معاوية : يا أبا جعفر أقسمت عليك لتجلسن ، لعن الله من أخرج ضب صدرك من وجاره (أي عمرو بن العاص) محمول لك ما قلت ولك عندنا ما أملت فلو لم يكن محمدك ومنصبك لكان خَلقك وخُلقك شافعين لك إلينا وأنت ابن ذي الجناحين وسيد بني هاشم .

فقال عبدالله : كلا ، بل سيد بني هاشم حسن وحسين لا ينازعهما في ذلك أحد .

فقال معاوية : أبا جعفر أقسمت عليك لما ذكرت حاجة لك إلا قضيتها كائنة ما كانت ولو ذهبت بجميع ما أملك .

فقال عبدالله : أما في هذا المجلس فلا ، وانصرف .

فأتبعه معاوية بصره وقال : والله لكأنه رسول الله (ص) ، مشيه وخَلقه وخُلقه وإنه لمن مشكاته ، ولوددت أنه أخي بنفيس ما أملك .

ثم التفت إلى عمرو فقال : أبا عبدالله ، ما تراه منعه من الكلام معك ؟!

---

[1] ـ هبلتك الهبول : ثكلتك الثكلى

[2] ـ القدع : الكف والمنع ، ويقال أيضا القذع بالمعجمة

قال : ما لا خفاء به عنك .

قال : أظنك تقول أنه هاب جوابك ، لا والله ، لكنه ازدرأك واستحقرك ولم يرك للكلام أهلا أما رأيت إقباله على دونك ذاهبا بنفسه عنك !! [1]

لِمَ لَمْ يشارك عبدالله بن جعفر في ثورة كربلاء ؟!

السؤال الذي يرد إلى الذهن في شأن عبدالله بن جعفر هو : لِمَ لَمْ ينضم إلى قافلة الإمام الحسين (ع) في ثورته في كربلاء ؟! هل كان ذلك تقصير من عبدالله في حق هذه الثورة العظيمة ؟! أم أنه لم يكن موافقا في الأصل على قيامها ؟!

الجواب

تدل الشواهد التاريخية أن عبدالله بن جعفر كان موافقا على قيام ثورة الإمام الحسين (ع) ، ولهذا لم يمنع زوجته السيدة زينب (ع) من مرافقة أخيها الحسين (ع) إلى كربلاء وأمر ابنيه عونا ومحمدا بلزومه والمسير معه والجهاد دونه فكانا من الشهداء بين يدي أبي عبدالله الحسين (ع) في واقعة الطف .

ويروى أنه لما دخل موالي عبدالله بن جعفر ونعى إليه ابنيه استرجع ، فقال له أبو السلاسل وهو مولى لعبدالله : هذا ما لقينا من حسين بن علي !! فحذفه عبدالله بن جعفر بنعله ثم قال : يا ابن اللخناء ، كيف تقول هذا ؟! والله لو شهدته لأحببت أن لا أفارقه حتى أقتل معه والله أنه لمما يسخي بنفسي عنهما ويعزي عن المصاب بهما أنهما أصيبا مع أخي وابن عمي مواسين له صابرين معه .

---

[1] – رياحين الشريعة : ج ٣ ص ٢١٢ ، شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد) : ج ٦ ص ٢٩٥ ، بحار الأنوار : ج ٤٢ ص ١٦٣

ثم أقبل على جلسائه وقال : الحمدلله ، عز علي مصرع الحسين ، إن لا أكن آسيت حسينا بيدي فقد آساه ولداي [1] .

وينقل بعض الرواة أنه حينما قال أبو السلاسل ما قال قام إليه عبدالله بن جعفر ليضربه بعصاه على أم رأسه ففر هاربا ، ومن بعد ذلك اليوم منعه عبدالله من دخول بيته [2] .

وعلى هذا يمكن القول أن عبدالله بن جعفر إن لم يشارك في واقعة الطف بنفسه فقد أرسل ولداه للدفاع عن حرم رسول الله (ص) ، فكان استشهادهما مواساة لنفسه .

ولكن في سبب عدم مشاركته شخصيا في هذه الثورة يقول البعض أنه في ذلك الوقت كان أعمى البصر ولما رأى الإمام الحسين أنه معذور عن المشاركة معه قال له عبدالله بن جعفر : مادمت غير راض عن مرافقتي لك فخذ ولداي معك [3] .

ويقول آخرون أنه كان مصابا بمرض شديد في فمه .

على كل حال ، كان لعبدالله بن جعفر عند الله وعند أهل بيت الرسالة والوحي مكانة خاصة وشأنا رفيعا ، ولم ترد أية رواية تدل على استيائه من علي أو الحسن أو الحسين عليهم السلام .

ويمكن القول أن عدم حضور عبدالله بن جعفر في ساحة كربلاء وبقائه في المدينة كانت لمصالح لا يعلمها إلا أهل المعرفة والصلاح ، بل يمكن القول أن بقاءه في المدينة كان أفضل من رحيله إلى كربلاء .

---

(1) ـ بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١٢٢

(2) ـ مجالس المؤمنين : ج ١ ص ١٩٤ ، منتهى الآمال : ج ١ ص ١٤٨

(3) ـ منتخب التواريخ : ص ١٢٧

لو لم يكن عدم مشاركة عبدالله بن جعفر في تلك الواقعة بعذر أو صواب رأي من الإمام الحسين (ع) في بقائه في المدينة ، فيقيناً كان في مواجهة غضب واعتراض زينب (ع) ، وبلا شك وترديد لما استمرت بقية حياتها معه بعد رجوعها من كربلاء [1] .

العلاّمة آية الله السيد نور الله الجزائري يقول في هذا المورد :

يحتمل أن يكون الإمام الحسين (ع) قد أمر عبدالله بن جعفر للبقاء في المدينة وذلك حفاظاً على بني هاشم ، فيزيد بن معاوية – ابن آكلة الأكباد – كان من القساوة والحقد على بني هاشم فيود لو تخلو الأرض منهم !! وعبدالله بن جعفر بن أبي طالب كان ذي فضائل لا تعد ولا تحصى وذي هيبة ووقار ومقام رفيع بين أهل المدينة .

والحفاظ على بني هاشم هو في الحقيقة حفاظ على كيان التشيع وخط أهل بيت النبوة والوحي ، مثلما فعل رسول الله (ص) حينما أراد أن يخرج إلى غزوة تبوك فخلف علي بن أبي طالب (ع) في أهله لحفظهم من المنافقين وقال له : إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة فإنه لا نبي بعدي [2] .

هذه الحادثة ولو أنها أثارت تساؤلات المنافقين ضد أمير المؤمنين (ع) إلا أنها كانت في مصلحة المسلمين وأهل المدينة ، وهكذا بالنسبة إلى عبدالله بن جعفر بن أبي طالب حينما بقي في المدينة ولم يرحل مع الإمام الحسين (ع) إلى كربلاء [3] .

---

[1] – الخصائص الزينبية : ص ٢٨١ (مختصر)

[2] – بحار الأنوار : ج ٣٢ ص ١٤٩

[3] – وهنا لابد من تتبع هذا الأمر ذلك لأن ، وحسبما سيذكر فيما بعد ، فإن عبدا... بن جعفر تعاطفا مع أهل البيت (ع) كان يمنع الإمام الحسين (ع) من الذهاب إلى كربلاء .

والدا عبدالله بن جعفر – زوج زينب (ع)

كانت زينب الكبرى (ع) زوجة لذلك الرجل المقدام والشجاع ذي الشخصية الفذة والمقام الرفيع ، ألا وهو عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، دخلت زينب (ع) في بيت قويت أركانه وارتفع شأنه .

كان والد زوجها حامل راية مؤتة الأخ الأكبر لأبيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) والشهيد في سبيل الحق ، جعفر الطيار ، وكانت أم زوجها من محبي أهل بيت العصمة والطهارة والمخلصين لهم وهي أسماء بنت عميس الخثعمية التي كانت من العارفات بفضل أهل البيت (ع) وخواص خدمة السيدة فاطمة الزهراء (ع) وبعد وفاة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (ع) كانت تولي رعاية خاصة لأولاد فاطمة (ع) .

كانت أسماء بنت عميس تحت جعفر بن أبي طالب وهاجرت معه إلى الحبشة فولدت له هناك عبدالله بن جعفر الجواد ومحمدا وعونا ، ثم قتل عنها يوم مؤتة فخلف عليها أبو بكر فأولدها محمدا ، ثم مات عنها فخلف عليها علي بن أبي طالب (ع) وكان محمد ربيبه وخريجه وجاريا عنده مجرى أولاده ورضيع الولاء والتشيع منذ زمن الصبا فنشأ عليه فلم يكن يعرف أباً غير علي (ع) ولا يعتقد لأحد فضيلة غيره حتى قال أمير المؤمنين علي (ع) : **مُحَمَّدٌ ابْنِي مِنْ صُلْبِ أَبِي بَكْرٍ** !![1] ، ومحمد هذا استشهد في سبيل إعلاء كلمة الحق ورفع الرايات العلوية المقدسة في مصر على يد أولياء الجور والظلم الذين صدوا عن سبيل الله وبغوا الإسلام عوجا وذلك بضرب عنقه وإلقائه في جوف حمار ومن ثم إحراقه [2] .

---

[1] – بحار الأنوار : ج ٤٢ ص ١٦٢

[2] – شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد) : ج ٦ ص ٨٨

ولدت أسماء بنت عميس لعلي (ع) ولدين هما عون ويحيى الذين استشهدا مع أخيهما الإمام الحسين (ع) في واقعة الطف [1] .

وعلى هذا نستنتج من ذلك أن أسماء بنت عميس ، والدة زوج زينب (ع) ، كانت امرأة مناضلة وصبورة ومن محبي أهل بيت النبوة وأم لشهيدين ، وهي في حد ذاتها مدرسة تعلم المرأة كيف تكون صالحة وموفقة في رعاية زوجها وتربية أولادها تربية سليمة قائمة على المحبة والألفة ، والاستقامة في الولاء لأهل البيت وزرع روح التضحية والإيثار في سبيل الحق في نفوس الأبناء .

وحسب ما ورد عن كثير من المؤرخين أن عبدالله بن جعفر توفي في المدينة المنورة في السنة الثمانين من الهجرة ودفن في البقيع [2] ، ولما انتقل رسول الله (ص) إلى جوار ربه كان عمر عبدالله بن جعفر عشر سنين ، وعلى هذا يكون عمره عند وفاته تسعين سنة ، ويرى البعض أنه مدفون في الباب الصغير في دمشق ، وفي سن الحادية عشر من عمرها تزوجت زينب الكبرى (ع) من عبدالله بن جعفر وكان عمره آنذاك سبع عشرة سنة [3] .

شرطا زينب (ع) عند زواجها من عبدالله بن جعفر

ذكرنا سابقا أن السيدة زينب (ع) كان ذات علاقة قوية وشديدة بأخيها الحسين (ع) حتى أنها كانت تزوره في اليوم أكثر من مرة ، وعلى هذا حينما تقدم عبدالله بن جعفر لخطبة زينب الكبرى (ع) اشترط أمير المؤمنين (ع) لإتمام الزواج شرطين ووافق عليهما عبدالله ،

---

[1] - رياحين الشريعة : ج ٢ ص ٣٠٥

[2] - أسد الغابة (للجزري) : ج ٣ ص ١٣٥ ، الإصابة (لابن حجر) : ج ٢ ص ٢٩٠

[3] - روى البعض أن زواج عبدا... بن جعفر من زينب (ع) تم في السابعة عشر من الهجرة وكان عمرها آنذاك أحد عشر عاما (الخصائص الزينبية : ص ٢٦٠)

الشرط الأول وهو أن لا يمانع زينب (ع) من خروجها من البيت لزيارة أخيها الحسين (ع) متى ما تشاء ، والشرط الثاني وهو أنه إذا عزم الإمام الحسين (ع) على السفر فلا يمنعها من سفرها معه .

تم عقد الزواج بين زينب الكبرى (ع) وعبدالله بن جعفر بن أبي طالب على أساس هذين الشرطين ، وعلى هذا حينما ابتدأ الإمام الحسين (ع) بسفره الروحاني والملكوتي من المدينة إلى مكة ومن ثم إلى كربلاء ، كانت زينب (ع) ترافقه وعياله وأهل بيته وأصحابه .

في هذه المرحلة من حياة زينب الكبرى (ع) والتي كانت من أعظم وأعمق مراحل حياتها أقدمت فيها على أعظم معاني التضحية والإيثار والفداء ، فاختارت الطريق الشائك والمحفوف بالبلايا والمنايا على زهرة الحياة المرفهة مع زوجها والذي كان من أثرياء عصره وذلك في سبيل إعلاء الشعارات المقدسة التي كان ينادي بها قائدها العظيم الإمام الحسين (ع) ، وإن دل ذلك على شيء فإنه يدل على رباطة جأشها وقوة شخصيتها وعظيم إرادتها [1] .

كان حب زينب (ع) لأخيها الحسين (ع) من الشدة بحيث أنها حينما بدأت قافلة الإمام الحسين (ع) بالسفر إلى كربلاء وفيها زينب الكبرى (ع) ، جاء عبدالله بن عباس ، ابن عم الإمام علي (ع) وفقيه بني هاشم ، إلى الإمام الحسين (ع) ولما دنا منه قال له : " جُعِلْتُ فِداكَ يَا حُسَين ، إنْ كانَ لابُدَّ مِنَ المَسيرِ إلَى الكوفَة فَلا تَسِرْ بِأهْلِكَ وَنِسائِكَ وَصِبْيَتِكَ ، فَإنّي والله لَخائِفٌ أنْ تُقْتَلَ وَهُمْ يَنْظُرونَ إلَيكَ " .

فقال الحسين (ع) : " يَا ابْنَ العَمّ ، إنّي رَأيْتُ رَسُولَ الله (ص) فِي مَنَامِي وَقَدْ أمَرَنِي بِأمْرٍ لا أقْدِرُ عَلَى خِلافِهِ ، وَإنّهُ أمَرَنِي بِأخْذِهِنَّ مَعِي ، يَا ابْنَ العَمّ وَإنّهُنَّ وَدَائِعُ رَسُولِ الله ولا آمَنُ عَلَيْهِنَّ أحَداً وَهُنَّ لا يُفَارِقْنَنِي " .

---

[1] – مقتبس من رياحين الشريعة : ج ٣ ص ٤١ – ص ٤٢

فسمع ابن العباس بكاء من ورائه وقائلة تقول : " يَا ابْنَ العَبَّاس ، تُشِيرُ عَلَى شَيْخِنَا وَسَيِّدِنَا أنْ يُخَلِّفَنَا هَاهُنَا وَيَمْضِي وَحْدَهُ !! لا وَالله ، بَلْ نَحْيا مَعَهُ وَنَمـوتُ مَعَهُ ، وَهَلْ أبْقَى الزَّمَانُ لَنَا غَيْرَه !! " .

فبكى ابن العباس بكاء شديدا [1] .

زينب (ع) تطلب الإذن من زوجها في سفرها مع أخيها الحسين (ع)

على الرغم من أن عقد قران السيدة زينب (ع) بعبدالله بن جعفر كان مشروطا بشرطين وكان بإمكانها أن تسافر مع أخيها الحسين (ع) إلى كربلاء بدون إذن زوجها ، إلا أنها فضلت أن تستأذن من زوجها احتراما له ، فلما دنا وقت سفرها مع أخيها الحسين (ع) أقبلت إلى زوجها عبدالله وقالت : سيتوجه أخي الحسين (ع) إلى العراق ، وأنت تعلم مدى حبي له وتعلقي به وتعلم أني لا أتحمل فراقه لحظة واحدة ، ونظرا لعدم جواز خروج المرأة دون إذن زوجها ، لهذا جئتك لطلب الإذن ، واعلم إذا ذهب الحسين (ع) وبقيت هنا ، فبدون أخي الحسين (ع) لا يمكنني العيش أبدا .

.فنظر عبدالله إلى زينب (ع) وهي تبكي بكاء شديدا ، فرأى أن عدم الإذن لها يعني مفارقتها الحياة ، فبكى عبدالله وقال لها : يا ابنة المرتضى وعقيلة بني هاشم ، ما هذا الاضطراب الذي أراه على وجهك ؟! افعلي ما شئت !! [2]

فرحت زينب (ع) بذلك كثيرا وهدأت ، وبهذا استطاعت أن تكسب رضا زوجها .

---

[1] ـ مقتل الحسين (السيد محمد تقي آل بحر العلوم) : ص ١٥٧ (نقلا عن اللهوف لابن طاووس : ص ١٤ طبع النجف)

[2] ـ الخصائص الزينبية : ص ٢٧٨

أولاد زينب (ع)

ذكر سبط بن جوزي في (تذكرة الخواص) والمامقاني في (تنقيح المقال) أنه كان لزينب (ع) أربعة بنين وابنة واحدة هم : علي ، عون الأكبر ، محمد ، عباس ، وأم كلثوم .

وذكر الشيخ الصدوق (رض) في كتاب (أعلام الورى) أنه كان لزينب (ع) أربعة أولاد هم : علي ، جعفر ، عون الأكبر وأم كلثوم .

وذكر الشبلنجي في (نور الأبصار) أن لزينب (ع) أربعة بنين وابنة واحدة [1] .

(وفي ذكر أحداث عاشوراء سنذكر شهادة ولديها محمد وعون) .

ويجدر القول هنا أن المرأة التي لها صبية صغار لا يمكنها أن تجازف في مثل هذا الجهاد والثورة والأسفار المحفوفة بالأخطار ، ولكن السيدة زينب (ع) بإرادتها القوية والتي لم ولن يكون لها مثيل في التاريخ استصغرت كل الموانع والحواجز التي كانت في طريق سفرها إلى كربلاء .

تربية زينب (ع) لأولادها

يتوقف نجاح المرء على السعي الهادف والجهد السليم في جميع أبعاد الحياة ، وبالنسبة للمرأة فأعظم كسب وامتياز لها أن تكون أم مثالية تربي أولادها تربية صالحة قائمة على أسس تربوية وأخلاقية متينة وزينب (ع) كأمها فاطمة الزهراء (ع) أولت هذا الأمر اهتماما كبيرا ، وأنشأت بتربيتها أولادا صالحين فكانوا نماذج طيبة في الإيمان والتضحية والفداء

---

[1] – رياحين الشريعة : ج ٣ ص ٢٠٧ ، أعلام الورى : ص ٢٠٤ ، تنقيح المقال : ج ٣ ص ٧٩

وذوي نفوس عالية المقام ، فولديها محمد وعون كانا من المجاهدين يوم الطف ، وحاربا أعداء الدين حتى نالا شرف الشهادة بين يدي الإمام الحسين (ع) .

وكان لزينب (ع) بنت وهي أم كلثوم فأحسنت تربيتها حتى قيل في شأنها أن في صفات الجمال والكمال والعقل والفطنة لم يكن لها مثيل إلا المعصومين عليهم السلام ، كما أنها نالت منصبا عاليا ورفيعا في الجوانب المعنوية والأخلاقية .

لما سمع معاوية بن أبي سفيان عن مقامات أم كلثوم – ابنة السيدة زينب (ع) – بعث برجاله لخطبتها إلى ابنه يزيد لكي يفخر بمثل هذه الزوجة لابنه من جانب ، ومن جانب آخر يقوي أواصر المحبة والصلح والوحدة بين بني أمية وبني هاشم ، ولكن جوبهت هذه الخطبة برفض شديد من الإمام الحسين (ع) [1] .

رفض خطبة يزيد لابنة زينب (ع)

كتب معاوية إلى مروان عامله على الحجاز يأمره أن يخطب أم كلثوم بنت زينب (ع) وعبدالله بن جعفر لابنه يزيد فأتى عبدالله بن جعفر وأخبره بذلك فقال عبدالله : إن أمرها ليس إلي إنما هو إلى سيدنا الحسين (ع) وهو خالها [2] ، فأخبر الحسين (ع) بذلك فقال أستخير الله تعالى ، اللهم وفق لهذه الجارية رضاك من آل محمد .

فلما اجتمع الناس في مسجد رسول الله (ص) أقبل مروان حتى جلس إلى الحسين (ع) فتكلم مروان وحمد الله وأثنى عليه وقال : إن أمير المؤمنين أمرني بذلك وأن أجعل مهرها حكم أبيها بالغا ما بلغ مع صلح ما بين هذين الحيين مع قضاء دينه واعلم أن من يغبطكم

---

[1] – الخصائص الزينبية : ص ٢٧٤

[2] – وهذا يدل على عظمة الشخصية المعنوية لعبدا... بن جعفر الذي جعل الإمام الحسين (ع) وكيلا وصاحب الأمر في كل الأمور .

بيزيد أكثر ممن يغبطه بكم والعجب كيف يستمهر يزيد وهو كفؤ من لا كفؤ له وبوجهه يستسقي الغمام فرد خيرا يا أبا عبدالله .

فقال الحسين (ع) : الحمد لله الذي اختارنا لنفسه وارتضانا لدينه واصطفانا على خلقه ..... إلى آخر كلامه ، ثم قال : يا مروان قد قلت فسمعنا ، أما قولك مهرها حكم أبيها بالغا ما بلغ فلعمري لو أردنا ذلك ما عدونا سنة رسول الله في بناته ونسائه وأهل بيته وهي اثنتا عشرة أوقية يكون أربعمائة وثمانين درهما ، وأما قولك مع قضاء دين أبيها فمتى كن نساؤنا يقضين عنا ديوننا وأما صلح ما بين هذين الحيين فإنا قوم عاديناكم في الله ولم تكن نصالحكم للدنيا ، فلقد أعيا النسب فكيف السبب [1] ، وأما قولك العجب ليزيد كيف يستمهر فقد استمهر من هو خير من يزيد ومن أبي يزيد ومن جد يزيد ، وأما قولك أن يزيد كفؤ من لا كفؤ له فمن كان كفؤه قبل اليوم فهو كفؤه اليوم ما زادته إمارته في كفاءته شيئا وأما قولك بوجهه يستسقى الغمام فإنما كان ذلك بوجه رسول الله (ص) وأما قولك من يغبطنا به أكثر ممن يغبطه بنا فإنما يغبطنا به أهل الجهل ويغبطه بنا أهل العقل .

ثم قال (ع) بعد كلام : فاشهدوا جميعا أني قد زوجت أم كلثوم بنت عبدالله بن جعفر من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر على أربعمائة وثمانين درهما ، وقد نحلتها ضيعتي بالمدينة (أو قال أرضي بالعقيق) ، وأن غلتها في السنة ثمانية آلاف دينار ففيها لهما غنى إن شاء الله .

فتغير وجه مروان وقال : غدرا يا بني هاشم ، تأبون إلا العداوة .

فقال الحسين (ع) : واحدة بواحدة !! [2]

---

[1] - النسب مثل نوح وابنه والسبب هو زوج البنت ، أي أن صلة القربى بين الأب والإبن وهي قربى نسبية تنقطع وذلك في سبيل ا... فكيف بالقربى السببية مع زوج البنت !!

[2] - بحار الأنوار : ج ٤٤ ص ٢٠٧ ، وفي بعض الروايات ورد الإمام الحسن (ع) بدلا عن الإمام الحسين(ع) (بحار الأنوار ج ٤٤ ص ١١٩)

فيئس مروان من الأمر الذي أتى إليه وخرج من المسجد هو وأصحابه مخذولا .

وهذه الحادثة تبين السياسة الحكيمة التي اتبعها عبدالله بن جعفر وزينب (ع) في الرد على أولياء الجور والظلم باللجوء إلى صاحب أمرهم وهو الإمام الحسين (ع) .

لمحات من فضائل زينب (ع)

إشارة

الفيلسوف الكبير والمرجع الأعلى آية الله الشيخ محمد حسين كمباني (رض) (المعروف بآية الله كمباني والمتوفي عام ١٣٦١ من الهجرة) كتب ديوانا في الشعر باللغة العربية والفارسية في مدح ورثاء أهل البيت (ع) ، ونقتطف من هذه الأشعار (المكونة من ستين بيتا) بعض الأبيات في مدح السيدة زينب الكبرى (ع) :

وَلَّيْتُ وَجْهِي شَطْرَ قِبْلَةِ الوَرَى ... وَمَنْ بِهَا تَشَرَّفَتْ أُمُّ القُرَى

قُطْبُ مُحِيطِ عالَمِ الوُجُودِ ... فِي قَوْسَيِ النُّزولِ والصُّعُودِ

فَفِي النُّزولِ كَعْبَةُ الرَّزايا ... وَفِي الصُّعودِ قِبْلَةُ البَرايا

بَلْ هُوَ بابُ حِطَّةِ الخَطايا ... وَمَوْئِلُ الهِباتِ وَالعَطايا

أُمُّ الكِتابِ فِي جَوامِعِ العُلا ... أُمُّ المَصائِبِ فِي مَجامِعِ البَلا

رَضِيعَةُ الوَحْيِ شَقيقَةُ الهُدَى ... رَبِيبَةُ الفَضْلِ حَليفَةُ النَّدَى

رَبَّةُ خِدْرِ القُدْسِ وَالطَّهارَةِ ... فِي الصَّوْنِ والعَفافِ وَالخَفارَةِ

فَإِنَّها تُمَثِّلُ الكَنْزَ الخَفِيْ ... بِالسِّتْرِ وَالحَياءِ والتَّعَفُّفِ

تُمَثِّلُ الغَيْبَ المَصونِ ذاتُها ... تُعْرِبُ عَنْ صِفاتِهِ صِفاتُها

مَليكَةُ الدُّنْيا عَقيلَةُ النِّساءِ ... عَديلَةُ الخامِسِ مِنْ أَهْلِ الكِساءِ

شريكـةُ الشهيدِ في المصائبِ	كفيلـةُ السجّادِ في النـوائبِ
بَلْ هِيَ ناموسُ رِواقِ العَظَمَـة	سيّدةُ العقائـلِ المُعَظَّمَـة
ما وَرِثَتـهُ مِن نَبيِّ الرَّحْمَـة	جوامِعَ العِلْـمِ ، أُصولَ الحِكْمَة
سِرُّ أبيهـا في عُلُـوِّ الهِمَّـة	والصَّبْرِ في الشدائِدِ المُلِمَّـة
ثَباتُـها تُنْبِئُ عَـنْ ثَباتِـه	كـانَ فيهـا كُـلُّ مَكْرُماتِـه
لَهـا مِـنَ الصَّبْرِ عَلَى المَصائِبِ	ما جَـلَّ أنْ يُعَـدُّ في العَجائِبِ
بَلْ كادَ أنْ يُلْحَقَ بالمُعاجِـزِ	لأنّـهُ حُـرْمَـةُ كُـلِّ عاجِـزِ
فـإنّهـا سُـلالَةُ الوِلايَـة	وِلايَـةٌ لَيْسَ لَـها نِهـايَـة
بَيانُـها يَفْصَـحُ عَـنْ بَيانِـه	كـأنّـها تَفْـرُغُ عَنْ لِسـانِـه
نـاهيكَ في الخُطَبِ المَأثورَة	فإنّـها كالـدُّرَرِ المَنْثـورَة

ترتبط شخصية الإنسان وقيمة وجوده بما يتمتع به من الكمالات والفضائل والقيم العالية ، وحينما نرجع إلى القرآن الكريم نجد أن الآيات الكريمة تشير إلى ذلك وعلى رأسها أربعة تعد من أفضل الكمالات والقيم وهي عبارة عن :

العلم ، التقوى ، الجهاد و الإنفاق في سبيل الله عز وجل .

ونستدل في كل من هذه القيم بآية كريمة من جملة آيات عديدة :

١- وردت في كتاب الله العزيز في شأن العلم هذه الآية المباركة :

" .... يَرْفَعِ اللهُ الذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجاتٍ .... " [1] .

٢- ووردت في فضيلة التقوى هذه الآية المباركة :

" .... إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتْقاكُمْ .... " [2] .

---

[1] ـ سورة المجادلة (٥٨) : آية ١١

[2] ـ سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٣

٣- وفي الجهاد وردت هذه الآية المباركة :

" ... وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً " [1] .

٤- ووردت في الإنفاق والإحسان إلى الفقراء هذه الآية المباركة :

" لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ " [2] .

وامتازت السيدة زينب (ع) بجميع الفضائل والقيم الإنسانية والإسلامية ، وعلى الخصوص الفضائل الأربعة التي ذكرناها آنفا ، فارتفعت بها إلى أعلى مقامات الكمال .

السيدة زينب الكبرى (ع) لم تصل إلى هذه المقامات الرفيعة في المعرفة والكمال والعرفان ونيل عظيم الشأن بسبب كونها ابنة علي المرتضى (ع) أو فاطمة الزهراء (ع) ، فكانت لزينب (ع) أخوات ولكنهن لم يصلن إلى هذه الدرجة من الرفعة وعلو الشأن ، وكذلك أ مها الزهراء (ع) التي امتازت بهذه الدرجات العاليات دون أخواتها .

على هذا لمعرفة عظمة زينب (ع) والتي لم تضاهيها في عظمتها ورفيع مقامها إلا أمها الزهراء (ع) دون النساء لابد من البحث في جوانب العلم والعمل والفضيلة والكمالات الروحية والمعنوية التي نهلت منها زينب (ع) .

حينما كان رسول الله (ص) يمجد ابنته الزهراء (ع) كان يقول : " وَأَمَّا ابْنَتِي فَاطِمَةُ فَإِنَّهَا سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَهِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي وَهِيَ نُورُ عَيْنِي وَهِيَ ثَمَرَةُ فُؤَادِي وَهِيَ رُوحِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ وَهِيَ الْحَوْرَاءُ الإِنْسِيَّةُ مَتَى قَامَتْ فِي مِحْرَابِهَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهَا جَلَّ جَلالُهُ زَهَرَ نُورُهَا لِمَلائِكَةِ السَّمَاءِ كَمَا يَزْهَرُ نُورُ الْكَوَاكِبِ لأَهْلِ الأَرْضِ وَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلائِكَتِهِ يَا مَلائِكَتِي انْظُرُوا إِلَى أَمَتِي فَاطِمَةَ

---

[1] - سورة النساء (٤) : آية ٩٥

[2] - سورة آل عمران (٣) : آية ٩٢

سَيِّدَةِ إِمَائِي قَائِمَةً بَيْنَ يَدَيَّ تَرْتَعِدُ فَرَائِصُهَا مِنْ خِيفَتِي وَقَدْ أَقْبَلَتْ بِقَلْبِهَا عَلَى عِبَادَتِي "[1] .

وكما يقول علماء الأدب : " تَعْلِيقُ الوَصْفِ عَلَى الحُكْمِ مُشْعِرٌ بِالعِلِّيَة " .

فرسول الله (ص) حينما يمجّد ابنته الزهراء (ع) يذكر خلوص عبادتها لربها (ع) وكيف كانت ترتعد فرائصها حينما تقوم في محرابها بين يدي الله سبحانه وتعالى ، وهذا دليل على أن عظمة الزهراء (ع) لم تكن بسبب كونها ابنة رسول الله (ص) ولكن عظمتها كانت تكمن في خلوص عملها وعبادتهالله سبحانه وتعالى .

وهكذا بالنسبة لابنتها زينب (ع) ، فكانت عظمتها في علمها وعملها الخاص لله سبحانه وتعالى .

ونذكر فيما يلي أربعة من الكمالات التى اتصفت بها زينب (ع) .

١ – الكمالات العلمية في زينب (ع)

كما وردت بعض الروايات ، بالإضافة إلى العلوم المتداولة بين عموم الناس ، كانت لزينب (ع) مراتب خاصة في العلوم اللدنية ، أي أنها وبسبب حالاتها المعنوية العالية وخلوص نيتها وطهارة باطنها وصلت إلى مرحلة أصبح وجودها يفيض علما وكمالا ، ذلك العلم الذي وصفه القرآن الكريم بالعلم اللدني الذي يختص به أولياءه حيث يقول : "فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً "[2] !!

---

[1] – بحار الأنوار : ج ٢٨ ص ٣٨ رواية ١، بيت الأحزان (للمحدث القمي) : ص ٣٦

[2] – سورة الكهف (١٨) : آية ٦٥

وكانت زينب (ع) من الأولياء الذين خصهم الله عز وجل بهذا العلم الوهبي اللدني ، وبرز فيها هذا العلم منذ نعومة أظفارها في مواقف عظيمة ذكرنا بعضها سابقا ، ومن عجائب الأمور الذي يكل اللسان عن وصفه ويعجز العقل عن إدراكه هو أنه بالرغم من كونها طفلة في السادسة من عمرها إلا أنها حفظت الخطبة الغراء التي خطبتها أمها فاطمة الزهراء (ع) في مسجد النبي (ص) مطالبة بحقها في أرض فدك وحق ابن عمها وزوجها الإمام علي (ع) في الخلافة !! تلك الخطبة التي تضمنت المعاني العرفانية السامية والكلمات النورانية الجامعة لمعالم التوحيد والنبوة والإمامة ، فكانت مرجعا لكثير من الرواة في نقل هذه الخطبة عبر الأجيال المتتالية .

كان عبدالله بن عباس من الفقهاء الكبار والمفسرين العظام وهو من أكبر العلماء لدى الشيعة وغيرهم ، ويذكر أنه كان يوما من الأيام يعد الماء لرسول الله (ص) لكي يتوضأ ، هنالك دعا له رسول الله (ص) وقال : " اللهم فَقِّهْهُ فِي الدِّين " فكان بحرا في العلم وحبرا للأمة [1] ، ولما مات عبدالله بن عباس قال محمد الحنفية بن علي (ع) في شأنه : " الْيَوْمَ مَاتَ رَبَّانِيُّ هَذِهِ الأُمَّة " [2] .

هذا الرجل العظيم والعالم الفقيه حينما كان يروي رواية عن السيدة زينب (ع) كان يقول : " حَدَّثَتْنِي عَقِيلَتُنَا زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيٍّ " [3] ، ثم يروي عنها خطبة السيدة فاطمة الزهراء (ع) .

وكما روت عن أمها الزهراء (ع) فقد روت أيضا عن أبيها أمير المؤمنين (ع) وعن أخويها الحسنين (ع) [4] .

---

[1] - بحار الأنوار : ج ١٨ ص ١٨

[2] - أسد الغابة : ج ٣ ص ١٩٣ ، الاستيعاب : ج ٢ ص ٣٤٤

[3] - منتخب التواريخ : ص ٩٣ ، سفينة البحار : ج ١ ص ٥٥٨

[4] - زينب الكبرى (للشيخ جعفر النقدي) : ص ٣٥

ضربت زينب (ع) في خطبهـا في الكوفة والشـام أروع معـاني البلاغـة والفصاحـة والبيـان والاستدلال بالآيات المباركات من القرآن الكريم ، حتى قال بشير بـن خزيـم الأسـدي [1] : " وَنَظَرْتُ إِلَى زَيْنَبَ بِنْتَ عَلِيٍّ يَوْمَئِذٍ وَلَمْ أَرَ وَاللهِ خَفِرَةً قَطُّ أَنْطَقَ مِنْهَا كَأَنَّمَا تَفْرِغُ عَنْ لِسَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ " [2] .

وكانت زينب (ع) ذات مقام عال في الجوانب العلمية والاجتماعية حتـى أن زوجها عبدالله بن جعفر كان يناديها : " يَا بِنْتَ الْمُرْتَضَى وَيَا عَقِيلَةَ بَنِي هَاشِمٍ " [3] .

ولما خطبت خطبتها البليغة الغراء في جموع أهل الكوفة بعد واقعة الطف والتـي أبكـت لهـا العيون وأحرقت بها القلوب ، هنالك قـال لها الإمـام المعصـوم علـي بـن الحسـين زيـن العابدين (ع) : " يَا عَمَّةُ ، أَنْتِ بِحَمْدِ اللهِ عَالِمَةٌ غَيْرُ مُعَلَّمَةٍ وَفَهِمَةٌ غَيْرُ مُفَهَّمَةٍ " [4] .

هذا الحديث النوراني من مولانا الإمام علي بن الحسين (ع) إن دل على شيء فإنمـا يـدل على أن علم السيدة زينب (ع) لم يكن علما اكتسابيا بل كان علما لدنياً ملكوتيا خص بها الله عز وجل الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم صلوات الله أجمعين ، فكان هذا العلم يفيض مـن ذاتها فيض النور وينبع من وجودها نبع زلال الماء .

زينب (ع) تدرّس القرآن في الكوفة

بعد وقعتي الجمل وصفين أي بعد عام ست وثلاثين من الهجرة انتقل أمير المؤمنين (ع) مع أهل بيته إلى الكوفة وكانت معه زينب الكبرى (ع) فأقامت فيها ما يقارب أربع سنين .

---

[1] – وفي بعض الروايات قيل " حذيم بن شريك الأسدي " (بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١٦٢)

[2] – بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١٠٨ ، اللهوف : ص ١٤٦

[3] – الخصائص الزينبية : ص ٢٧٨

[4] – بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١٦٤

رأت نساء الكوفة أن زينب (ع) كانت في كمالاتها العلمية والعملية مثال أمها الزهراء (ع) ، فطلبن من أزواجهن أن يتوسطوا لهن عند أمير المؤمنين (ع) لكي يبلغ ابنته زينب (ع) بأن تقيم مجالس لتدريسهن .

قبلت زينب (ع) ذلك فسرت النساء فكانت لزينب (ع) مجالس لتدريس النساء كل صباح [1] .

وردت في بعض الروايات أنه في حين تدريس زينب (ع) تفسير القرآن دخل أمير المؤمنين (ع) فسمعها وهي تفسر كلمة " كهيعص " من أول سورة مريم ، ثم سألها : يا نور عيني ، سمعتك تفسرين الآية الأولى من سورة مريم !!

فقالت : نعم فداك نفسي ، فقال لها أمير المؤمنين (ع) : أن حروف كلمة " كهيعص " إنما ترمز إلى المصائب التي سترد عليكم ، ثم أخذ يبين لها مصائب كربلاء ، وحينما سمعت زينب (ع) بذلك بكت بكاء شديدا [2] .

---

[1] ـ الخصائص الزينبية : ص ٣٧

[2] ـ رياحين الشريعة : ج ٣ ص ٥٧ ،ورد في تأويل " كهيعص " أن سعد بن عبدا... سأل القائم (ع) ، قال هذه الحروف من أنباء الغيب أطلع ا... عليها عبده زكريا (ع) ثم قصها على محمد (ص) وذلك أن زكريا سأل ربه أن يعلمه أسماء الخمسة فأهبط عليه جبريل (ع) فعلمه إياها ، وكان زكريا (ع) إذا ذكر محمدا (ص) وعليا (ع) وفاطمة (ع) والحسن (ع) سرى عنه همه وانجلى كربه وإذا ذكر اسم الحسين (ع) خنقته العبرة ووقعت عليه البهرة فقال (ع) ذات يوم إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعة منهم تسليت بأسمائهم من همومي وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي فأنبأه ا... تبارك وتعالى عن قصته فقال " كهيعص " فالكاف اسم كربلاء ، والهاء هلاك العترة والياء يزيد وهو ظالم الحسين (ع) والعين عطشه والصاد صبره فلما سمع ذلك زكريا (ع) لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ومنع فيهن الناس من الدخول عليه وأقبل على البكاء والنحيب وكان يرثيه : إلهي أتفجع خير خلقك بولده إلهي أتنزل بلوى هذه الرزية بفنائه إلهي أتلبس عليا وفاطمة ثياب هذه المصيبة إلهي أتحل كربة هذه المصيبة بساحتها ثم كان يقول : إلهي ارزقني ولدا تقر به عيني على الكبر فإذا رزقتيه فافتني بحبه ثم افجعني به كما تفجع محمدا حبيبك بولده فرزقه ا... يحيى (ع) وفجعه به ، وكان حمل يحيى ستة أشهر وحمل الحسين (ع) كذلك .

زينب (ع) من شجرة النبوة ومعدن الرسالة

من الأمـور التي تكشف عن عظمة مقام زينب (ع) أن يقول الإمام الحسن المجتبى (ع) في شأنها : " إِنَّكِ حَقّاً مِنْ شَجَرَةِ النُّبُوَّةِ وَمِنْ مَعْدِنِ الرِّسَالَةِ " كما وردت في الرواية التالية :
كانت زينب (ع) جالسة في محضر أخويها الحسن (ع) والحسين (ع) وكانا يتحدثان في بعض أحاديث رسول الله (ص) ، فقـالت زينب (ع) : سـمعتكما تقولان أن رسـول الله (ص) قـال : " الحَلالُ بَيِّنٌ والحَرامُ بَيِّنٌ وشُبُهاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثيرٌ مِنَ النَّاس "[1].
ثم أكملت الحديث قائلة : " مَنْ تَرَكَها (الشبهة) صَلُحَ لَهُ أَمْرُ دينِهِ وَصَلُحَتْ لَهُ مُرُوَّتُه وَعِرْضُهُ وَمَنْ تَلَبَّسَ بِها وَوَقَعَ فيها واتَّبَعَها كانَ كَمَنْ رَعَى غَنَمَهُ قُرْبَ الحِمَى وَمَنْ رَعَى ماشِيَتَهُ قُرْبَ الحِمَى نازَعَتْهُ نَفْسُهُ أَنْ يَرْعاها في الحِمَى ألا وإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى ألا وإِنَّ حِمَى الله عَزَّ وَجَلَّ مَحارِمُهُ " .
ثم قالت (ع) عن رسول الله (ص) : " ألا وإِنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلُحَتْ صَلُحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ألا وَهِيَ القَلْب " .
ثم أسـردت تقول : أما سـمعتما رسول الله (ص) الذي تأدب بأدب الله عـز وجل ويقـول : " أَدَّبَنِي رَبِّي وَأَحْسَنَ تَأديبِي " !! يقول : " الحلال مـا أحلـه الله عـز وجـل وذكـره في القرآن الكريـم وبينـه رسـول الله (ص) مثـل البيـع والشراء وإقـام الصلاة في أوقاتها وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيـت لمـن استطاع إليه سبيلا والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك الكذب والنفاق والخيانـة ، والحـرام مـا حرمـه الله عـز وجـل وذكـره في القـرآن الكريـم وبينـه رسـول الله (ص) ، والحـرام نقيضـا للحـلال ، وأمـا الشبهات فهي أمور لا نعلـم حلالها وحرامها ، والمؤمـن إذا لم يعلـم الشيء إن كان

---

[1] – ورد الحديث في مستدرك الوسائل : ج ١٧ ص ٣٢٣ على هذا النحو : " حلال بين وحرام بين وبينهما شبهات لا يعلمها كثير من الناس " ، وفي بحار الأنوار : ج ٢ ص ٢٢١ على هذا النحو : " حلال بين وحرام بين وشبهات تتردد بين ذلك "

حلالا أو حراما وكان يرجو سعادة الدنيا والآخرة ، فعليه أن لا يتبع الشبهات ، عليه أن يؤدي الواجبات ويترك المحرمات ويتجنب الشبهات ، فالشبهات تجره إلى المحرمات " .

هنالك قال لها الإمام الحسن (ع) : زادك الله كمالا ، نعم إنه كما تقولين ، " إنَّكِ حَقّاً مِنْ شَجَرَةِ النُّبُوَّةِ وَمِنْ مَعْدِنِ الرِّسَالَةِ "[1] .

٢- تقوى زينب (ع) وطهارة نفسها ونيابتها الخاصة عن أخيها الحسين (ع)

كما ذكرنا سابقا أن التقوى وطهارة النفس من الكمالات والقيم العالية الأربعة التي يركز عليها القرآن الكريم ، وزينب (ع) طبقا لبعض الشواهد وصلت إلى نوع من مقام العصمة من الذنوب والمعاصي ، وكانت في جميع أبعاد حياتها تدور في دائرة التقوى الإلهية ، وطهارة نفس زينب (ع) كانت تكمن في زهدها وسخائها وصبرها ورباطة جأشها عند المصائب والبلايا .

بلغت زينب (ع) من الفضل والتقوى وطاعة الله عز وجل وطاعة رسوله والأئمة عليهم صلوات الله أجمعين مبلغا عظيما ، فلما كان يوم عاشوراء وفي الساعة التي جلس شمر على صدر الحسين (ع) وهو يجود بنفسه ، تلك الساعة العصيبة التي يكاد أن يفقد فيها الإنسان صوابه ، حينما رأى الإمام الحسين (ع) أخته وهي مقبلة عليه أمرها أن ترجع إلى خيمتها وأن ترعى أهله وعياله ، فامتثلت لأمره طائعة فرجعت القهقري وهي تنظر إليه لكي لا ينقطع بصرها عن رؤية جمال وجهه الشريف[2] .

---

[1] – السيدة زينب (محمود الشرقاوي–طبعة القاهرة) :ص ٩٨ (نقلا عن "زينب الكبرى عقيلة بني هاشم" : ص ٩٦ ص ٩٨)

[2] – رياحين الشريعة : ج ٣ ص ١٠٠

وعلى هذا سميت بالصدّيقة الصغرى والمعصومة الصغرى ، وعلى هذا الأساس أعطاها الإمام الحسين (ع) النيابة الخاصة لفترة من الزمان ، وهذه المرتبة العظيمة والشرف الذي لا يضاهيه شرف لا تليق إلا بمن كانت له نفس طاهرة ووقف على دائرة العصمة .

ونيابة الحسين (ع) الخاصة التي وكلها إلى أخته زينب (ع) ظهرت حينما أوكل الإمام السجاد (ع) الأمور في الظاهر ولمدة من الزمان لعمته زينب (ع) وذلك حفاظا على روحه الشريفة ، فكانت هي الواسطة المباشرة بين الإمام الحسين (ع) والناس وكانت بذلك تحمل ثقل أسرار الإمامة والوصاية .

حديث العلامة المامقاني في مقام طهارة وعصمة زينب (ع)

المرحوم المحقق الكبير العلامة المامقاني في كتابه " تنقيح المقال " يقول :
" زينب !! وما أدراك ما زينب !! هي عقيلة بني هاشم ، وقد حازت من الصفات الحميدة ما لم يحزها بعد أمها ، حتى حقّ أن يقال أنها الصدّيقة الصغرى " !!

ثم يقول : " ولو قلت بعصمتها لم يكن لأحد أن ينكر ، إن كان عارفا بأحوالها في الطف وما بعده ، كيف ولولا ذلك لما حمّلها الحسين (ع) مقدارا من ثقل الإمامة أيام مرض السجاد (ع) ، وما أوصى إليها بجملة من وصاياه ، ولما أنابها السجاد (ع) في بيان الأحكام وجملة أخرى من آثار الولاية "[1] !!

ثم بين في مقالته هذه الرواية : عن أحمد بن إبراهيم قال : دخلت على حكيمة بنت محمد بن علي الرضا (ع) أخت أبي الحسن صاحب العسكر (ع) في سنة اثنتين وستين ومائتين من الهجرة فكلمتها من وراء حجاب وسألتها عن دينها فسمت لي من تأتم بهم ثم قالت والحجة بن الحسن بن علي فسمته فقلت لها : جعلني الله فداك ، معاينة أو خبرا ؟!

---

[1] – تنقيح المقال (للمامقاني) : ج ٣ ص ٧٩

فقالت : خبرا عن أبي محمد كتب به إلى أمه ، فقلت لها : أين الولد ؟! فقالت مستور ، فقلت : إلى من تفرغ الشيعة ؟! فقالت : إلى الجدة أم أبي محمد (ع) (وهي سوسن أم الإمام الحسن العسكري (ع) وجدة الإمام المهدي (ع)) ، قلت لها : أقتدي بمن في وصيته امرأة !! فقالت : اقْتِداءً بِالحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ (ع) وَالحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ (ع) أَوْصَى إِلَى أُخْتِهِ زَيْنَبَ بِنْتِ عَلِيٍّ فِي الظَاهِرِ وَكَانَ مَا يَخْرُجُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ (ع) مِنْ عِلْمٍ يُنْسَبُ إِلَى زَيْنَبَ سِتْراً عَلَى عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ (ع) [1].

٣- جهاد زينب (ع) وشجاعتها

من الكمالات السامية والقيم العالية التي وردت في القرآن الكريم هو الجهاد في سبيل الله عز وجل ، ولو وضع النهي عن المنكر وهو أمر إلهي رفيع إلى جانب الجهاد في سبيل الله عز وجل فهما يشكلان معا جزءا عظيما من أركان الإسلام وأحكامه النورانية .

رحيل زينب (ع) مع أخيها إلى كربلاء وإلقائها تلك الخطب البليغة في جموع أهل الكوفة والشام والتي أظهرت فيها الوجه القبيح لأهل الجور والظلم وطواغيت ذلك الزمان ، وانتهازها كل أدنى فرصة للدفاع عن الحق وحريمه وبطلان الضلال وأهله ، وشجاعتها وقوة بأسها في كثير من مواطن المحن وصبرها في مكامن الفتن ، فكانت حقا بطلة كربلاء وناطقة بدماء الشهداء ، كل ذلك دليل على سلوكها مسلك المجاهدين في الله وسبيل العارفين بالله والفانين في ذات الله ، فكانت نوراً يستضاء به في ظلم الجور والجهالة وسراجا يستنار به في حيرة الباطل والضلالة .

وسوف نبحث في هذا الموضوع بالتفصيل في الفصول القادمة .

---

[1] - غيبة الطوسي : ص ١٣٨ ، بحار الأنوار : ج ٥١ ص ٣٦٣ ، تنقيح المقال : ج ٣ ص ٧٩

على سبيل المثال نورد مقتطفات من خطبتها في مجلس ديكتاتور زمانه يزيد بن معاوية بن أبي سفيان حيث تقول (ع) : " اللهم خُذْ بِحَقِّنَا وَانْتَقِمْ مِنْ ظَالِمِنَا وَاحْلُلْ غَضَبَكَ بِمَنْ سَفَكَ دِمَاءَنَا وَقَتَلَ حُمَاتَنَا " !! ثم أسردت تقول : " وَسَيَعْلَمُ مَنْ سَوَّلَ لَكَ وَمَنْ مَكَّنَكَ مِنْ رِقَابِ المُسْلِمِين ، بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً "[1] !!

٤- إنفاق زينب (ع) وإحسانها للفقراء والمساكين

يركز القرآن الكريم كثيرا على الإنفاق على الفقراء والمساكين والإحسان إليهم ، وضربت زينب (ع) كأمها فاطمة الزهراء (ع) مثالا رائعا في العطاء والإنفاق على الفقراء والمساكين حتى وصل إنفاقها إلى حد الإيثار .

كانت زينب (ع) في عصر خلافة أمير المؤمنين علي (ع) في الكوفة والتي استغرقت ما يقارب الخمس سنوات ملكة العالم الإسلامي ، فكانت ترافق أبيها والذي كان يكنى بأبي المساكين في السعي في حوائج المؤمنين وتفقّد أحوال الفقراء والمساكين .

كانت زينب (ع) في الحد الأعلى من الإيثار ، فبعد واقعة الطف ولما أضحت بنات رسول الله (ص) سبايا ظلت زينب الكبرى (ع) ثلاثة أيام بلياليها لا تأكل الطعام بل كانت تعطي نصيبها من الطعام إلى أيتام الشهداء مع العلم أن الطعام لم يكن إلا كسرة خبز كل يوم !![2]

وسوف نبين في الفصول القادمة أن إنفاق زينب (ع) لم يقتصر على الإنفاق بالمال فحسب بل أتت بولديها عون ومحمد عليهما السلام إلى أرض كربلاء وضمتهما إلى قافلة الإمام الحسين (ع) ليجاهدوا دون خالهما وإمام زمانهما حتى استشهدا بين يديه .

---

[1] - بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١٣٤

[2] - بحر المصائب (نقلا عن ناسخ التواريخ : ص ٥٣٣)

وفي استشهاد ولديها محمد وعون لم تبد أي رد فعل بل لم تخرج من خيمتها حتى لا تفقد صبرها عند رؤية أجسادهم المرملة بالدماء احتسابا للأجر والثواب ولكي لا يراها الإمام الحسين (ع) على هذا الحال فيستحيي منها .

نعم ، فزينب (ع) تربت في بيت النبوة والولاية والعصمة ، بيت السخاء والعطاء والإيثار ، فتجسدت أمام عينيها المآثر والسجايا والمكارم والعطايا ، ذلك البيت الذي نذر أهله بالصيام لشفاء الحسن والحسين عليهما السلام ، فأوفوا بالنذر وصاموا ، ولما حان وقت الإفطار في اليوم الأول أتاهم مسكين فأعطوه الطعام ومكثوا ليلتهم لم يذوقوا إلا الماء ، ولما كان اليوم الثاني أتاهم يتيم فأعطوه الطعام ومكثوا ولم يذوقوا إلا الماء ، ولما كان اليوم الثالث أتاهم أسير فأعطوه الطعام وآثروه ومكثوا ثلاثة أيام لم يذوقوا سوى الماء ، فلما كان في اليوم الرابع وقد قضوا نذرهم أخذ علي (ع) الحسن بيده اليمنى والحسين بيده اليسرى وأقبل نحو رسول الله (ص) وهم يرتعشون كالفراخ ، فساءه ما رأى ثم انطلقوا إلى فاطمة الزهراء (ع) وهي في محرابها تصلي وقد لصق بطنها بظهرها وغارت عيناها ، فهبط جبريل (ع) على رسول الله وقال : خذ يا محمد ، هنأك الله في أهل بيتك قال (ص) : وما آخذ يا جبريل ؟! فأقرأه " هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ " وكانت فيها هذه الآية المباركة : " وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً " !![1]

وروي أنه جاء رجل إلى رسول الله (ص) يشكو الجوع ، فبعث رسول الله (ص) إلى أزواجه فقلن ما عندنا إلا الماء فقال (ص) : من لهذا الرجل الليلة ؟! فقال أمير المؤمنين (ع) : أنا يا رسول الله ، فأتى فاطمة وسألها : ما عندك يا بنت رسول الله ؟! فقالت ما عندنا إلا قوت الصبية لكنا نؤثر ضيفنا به ، فقال علي (ع) : يا بنت محمد (ص) ، نوّمي الصبية وأطفئي المصباح ، وجعلا يمضغان بألسنتهما فلما فرغ من الأكل أتت فاطمة بسراج فوجد الجفنة

---

[1] - مقتبس من كتاب الغدير : ج ٣ ص ١٠٧ - ص ١١١ ، إحقاق الحق : ج ٣ ص ١٥٧ - ص ١٧١ ، بحار الأنوار : ج ٣٥ ص ٢٤٥ ، مع بعض الاختلافات اللفظية

مملوءة من فضل الله عز وجل ، فلما أصبح صلى مع النبي (ص) فلما سلم النبي (ص) نظر إلى أمير المؤمنين (ع) وبكى بكاء شديدا وقال : يا أمير المؤمنين ، لقد عجب الرب من فعلكم البارحة ، وقرأ الآية التاسعة من سورة الحشر : "وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ " !! [1]

نعم ، في مثل هذا البيت ترعرعت زينب الكبرى (ع) فحملت في ذاتها تلك الخصال المحمودة والمناقب المشهودة .

زينب (ع) ورد الجميل

عرض يزيد على أهل البيت المقام بدمشق فأبوا ذلك فقال للنعمان بن بشير صاحب رسول الله (ص) جهز هؤلاء بما يصلحهم وابعث معهم رجلا من أهل الشام أمينا صالحا وابعث معهم خيلا وأعوانا ثم كساهم وحباهم وفرض لهم الأرزاق ثم أوصى بهم الرسول فخرج بهم الرسول يسايرهم فيكون أمامهم فإذا نزلوا تنحّى عنهم وتفرق هو وأصحابه كهيئة الحرس ، ثم ينزل بهم حيث أراد أحدهم الوضوء ويعرض عليهم حوائجهم ويلطفهم حتى دخلوا المدينة ، قال الحارث بن كعب قالت لي فاطمة بنت علي (ع) قلت لأختي زينب (ع) : قد وجب علينا حق هذا لحسن صحبته لنا فهل لك أن تصليه ؟! قالت : والله ما لنا ما نصله به إلا أن نعطيه حلينا ، فأخذت سواري ودملجي وسوار أختي ودملجها فبعثنا بها إليه واعتذرنا لقلتها ، وقلنا له : هذا بعض جزائك لحسن صحبتك إيانا ، فقال : لو كان الذي صنعته للدنيا كان في دون هذا رضاي ولكن والله كما فعلته إلا لله وقرابتكم من رسول الله (ص) [2] .

---

[1] ـ مجمع البيان : ج ٩ ص ٦٠ ، بحار الأنوار : ج ٤١ ص ٢٨ مع اختلافات في اللفظ

[2] ـ مقتبس من نفس المهموم (للمحدث القمي) : ص ٢٧٤ (ترجمة الشعراني) ، وفي أخبار الدول أن الرسول هو النعمان بن بشير ، بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١٤٦ والرسول هو بشي بن خزيم الأسدي

على هذا يمكننا أن نأخذ من موقف زينب (ع) وأختها فاطمة (ع) هذه العبرة في حسن الخلق ورد الجميل لأصحابه كخصلة حميدة من الخصال الإسلامية وفضيلة أخلاقية وإنسانية .

عبادة زينب (ع)

كانت السيدة زينب (ع) قبل كل شيء أمة خالصة لله عز وجل ، وعبوديتها لله كانت ظاهرة في جميع حركاتها وسكناتها ، كانت في صلاتها ومناجاتها ودعائها وتهجدها في أعلى مقامات العرفان والسلوك إلى الله عز وجل ، فكانت تقضي جل أوقاتها بالعبادة والتهجد والتضرع لله عز وجل .

تربت زينب (ع) في بيت الوحي والنبوة ، فكانت ترى جدها رسول الله (ص) إذا قام إلى الصلاة سمع لصدره وجوفه أزيز كأزيز المرجل على الأثافي [1] من شدة البكاء وقد آمنه الله عز وجل من عقابه ، فأراد أن يتخشع لربه ببكائه ويكون إماما لمن اقتدى به ولقد قام (ص) عشر سنين على أطراف أصابعه حتى تورمت قدماه واصفر وجهه يقوم الليل أجمع حتى عوتب في ذلك فقال الله عز وجل : " طَهَ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ القُرآنَ لِتَشْقَى " بل لتسعد به ، ولقد كان يبكي حتى يغشى عليه فقيل له : يا رسول الله ، أليس الله تبارك وتعالى غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟! قال : بلى ، أفلا أكُونُ عَبْداً شَكُوراً !! [2]

---

[1] – الأثافي : أحجار يوضع عليها القدر

[2] – بحار الأنوار : ج ١٧ ص ٢٥٧ و ص ٢٨٧

كانت زينب (ع) ترى الإخلاص في العبادة في أمها فاطمة الزهراء (ع) ، حتى قال في شأنها الحسن البصري : " مَا كَانَ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ أَعْبَدُ مِنْ فَاطِمَة ، كانَتْ تَقُومُ حَتَّى تَوَرَّم قَدَماها "[1] .

وأما عبادة والدها أمير المؤمنين وإمام المتقين علي (ع) فلا حد لها ولا وصف ، وكما قال فيه أبوجعفر الباقر (ع) : " وَمَنْ يَقْوَى عَلَى عِبَادَةِ عَلِيٍّ (ع) "[2] حتى صار النظر إليه عبادة وذكره عبادة[3] .

على هذا ، اقتبست زينب (ع) من هذه الأنوار الطاهرة والأنجم الزاهرة أسمى معاني الإيمان وكمال العبودية لرب الأرباب والخلوص في طاعة الملك الوهاب فاختلطت بذاتها وكامل وجودها .

كانت زينب (ع) تديم في إحياء لياليها بالذكر والتهجد وقراءة القرآن وصلاة الليل ، وحتى في ليلة الحادي عشر من محرم وبعد تلك المصائب والأهوال لم تنس ذكر الله وصلاة الليل يقول الإمام السجاد (ع) : " رَأَيْتُها تِلْكَ اللَيلَة تُصَلِّي مِنْ جُلُوس "[4] .

الإمام الحسين (ع) كان يرى في أخته زينب (ع) الخلوص والعرفان وأدب العبودية لله عز وجل ، لهذا لما ودعها وداعه الأخير قال لها : " يَا أُخْتَاه ، لا تَنْسِينِي فِي نَافِلَةِ اللَيْل "[5]

وفي (مثير الأحزان) للعلامة الشيخ شريف الجواهري (قده) : قالت فاطمة بنت الحسين (ع) : " أما عمتي زينب فإنها لم تزل قائمة في تلك الليلة (أي العاشر من محرم) في محرابها تستغيث إلى ربها ، فما هدأت لها عين ولا سكنت لها رنة "[6] .

---

[1] ـ بيت الأحزان : ص ٤١ ، بحار الأنوار : ص ٨٤

[2] ـ بحار الأنوار : ج ٤١ ص ١٧

[3] ـ بحار الأنوار : ج ٣٨ ص ١٩٦

[4] ـ زينب الكبرى (العلامة المحقق جعفر النقدي) : ص ٦٢

[5] ـ نفس المصدر

[6] ـ نفس المصدر

وروي عن الإمام السجاد (ع) أنه قال :

إن عمتي زينب كانت تصلي قائمة إلا أنها صلت جالسة في بعض المنازل وسألوها عن السبب فقالت : إن ذلك من جهة شدة الجوع والضعف منذ ثلاث ليال إذ كان الظلمة والكفرة يعطون لكل واحد من الأسرى في يوم وليلة رغيفا من الخبز ومن المعلوم أن ذلك لا يكفيهم ، وكانت زينب (ع) تعطي حصتها من الطعام لسائر الأطفال وتبيت جائعة [1] .

ويجدر بنا القول أن العبادة لا تقتصر على الصلاة والمناجاة بل لها أبعاد أخرى ، هذه السيدة الجليلة التي كانت تراعي جميع هذه الأبعاد كرعايتها للأيتام وإبلاغها رسالة الشهداء والنهي عن المنكر وإعلاء كلمة الحق لم يكن لها نظير في تلك الميادين .

قال أحد العلماء والشعراء في بعض الجمل الجامعة لتلك الأبعاد :

المكرّمة ، حافظة الودائع والأسرار ، الموثقة في نقل الأحاديث والأخبار ، الفصيحة البليغة في البيان ، المعظمة ، قوية الجنان عند الهزائز ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء " [2] .

وقال أيضا :

ولـو كـانَ النسـاءُ بمثـلِ هـذي	لفُضِّلت النسـاءُ على الرجـالِ
فَمَـا التـأنيثُ عيبٌ للشـموسِ	ولا التـذكيرُ فخـرٌ للهِـلالِ [3]

---

[1] ـ مقتبس من رياحين الشريعة : ج ٣ ص ٦١ ، الخصائص الزينبية : ص ٢١٦ ، معالي السبطين ج ٢ ص ٢٢٣

[2] ـ نفس المصدر

[3] ـ نفس المصدر

أثر مقام عظماء الولاية على زينب (ع)

كانت لزينب (ع) مكانة خاصة ومقاما مميزا بين بنات أمير المؤمنين الإمام علي (ع) كما كانت لأمها فاطمة الزهراء (ع) بين أخواتها بنات رسول الله (ص) ، وكما أشرنا سابقا أن زينب (ع) لم تنل تلك المكانة والمقام الرفيع بسبب نسبها وانتمائها إلى أهل بيت النبوة والعصمة ، بل علاوة على ذلك كانت لها شخصية مميزة وذلك بعلمها وعملها ونشاطاتها الدؤوبة في رفع راية الإسلام وإعلاء كلمة الحق ودحض الباطل .

قال الرسول الأكرم (ص) : " مَا أَخْلَصَ عَبْدٌ لله عَزَّ وَجَلَّ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً إلا جَرَتْ يَنَابِيعُ الحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ "[1] .

وقال (ص) : " مَا زَهَدَ عَبْدٌ فِي الدُّنْيَا إلا أَنْبَتَ الله الحِكْمَةَ فِي قَلْبِهِ وَأَنْطَقَ بِهَا لِسَانَهُ "[2] .

وقال (ص) : " لَيْسَ العِلْمُ فِي السَمَاءِ فَيَنْزِلَ عَلَيكُمْ وَلا فِي تُخُومِ الأَرْضِ فَيَخْرُجَ لَكُمْ ، تَخَلَّقُوا بِأَخْلاقِ الرَّوْحَانِيِّين يَظْهَرْ لَكُمْ "[3] .

بلا شك ، امتازت زينب (ع) بكمال الخلوص في العبودية لله عز وجل والرضا بقضائه ، فنبعت من ذاتها ينابيع العلم والحكمة ، ومضت قدما في طريق الحق وشرت الآخرة الباقية بالدنيا الفانية ففازت بالحياة الأبدية والسعادة السرمدية .

---

[1] – بحار الأنوار : ج ٧٠ ص ٢٤٢ ، كنز العمال : حديث ٥٢٧١

[2] – بحار الأنوار : ج ٧٤ ص ٨٠

[3] – رياحين الشريعة : ج ٣ ص ٥٦

تلألأت زينب (ع) بكامل وجودها وذاتها حتى وصلت إلى مقام العظمة في الولاية ، فكانت أهلا لأن تنال شرف منصب النيابة الخاصة من الإمام الحسين (ع) وذلك بعد استشهاده وفي مدة مرض الإمام السجاد (ع) ، وكانت مرجعا للناس في الأحكام لبيان الحلال والحرام .

ويتجلى ذلك في موقفين عظيمين نبينها لكم :

١ – لما كان وداع الإمام الحسين (ع) الأخير للصفوة من آل طه وياسين علي بن الحسين زين العابدين (ع) وبنات الرسالة وحرائر النبوة ، قال الإمام الحسين (ع) : كأني أراكم عن قريب غير بعيد كالإماء والعبيد يسوقونكم أمام الركاب ويسومونكم سوء العذاب .
فلما سمعت زينب (ع) بكت ونادت : وا وحدتاه !! وا قلة ناصراه !! وا سوء منقلباه !! وا شؤم صباحاه !! فشقت ثوبها ونشرت شعرها ولطمت على وجهها .
فقال الحسين (ع) : مهلا يا بنت المرتضى ، إن البكاء طويل !!
فأراد أن يخرج من الخيمة فتعلقت به وقالت : مهلا يا أخي !! توقف حتى أتزود منك ومن نظري إليك وأودعك وداع مفارق لا تلاقي بعده ، فجعلت تقبل يديه ورجليه ، وأحطن به سائر النسوة وجعلن يقبلن يديه ورجليه فسكتهن الحسين (ع) وردهن إلى الفسطاط ، ثم دعا باخته زينب (ع) فَصَبَّرَهَا وَأَمَرَّ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهَا وَسَكَّنَها مِنَ الْجَزَعِ ، وذكر لها ما أعد الله من الثواب للصابرين وما وعد من الكرامات للمقربين فرضيت وأظهرت الفرح والسرور في وجهه ، هنالك قالت زينب (ع) لأخيها الحسين (ع) : " يَا ابْنَ أُمّي ، طِبْ نَفْساً ، وَقَرَّ عَيْناً ، فَإِنَّكَ تَجِدُنِي كَمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى " !! [1]

أي يد مباركة كانت هذه !! وأي قلب وعى ذلك الفيض من تلك اليد الطاهرة !!

٢ – لما سُيِّر موكب أسرى وسبايا آل محمد (ص) على أقتاب المطايا يراد بها الكوفة ، رؤيت نساء الكوفة يندبن متهتكات الجيوب وعلت أصواتهن بالبكاء والعويل ودعون بالويل والثبور

---

[1] – مقتبس من معالي السبطين : ج ٢ ص ٣٦

فلم تطق زينب (ع) صبرا على أن ترى أهل الختل والغدر بالأمس يقتلون أخاها الحسين (ع) وآله واليوم يبكون على حريمه وبناته !!

يقول بشير بن حزيم الأسدي [1] : " وَقَدْ أَوْمَأَتْ إِلَى النَّاسِ أَنْ اسْكُتُوا !! فَارْتَدَّتِ الأَنْفَاسُ وَسَكَنَتِ الأَجْرَاس " [2] .

حارت العقول وكلّت الألسن في وصف هذا المشهد العظيم ، امرأة قد أخنى الزمان عليها فأشهدها عظائم الأمور وفجائع الدهور ، قُتل أخوها وعترته وتُركوا صرعى في الفلوات ، وسبيت نساؤه وصبيته فكانوا رهن الشتات ، ولتكفي واحدة منها لتنشق السماء وتهد الأرض وتخر الجبال ، فتقف أمامها صامدة قوية أبية ، فكانت على قدَر الله صابرة وبأمره راضية ، حتى أومأت إلى الناس أن اسكتوا ، وكان الناس حيارى يبكون ، فارتدت أنفاسهم وخيّم السكون عليهم ، وكأن الأجراس سمعت ما قالت فسكنت !!

تلك السيدة العظيمة أبت إلا أن تنضم إلى قافلة عظماء الولاية ونجباء العصمة وأركان الطهارة .

الإمام السجاد يستشير عمته زينب (ع)

كانت زينب (ع) من المقام الملكوتي الرفيع لتنوب عن ابن أخيها الإمام زين العابدين (ع) في الظاهر ولفترة من الزمان وذلك حفاظا على روحه الشريفة من الأخطار ، وكان الإمام (ع) يستشيرها في كثير من الأمور ، وهنا نجلب انتباهكم إلى هذه الرواية :

---

[1] ـ وفي بعض الروايات قيل " حذيم بن شريك الأسدي " (احتجاج الطبرسي : ج ١ ص ٢٩)

[2] ـ اللهوف (لابن طاووس) : ص ١٤٦ ، بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١٠٨

حينما ورد آل المصطفى وبنات الرسالة أسرى إلى الشام ، طلب يزيد بن معاوية الإمام السجاد (ع) ، هنالك قالت زينب (ع) للإمام السجاد (ع) :

" يَا قُرَّةَ عَيْنِي وَسَلْوَةَ فُؤَادِي ، لا تُكَلِّمْ إلاَّ بِكَلامٍ هَيْنٍ وَقَوْلٍ لَيْنٍ ، فَإنَّهُ ظَالِمٌ عَنِيدٌ وَشَقِيٌّ شَدِيدٌ ، لاَ يَخَافُ مِنَ الله وَعَذَابِهِ ، وَلاَ يَسْتَحْيِي مِنْ رَسُولِ الله وَوَلِيِّهِ " .

ولما ذهب الإمام السجاد (ع) أبدى له يزيد احتراما (وذلك بعد الخطب اللاذعة التي خطبها الإمام السجاد (ع) والسيدة زينب (ع) في مجلسه) وقال له : إن كانت لك حاجة فاذكرها ، فرد عليه الإمام السجاد (ع) : " لا حاجة لي إليك ، وفي ذلك أستشير عمتي زينب (ع) وهي كافلة اليتامى وحامية الأسرى "[1]

زينب (ع) ومقامات الصبر والرضا والشكر

في الحالات المعنوية والروحانية والعرفانية يمكن الحديث عن ثلاثة مقامات تعد من المقامات العالية في الإيمان ومن الأسس القوية في تكامل الإنسان ومعراجه إلى الملكوت الأعلى ألا وهي مقام الصبر والرضا والشكر ، فالإنسان بعد مرحلة كمال الصبر يصل إلى مرحلة الرضا برضا الله عز وجل ، وبعد هذه المرحلة الرفيعة يصل إلى مقام الشكر .

المصائب الأليمة والمفجعة التي انهالت على زينب الكبرى (ع) كانت كل واحدة منها تكفي لتشل قواها وتفقدها صبرها ، فواجهت ألم فراق جدها الرسول الأعظم (ص) ثم شهادة أمها الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (ع) على صغر سنها ثم شهادة أبيها سيد الموحدين أمير المؤمنين (ع) ثم شهادة أخيها الإمام الحسن المجتبى (ع) بسمّ الغدر والخيانة ، ثم الأحداث الدامية على أرض كربلاء والتي فقدت فيها أعزة أهلها وعلى رأسهم حبيب قلبها وسرور فؤادها الإمام الحسين (ع) ثم المصائب التي لاقتها من هجوم على خيام

---

[1] ـ الخصائص الزينبية : ص ٢٩٤

آل رسول الله وما تبعه من النهب والسلب والضرب ثم الأسر والسبي والسير من بلد إلى بلد تتقدم محملها رؤوس الشهداء ويتبعه صرخات اليتامى والثكالى ، ولكنها صبرت وصبرت حتى نقل عنها أنها قالت : " سَأَصْبِرُ حَتَّى يَعْجَزُ الصَّبْرُ عَنْ صَبْرِي " [1] !!

وما كانت غايتها في صبرها إلا رضا الله تبارك وتعالى ، فما كان بكاؤها في مصيبة أخيها الحسين (ع) بكاء مذلة أو عدم الرضا بقضاء الله تبارك وتعالى ، بل كان بكاؤها بكاء عاطفيا يحمل في طياته رسالة إلى العالم أجمع فاهتزت له المشاعر وأبكت به العيون وأحرقت فيه القلوب وكان كالصاعقة على قلوب أعداء الله وأعداء رسول الله وآله ، فأحرق بلهيبه قرير عينهم وقرار عيشهم .

ترسخت في زينب (ع) مقام الرضا بقضائه والتسليم لأمره حتى كان عصر يوم عاشوراء حينما هجم الأعداء على خيام آل المصطفى وبنات الرسالة فأخرجوهن منها وأشعلوا في الخيم نارا ، فخرجن حافيات باكيات يمشين سبايا في أسر الذلة ، فأقبلت زينب (ع) إلى زين العابدين (ع) وقالت : " يَا بَقِيَّةَ الماضين وثِمالَ [2] البَاقين قَدْ أضْرَمُوا النَّارَ في مَضارِبِنا ، فَمَا رَأْيُكَ فينا !!" .

فقال (ع) : " عَلَيْكُنَّ بِالفِرَارِ " !!

ففرن بنات رسول الله (ص) صائحات باكيات نادبات إلا زينب الكبرى (ع) رأت أن الحفاظ على حياة الإمام المعصوم أولى من فرارها ، فكانت واقفة تنظر إلى زين العابدين (ع) وتصفق بيديها وتارة تدخل في الخيمة وتارة تخرج وتولت هي بنفسها حراسة ابن أخيها الإمام زين العابدين (ع) [3] .

---

[1] - الخصائص الزينبية : ص ٣٢٧

[2] - ثمال : ثمال القوم يعني غياث لهم ويقوم بأمرهم

[3] - اقتباس من معالي السبطين (الشيخ الحائري المازندراني) : ص ٨٨ (نقلا عن اللهوف لابن طاووس) ، الخصائص الزينبية : ص ٣١٩- ص ٣٢٠

ولما كان يوم الحادي عشر من محرم وبعد أن حضنت أرض كربلاء جثث الزواكي من آل أحمد (ص) جاءت زينب (ع) إلى مصرع أخيها الحسين (ع) فرأته مقطعا إربا إربا ، هنالك تجلت حقيقة العبودية لله والتسليم لأمر الله والرضا بقضاء الله حينما بسطت يداها تحت جثمانه المقدس ورفعته إلى السماء وقالت : " إِلَهِي تَقَبَّلْ مِنَّا هَذَا الْقُرْبَان "[1] .

وارتفعت زينب (ع) بمقام الرضا بقضاء الله والتسليم لأمره إلى مقام الشكر ، وفي كل موقف شهدته لم تنس شكر الله عز وجل ، فلما أدخل أسارى أهل الطهر (ع) في مجلس عبيدالله بن زياد ، أقبل بن زياد على زينب (ع) وقال لها : الحمدلله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم .

فقالت زينب (ع) : " الحَمْدُلله الذي أَكْرَمَنا بِنَبِيِّهِ (ص) وَطَهَّرَنَا مِنَ الرِجْسِ تَطْهِيراً ، إِنَّمَا يُفْتَضَحُ الفَاسِقُ وَيُكَذَّبُ الفَاجِرُ وَهُوَ غَيْرُنَا " فقال ابن زياد : كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك ؟! فقالت : " مَا رَأَيْتُ إِلاَّ جَمِيلاً " !![2]

زينب (ع) ومراقبتها الشديدة للستر والحجاب والعفاف

من الواجبات التي لابد لكل امرأة مسلمة مراعاتها هي الحفاظ على الستر والحجاب والعفة ، فقد صرح بلزوم الحجاب في القرآن الكريم في أربعة آيات[3] تصريحا مباشرا ، وأشار إلى ذلك في إحدى عشرة آية أخرى[4] ووردت أيضا روايات كثيرة وعديدة بهذا الخصوص .

---

[1] - الكبريت الأحمر (للتستري) : ج ٣ ص ١٣ عن الطراز المذهّب ، معالي السبطين : ص ٢٢٣

[2] - تاريخ الطبري : ج ٦ ص ٢٦٢ ، مقتل الحسين (للمقرم) : ص ٤٠٤ ، بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١١٥

[3] - سورة النور : آية ٣٠ ، سورة الأحزاب : آية ٣٢ وآية ٣٣ وآية ٥٩

[4] - سورة النور : آية ٢ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٥٨ ، ٥٦ ، ٦٠ ، سورة الأحزاب : آية ٣٢ ، ٦٠ ، سورة القصص : آية ٢٦

وكانت السيدة زينب الكبرى (ع) كأمها الزهراء سيدة النساء (ع) مثالا في العفة ومراعاة الحجاب والستر ، وكما يقول العلامة المامقاني : " وهي في الحجاب والعفاف فريدة ، لم ير شخصها أحد من الرجال في زمان أبيها وأخويها إلى يوم الطف " !! [1]

وحدث يحيى المازني قال : كنت في جوار أمير المؤمنين (ع) في المدينة مدة مديدة وبالقرب من البيت الذي كانت تسكنه زينب ابنته ، فلا والله ما رأيت لها شخصا ولا سمعت لها صوتا ، وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدها رسول الله (ص) تخرج ليلا والحسن عن يمينها والحسين عن شمالها وأمير المؤمنين أمامها فإذا قربت من القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين (ع) فأخمد ضوء القناديل ، فسأله الحسن مرة عن ذلك ، فقال : أخشى أن يرى شخصها أحد " !! [2]

وبعد فاجعة كربلاء ، هجم الأعداء على خيام بنات الرسالة فأشعلوا فيها النار وتهاجم القوم على النهب والسلب فأخذوا ما عليهن بحيث لم يبق لهم ما يتسترن به ، ولم تكن زينب (ع) بكامل حجابها آنذاك ولكنها كانت تنهى النظر إليها ، وكانت تستر وجهها بيديها لكيلا يراها أحد .

وحالت الإمدادت الغيبية والأنوار الملكوتية دون النظر إلى شخص السيدة الجليلة زينب الكبرى (ع) فكانت كالشمس الطالعة التي ترد بشعاعها أبصار الناظرين .

والعلامة السيد عباس المقرم يحكي حكاية حقيقية وجديرة بالذكر في هذا المقام ويقول : أن المرحوم العلامة كاشف الغطاء (من كبار مراجع التقليد في عصره ، والمتوفى عام ١٢١٨ هـ) في رثائه زينب (ع) كتب هذه الأبيات و [illegible] على ورقة :

---

[1] – تنقيح المقال : ج ٣ ص ٧٩

[2] – زينب الكبرى (العلامة المحقق الشيخ جعفر النقدي) : ص ٢٢

مَغْلُولَةَ الأيدِي إلى الأعناقِ　　تُسْبى عَلى عُجْفٍ مِنَ النِّيَاقِ
حَاسِرَةَ الوَجْهِ بِغَيْرِ بُرْقُعِ　　لا سِتْرَ غَيْرَ سَاعِدٍ وَأذْرُعِ
قَدْ تَرَكَتْ عَزِيزَها عَلى الثَّرَى　　وَخَلَّفَتْهُ فِي الهَجِيرِ وَالعَرَى
إنْ نَظَرَتْ لَها العُيونُ وَلْوَلَتْ　　أوْ نَظَرَتْ إلى الرُّؤوسِ أعْوَلَتْ
تَوَدُّ أنْ جِسْمَها مَقْبُورُ　　وَلا يَراها الشَّامِتُ الكَفُورُ

وبعد فترة من الزمان رجع العلامة كاشف الغطاء إلى تلك الورقة التي كتب فيها هذه الأبيات من الشعر ، وإذا بهذا البيت من الشعر قد أضيف إليه :

وَهِيَ بِأسْتارٍ مِنَ الأنْوارِ　　تَحْجُبُها مِنْ أعْيُنِ النُّظّارِ [1]

نعم ، تلك الحادثة العجيبة تبين لنا أن العنايات الإلهية أحاطت زينب الكبرى (ع) بحجب وهالات من نور منعت أعين الناظرين من النظر إلى قامتها .

مراقبة زينب (ع) على العمل بالحلال والنهي عن الحرام

في أشد أوقات العسرة وأصعبها لم تغفل السيدة زينب (ع) عن الأحكام الإلهية في الحلال والحرام والمستحب والمكروه ، وحسبها هذا المقام أن ائتمنها الإمام السجاد (ع) على بعض من أسرار الولاية والإمامة فكانت تبين للناس الأحكام الشرعية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وحتى في المستحبات لم تكن غافلة عن ذكر الله والصلاة له ، فبعد واقعة الطف وفي أيام الأسر والسبي لم تترك صلاة الليل !!

---

[1] ـ علي الأكبر (ع) (للسيد عبدالرزاق المقرم) : ص ٢١

وأمر الحجاب كان أحد تلك الأمور التي أولتها السيدة زينب (ع) عناية كبيرة ، فلما دخلت هي وأهل البيت (ع) إلى الكوفة أسرى كانت تنادي في الناس : " يَا أَهْلَ الكوفَة ، غُضُّوا أَبْصارَكُمْ عَنَّا ، أَمَا تَسْتَحْيُونَ مِنَ الله وَرَسولِهِ أَنْ تَنْظُروا إِلَى حَرَمِ رَسولِ الله !! "[1] .

وحينما أدخلوا إلى مجلس يزيد في الشام قامت زينب (ع) وقالت ليزيد : " أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإمائك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن تحدوا بهن الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل ويتصفح وجوههن القريب والبعيد والدني والشريف ليس معهن من رجالهن ولي ولا من حماتهن حمي " !![2]

ولما كان أهل الكوفة يناولون الأطفال الذين كانوا على المحامل بعض التمر والخبز والجوز صاحت بهم أم كلثوم (زينب الكبرى (ع)) وقالت : " يا أهل الكوفة إن الصدقة علينا حرام " !! وصارت تأخذ ذلك من أيدي الأطفال وأفواههم وترمي به إلى الأرض [3] .

تلك المرأة العظيمة والسيدة الكبرى بالرغم من شدة جوعها وتقديم حصتها من الطعام إلى اليتامى والأطفال إلا أنها أبت أن تأكل حراما ، فكانت قدوة للنساء والأطفال من أهل البيت (ع) . .

---

[1] ـ معالي السبطين : ج ٢ ص ٩٨

[2] ـ بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١٣٤

[3] ـ بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١١٤ ، مقتل الحسين (للمقرم) : ص ٣٨٤ ،
وطبقا لروايات أهل البيت (ع) أن الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) قال قال رسول ا... (ص) : " لا تحل الصدقة لي ولا لأهل بيتي ،إن الصدقة أوساخ أموال الناس " (مستدرك الوسائل : ج ٧ ص ١١٨ رواية ٧٧٩٦)

صفات الأضداد في حياة زينب (ع)

من صفات أولياء الله أنهم ليسوا ذوي بُعد واحد أو بُعدين ، بل هم القدوة في جميع الأبعاد الإنسانية فعامة الناس ذوو أطباع مختلفة ومتفاوتة فمنهم قسي القلب ومنهم رقيق القلب ومنهم ما بين هذا وذاك ، ولكن الأنبياء والأئمة وأولياء الله الصالحين تجتمع فيهم صفات الأضداد ، مثلا يتميزون بالشجاعة ورباطة الجأش وفي نفس الوقت يتميزون برقة القلب والرأفة فيلاطفون اليتيم وتذرف عينهم عند رؤية المظلوم والفقير ، وفي الوقت الذي كانوا يتميزون بالصلابة وقوة الرأي أمام الأعداء كانوا يتواضعون للمستضعفين ويشفقون عليهم .

ومن هؤلاء الأولياء زينب الكبرى (ع) ، حيث اجتمعت فيها صفات الأضداد ، كانت تخطب في الأعداء خطبتها الغراء بالبلاغة والفصاحة وقوة قلب وثبات اهتزت لها عروش الظالمين ، ولكن في لحظات كان يرق قلبها ولا تملك نفسها فتبكي بكاء شديدا حتى يغشى عليها .

في ليلة عاشوراء ، اعتزل أبو عبدالله الحسين (ع) في خباء له وكان يقول :

يا دهــــر أف لك مـــن خليــل	كــم لـك بـالإشـراق والأصيـــــــل
مـن صــاحــب أو طـالـب قتيل	والــدهـــر لا يقنــع بالبديـــــــل
وإنمـــا الأمــــر إلى الجليـل	وكــل حـــي ســالـك ســـبيـــل

لما سمعت زينب (ع) ذلك لم تملك نفسها فوثبت تجر ذيلها نادبة أخاها حتى انتهت إليه فأخذت تلطم وجهها وخرت مغشيا عليها ، فتلك زينب (ع) التي لم تتحمل سماع أخيها ينعى نفسه هي تلك التي كانت في اليوم الحادي عشر من المحرم ترى جثث قتلاها وهي صابرة محتسبة ، وتداري الأطفال واليتامى وتسلي إمام زمانها زين العابدين (ع) ومن ثم تلقي خطبتها في مجلس ابن زياد ويزيد بن معاوية بكل قوة ورباطة جأش فلم تلن لهم جانبا ولم

تعرهم اهتماما وبكمال اليقين والرضا بقضاء الله تقول لابن زياد : " ما رأيت إلا جميلا " وتقول " والحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد (ص) وطهرنا من الرجس تطهيرا "[1].

تلك السيدة الجليلة التي كان لسانها علويا وقلبها فاطميا ودمها حسينيا ، كانت معدنا للحياء والعفة فلم ير أجنبي قامتها سواء في المدينة أو في خلافة أبيها أمير المؤمنين (ع)[2] إلى أن كان يوم عاشوراء هنالك ، ولإحقاق الحق وإبطال الباطل صلبت وجلدت أمام الطواغيت وخطبت خطبها البليغة حتى قال في شأنها بشير بن خزيم الأسدي : " وَلَمْ أَرَ وَالله خَفِرَةً قَطُّ أَنْطَقَ مِنْهَا " !![3]

الروايات التي وردت عن زينب (ع)

تعتبر الأساليب والمناهج العلمية الصحيحة واتباعها من الطرق التي تساهم في تطور المجتمع ، وتطور المجتمع الإسلامي يعتمد على ثقلين أساسيين هما القرآن الكريم والروايات ، فهما يساهمان في رفع مستوى الثقافة الإسلامية ويساهمان في التمييز بين الحق والباطل .

فبعد تعلم القرآن الكريم وفهمه يعتبر علم الأحاديث والعمل بمحتواها من أهم أركان الثقافة الإسلامية وعلى هذا يقول رسول الله (ص) : " مَنْ حَفِظَ مِنْ أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثاً مِمَّا يَحْتَاجونَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ بَعَثَهُ الله يَوْمَ القِيَامَةِ فَقِيهاً عَالِماً "[4].

---

[1] ـ مقتل الحسين (للمقرم) : ص ٤٤

[2] ـ تنقيح المقال : ج ٣ ص ٧٩

[3] ـ الاحتجاج (للطبرسي) : ج ٢ ص ١٠٩

[4] ـ بحار الأنوار : ج ٢ ص ١٥٣

ويقول الإمام الصادق (ع): " الراوِيَةُ لِحَديثِنَا يَشُدُّ بِهِ قُلوبَ شيعَتِنا أفْضَلَ مِنْ ألفِ عابِدٍ" [1].

ومن جملة النشاطات التي كانت تؤديها زينب الكبرى (ع) هي تثقيف المجتمع الإسلامي عن طريق تفسير القرآن الكريم ورواية الأحاديث الشريفة التي وردت عن رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) وفاطمة الزهراء (ع)، وبيان أحداث كربلاء وما جرى على أهل بيت النبوة من خلال الخطب والأحاديث وتبيين الحقائق لإتمام الحجة على الناس وإخراجهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم، فكانت ثورتها العلمية انعطافا خطيرا وتحولا عميقا في الفكر الإسلامي بل كانت الأساس في سائر الثورات التي تلتها، والنبراس في هداية الضالين عن صراط الحق.

وهنا نبين أشهر الروايات التي رويت عن سيدتنا الكبرى زينب (ع):

١- زينب (ع) تروي خطبة أمها الزهراء (ع)

على الرغم من صغر سن زينب (ع) والتي تتجاوز السابعة من عمرها إلا أنها حفظت الخطبة الغراء التي خطبتها أمها الزهراء (ع) في المسجد النبوي الشريف بعد وفاة أبيها رسول الله (ص) والتي كانت تحمل في طياتها كثيرا من الأمور الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والعرفانية، فنقل الكثير من رواة الحديث هذه الخطبة عن السيدة زينب (ع).

٢- نقل حديث أم أيمن عن رسول الله (ص)

توفت آمنه بنت وهب - أم رسول الله (ص) - في الأبواء - بين المدينة ومكة - فيُتِّم رسول الله (ص) وكان عمره يومئذ ست سنين فرجعت به حاضنته أم أيمن إلى مكة فكانت مما ورثه

---

[1] - أصول الكافي: ج ١ ص ٣٣

رسول الله (ص) من أمه وكان اسمها بركة ، ولما تزوج رسول الله (ص) بخديجة أعتقها وزوجها عبيد الخزرجي بمكة فولدت له أيمن الذي استشهد في غزوة حنين ، ولما مات زوجها زوّجها النبي (ص) من زيد بن حارثة فولدت له أسامة .

كانت أم أيمن من خواص النساء التي تخدم فاطمة الزهراء (ع) وكان لها شأنا عظيما في بيت العصمة وقال فيها أبو جعفر الباقر (ع) : " أَشْهَدُ أَنَّ أُمَّ أَيْمَنَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّة "[1] .

كانت أم أيمن من رواة أحاديث أهل البيت (ع) ، ومن جملة رواياتها هذه الرواية التي تحمل في طياتها أسرارا كثيرة ونقلتها عنها السيدة زينب (ع) :

قال الإمام علي بن الحسين (ع) : قالت عمتي زينب (ع) : حدثتني أم أيمن أن رسول الله (ص) زار منزل فاطمة (ع) يوما من الأيام فعملت له حريرة [2] وأتاه علي (ع) بطبق فيه تمر ثم قالت أم أيمن فأتيتهم بعس [3] فيه لبن وزبد فأكل رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) من تلك الحريرة وشرب رسول الله (ص) وشربوا من ذلك اللبن ثم أكل وأكلوا من ذلك التمر بالزبد ثم غسل رسول الله يده وعلي يصب عليه الماء فلما فرغ من غسل يده مسح وجهه ثم نظر إلى علي وفاطمة والحسن والحسين نظرا عرفنا فيه السرور في وجهه ثم رمق بطرفه نحو السماء مليا ثم وجه وجهه نحو القبلة وبسط يديه يدعو وهو ينشج [4] فأطال النشوج وعلا نحيبه وجرت دموعه ثم رفع رأسه وأطرق إلى الأرض ودموعه تقطر كأنها صوب المطر ، فحزنت فاطمة وعلي والحسن والحسين وحزنت معهم لما رأينا من رسول الله ، وهبناه أن نسأله حتى إذا طال ذلك قال له علي وقالت له فاطمة : ما يبكيك يا رسول الله لا أبكى الله عينيك وقد أقرح قلوبنا ما نرى من حالك !! وقال (ص) : يا أخي

---

[1] ـ سفينة البحار : ج ٢ ص ٧٣٦ وص ٧٣٧ ، بحار الأنوار : ج ٢٢ ص ٣٦٥

[2] ـ حريرة : أكل يصنع من الدقيق والزيت واللبن

[3] ـ العس : قدح عظيم

[4] ـ نشج : غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب

سررت بكم (وقال مزاحم بن عبد الوارث في حديثه ههنا يا حبيبي إني سررت بكم سرورا ما سررت مثله قط) وإني لأنظر إليكم وأحمد الله على نعمته علي فيكم إذ هبط علي جبريل فقال : يا محمد إن الله تبارك وتعالى اطلع على ما في نفسك وعرف سرورك بأخيك وابنتك وسبطيك فأكمل لك النعمة وهنأك العطية بأن جعلهم وذرياتهم ومحبيهم وشيعتهم معك في الجنة لا يفرق بينك وبينهم يحيون كما تحيى ويعطون كما تعطى حتى ترضى وفوق الرضا على بلوى كثيرة تنالهم في الدنيا ومكاره تصيبهم بأيدي أناس ينتحلون ملتك ويزعمون أنهم من أمتك برآء من الله ومنك خبطا خبطا وقتلا قتلا شتى مصارعهم نائية قبورهم خيرة من الله لهم ولك فيهم ، فاحمد الله عز وجل على خيرته وارض بقضائه ، فحمدت الله ورضيت بقضائه بما اختاره لكم ، ثم قال جبريل : يا محمد إن أخاك مضطهد بعدك مغلوب على أمتك متعوب من أعدائك ثم مقتول بعدك يقتله أشر الخلق والخليقة وأشقى البرية نظير عاقر الناقة ببلد تكون إليه هجرته وهو مغرس شيعته وشيعة ولده وفيه على كل حال يكثر بلواهم ويعظم مصابهم وإن سبطك هذا وأومأ بيده إلى الحسين (ع) مقتول في عصابة من ذريتك وأهل بيتك وأخيار من أمتك بضفة الفرات بأرض تدعى كربلاء من أجلها يكثر الكرب والبلاء على أعدائك وأعداء ذريتك في اليوم الذي لا ينقضي كربه ولا تفنى حسرته وهي أطهر بقاع الأرض وأعظمها حرمة ، وإنها لمن بطحاء الجنة ، فإذا كان ذلك اليوم الذي يقتل فيه سبطك وأهله وأحاطت بهم كتائب أهل الكفر واللعنة تزعزت الأرض من أقطارها ومادت الجبال وكثر اضطرابها واصطفقت [1] البحار بأمواجها وماجت السماوات بأهلها غضبا لك يا محمد ولذريتك واستعظاما لما يُنتهك من حرمتك ولشر ما يتكافى به في ذريتك وعترتك ولا يبقى شيء من ذلك إلا استأذن الله عز وجل في نصرة أهلك المستضعفين المظلومين الذين هم حجة الله على خلقه بعدك فيوحي الله إلى السماوات والأرض والجبال والبحار ومن فيهن أني أنا الله الملك القادر والذي لا يفوته هارب ولا يعجزه ممتنع وأنا أقدر على الانتصار والانتقام وعزتي وجلالي لأعذبن من وتر رسولي وصفيي وانتهك حرمته وقتل عترته

---

[1] - اصطفقت : اضطربت

ونبذ عهده وظلم أهله عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ، عند ذلك يضج كل شيء في السماوات والأرضين بلعن من ظلم عترتك واستحل حرمتك فإذا برزت تلك العصابة إلى مضاجعها تولى الله عز وجل قبض أرواحها بيده وهبط إلى الأرض ملائكة من السماء السابعة معهم آنية من الياقوت والزمرد مملوءة من ماء الحياة وحلل من حلل الجنة وطيب من طيب الجنة فغسلوا جثثهم بذلك الماء وألبسوها الحلل وحنطوها بذلك الطيب وصلى الملائكة صفا صفا عليهم ثم يبعث الله قوما من أمتك لا يعرفهم الكفار لم يشركوا في تلك الدماء بقول ولا فعل ولا نية ، فيوارون أجسامهم ويقيمون رسما لقبر سيد الشهداء بتلك البطحاء يكون علما لأهل الحق وسببا للمؤمنين إلى الفوز وتحفه ملائكة من كل سماء مائة ألف ملك في كل يوم وليلة ويصلون عليه ويسبحون الله عنده ويستغفرون الله لزواره ويكتبون أسماء من يأتيه زائرا من أمتك متقربا إلى الله وإليك بذلك وأسماء آبائهم وعشائرهم وبلدانهم ويوسمون في وجوههم بميسم [1] نور عرش الله " هذا زائر قبر سيد الشهداء وابن خير الأنبياء " ، فإذا كان يوم القيامة سطع في وجوههم من أثر ذلك الميسم نور تغشى منه الأبصار يدل عليهم ويعرفون به ، وكأني بك يا محمد بيني وبينك ميكائيل وعلي أمامنا ومعنا من ملائكة الله ما لا يحصى عدده ونحن نلتقط مَن ذلك الميسم في وجهه من بين الخلائق حتى ينجيهم الله من هول ذلك اليوم وشدائده وذلك حكم الله وعطاؤه لمن زار قبرك يا محمد أو قبر أخيك أو قبر سبطيك لا يريد به غير الله عز وجل وسيجد أناس ممن حقت عليهم من الله اللعنة والسخط أن يعفو رسم ذلك القبر ويمحو أثره فلا يجعل الله تبارك وتعالى لهم إلى ذلك سبيلا ، فقال رسول الله (ص) فهذا أبكاني وأحزنني !! [2]

---

[1] ـ الميسم : اسم الآلة التي يكون بها الوسم أي العلامة ، وأصله الواو وجمعه مياسم ومواسم ، الأولى على اللفظ والثانية على الأصل .

[2] ـ كامل الزيارات (لابن قولويه) : ص ٣٤ ، بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١٧٩ ـ ص ١٨٣

٣- ذكر زينب (ع) حديث أم أيمن في محضر أمير المؤمنين (ع)

قالت زينب (ع) : لما ضرب ابن ملجم لعنه الله أبي (ع) ، ورأيت أثر الموت منه قلت له : يا أبه ، حدثتني أم أيمن بكذا وكذا وقد أحببت أن أسمعه منك ، فقال : يا بنية الحديث كما حدثتك أم أيمن ، وكأني بك وببنات أهلك سبايا بهذا البلد أذلاء خاشعين تخافون أن يتخطفكم الناس فصبرا صبرا ، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة مالله على الأرض يومئذ ولي غيركم وغير محبيكم وشيعتكم ، ولقد قال لنا رسول الله حين أخبرنا بهذا الخبر أن إبليس في ذلك اليوم يطير فرحا فيجول الأرض كلها في شياطينه وعفاريته فيقول يا معشر الشياطين قد أدركنا من ذرية آدم الطلبة وبلغنا في هلاكهم الغاية وأورثناهم النار إلا من اعتصم بهذه العصابة فاجعلوا شغلكم بتشكيك الناس فيهم وحملهم على عداوتهم وإغرائهم بهم وأوليائهم حتى تستحكم ضلالة الخلق وكفرهم ولا ينجو منهم ناج ولقد صدق عليهم إبليس وهو كذوب أنه لا ينفع مع عداوتكم عمل صالح ولا يضر مع محبتكم وموالاتكم ذنب غير الكبائر .

قال زائدة : ثم قال علي بن الحسين (ع) بعد أن حدثني بهذا الحديث : خذه إليك ، أما لو ضربت في طلبه آباط الإبل [1] حولا لكان قليلا !! [2]

٤- ذكر زينب (ع) حديث أم أيمن للإمام زين العابدين (ع)

يقول الإمام زين العابدين (ع) : لما أصابنا في الطف ما أصابنا وقتل أبي (ع) وقتل من كان معه من ولده وإخوته وسائر أهله وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة فجعلت

[1] - ضرب آباط الإبل كناية عن الركض والاستعجال فإن المستعجل يضرب برجليه بإبطي الإبل ليعدو ، أي لو ركبت الإبل وضربت إبطيه لتستعجله وجلت به أقطار الأرض في طلب هذا الحديث لكان قليلا ما فعلت .

[2] - بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١٨٣

أنظر إليهم صرعى ولم يواروا فيعظم ذلك في صدري ويشتد لما أرى منهم قلقي فكادت نفسي تخرج وتبينت ذلك مني عمتي زينب بنت علي الكبرى فقالت : ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وإخوتي ؟! فقلت : وكيف لا أجزع وأهلع وقد أرى سيدي وإخوتي وعمومتي وولد عمي وأهلي مضرجين بدمائهم مرملين بالعراء مسلبين لا يكفنون ولا يوارون ولا يعرج عليهم أحد ولا يقربهم بشر كأنهم أهل بيت من الديلم والخزر !! فقالت : لا يجزعنك ما ترى ، فوالله إن ذلك لعهد من رسول الله إلى جدك وأبيك وعمك ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض وهم معروفون في أهل السماوات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها وهذه الجسوم المضرجة وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا ظهوراً وأمره إلا علواً "[1] ، ثم ذكرت له حديث أم أيمن الذي سمعته من رسول الله (ص) .

وبهذا الحديث جعلت السيدة زينب (ع) تواسي وتصبّر ابن أخيها الإمام زين العابدين عليه أفضل صلوات المصلين .

٥- حديث زينب (ع) في عبادة أمها الزهراء (ع)

عن فاطمة الصغرى بنت الحسين (ع) عن زينب بنت علي (ع) قالت : رأيت أمي فاطمة (ع) قامت في محرابها ليلة جمعتها ، فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء ، فقلت لها : أماه ، لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك ؟! قالت : " الجَارُ ثُمَّ الدَّار "[2] .

---

[1] ـ كامل الزيارات (لابن قولويه) : باب ٨٨ ص ٢٦١ ، بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١٧٩ – ص ١٨٠

[2] ـ رياحين الشريعة : ج ٣ ص ٧٣ ، (بعض الرواة ينقلون هذه الرواية عن الإمام الحسين (ع) (بحار الأنوار : ج ٤٣ ص ٨١ ، دلائل الإمامة للطبري : ص ٥٦٠)

٦- رواية أن فاطمة الزهراء (ع) حورية ألسية

عن زينب الكبرى (ع) عن علي بن أبي طالب (ع) قال قال رسول الله (ص) :
" إِنَّ فَاطِمَةَ خُلِقَتْ حُورِيَّةً فِي صُورَةٍ إِنْسِيَّة "[1] .

٧- حديث زينب (ع) في شأن محبي آل محمد (ص)

روي عن السيدة زينب (ع) أنها قالت قالت أمي فاطمة الزهراء (ع) قال رسول الله (ص) :
" ألاَ مَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ شهيداً "[2] .

٨- رواية زينب (ع) أن المهدي (عج) هو التاسع من ولد الحسين (ع)

عن علي بن الحسين (ع) عن عمته زينب بنت علي (ع) عن فاطمة (ع) قالت : دخل إلي رسول الله (ص) عند ولادة ابني الحسين فناولته إياه في خرقة صفراء فرمى بها وأخذ خرقة بيضاء فلفه فيها ثم قال : " خُذِيهِ يَا فَاطِمَة ، فَإِنَّهُ الإِمَامُ وَأَبُو الأَئِمَّةِ ، تِسْعَةٌ مِنْ صُلْبِهِ أَبْرَارٌ وَالتَاسِعُ قَائِمُهُمْ "[3] .

٩- رواية زينب (ع) عن كيفية دفن والدها (ع)

عن أم كلثوم زينب بنت علي (ع) أنها قالت : كان آخر عهد أبي إلى أخوي (عليهما السلام) أن قال : يا بني ، إن أنا مت فغسلاني ثم نشفاني بالبردة التي نشف بها رسول الله (ص)

---

[1] - بحار الأنوار : ج ج ٨١ ص ١١٢ (نقلا عن دلائل الإمامة للطبري : ص ٥٢)

[2] - اللؤلؤة الثمينة : ص ٢١٧

[3] - بحار الأنوار : ج ٣٦ ص ٣٥٠ ، ناسخ التواريخ : ص ٥٦٥

وفاطمة (ع) ثم حنطاني وسجياني على سريري ثم انظرا حتى إذا ارتفع لكما مقدم السرير فاحملا مؤخره .

قالت : فخرجت أشيع جنازة أبي حتى إذا كنا بظهر الكوفة وقدمنا بظهر الغري ركن المقدم فوضعنا المؤخر ، ثم برز الحسن (ع) مرتديا بالبردة التي نشف بها رسول الله (ص) وفاطمة وأمير المؤمنين (عليهما السلام) ، ثم أخذ المعول فضرب ضربة فانشق القبر عن ضريح فإذا هو بساجة مكتوب عليها سطران بالسريانية " بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا قَبْرٌ حَفَرَهُ نُوحٌ النَّبِيُّ لِعَلِيٍّ وَصِيِّ مُحَمَّدٍ قَبْلَ الطُّوفَانِ بِسَبْعِمَائَةِ عَامٍ " .

ثم قالت : فانشق القبر فلا أدري أغاب سيدي في الأرض أم أسري به إلى السماء إذ سمعت ناطقا بالتعزية وهو يقول : " أَحْسَنَ اللهُ لَكُمُ العَزَاءَ فِي سَيِّدِكُمْ وَحُجَّةِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ " [1].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن سيدنا آدم (ع) أيضا دفن في ذلك الموضع الذي دفن فيه أمير المؤمنين علي (ع) ، وسيدنا نوح (ع) وصى أن يدفن في نفس الموضع [2] ، وهو بلا شك كان يعلم أن ذلك الموضع سيكون مرقدا مطهرا للإمام علي (ع) ، فحفر قبرا لمولانا أمير المؤمنين (ع) لينال شرف مجاورة قبر وصي رسول رب العالمين (ص) .

وعلى هذا إذا زار زائر قبر مولانا الإمام أمير المؤمنين (ع) فمن المستحب أن يزور سيدنا آدم (ع) ونوح (ع) .

---

[1] – زينب الكبرى (للعلامة الشيخ جعفر النقدي) : ص ٣٧ (نقلا عن رياحين الشريعة : ج ٣ ص ٧٢) ، بحار الأنوار : ج ٤٢ ص ٢١٦ وتجدر الإشارة هنا أن السيدة زينب (ع) حضرت تشييع جنازة والدها أمير المؤمنين (ع)

[2] – تفسير البرهان : ج ٤ ص ٣٩٠ ، الأنوار البهية : ص ١١٠

١٠- ذكر فضائل الإمام علي (ع) على لسان زينب (ع)

عن ليلى الغفارية قالت : كنت امرأة أخرج مع رسول الله (ص) أداوي الجرحى ، فلما كان يوم الجمل أقبلت مع علي (ع) فلما فرغ دخلت على زينب (ع) عشية فقلت : حدثيني ، هل سمعت من رسول الله (ص) في هذا الرجل شيئا ؟! [1]
قالت : نعم دخلت على رسول الله (ص) وهو وعائشة على فراش وعليهما قطيفة فأتى علي فاقعى كجلسة الأعرابي فقال رسول الله (ص) : " إِنَّ هَذَا أَوَّلُ النَّاسِ إِيماناً وَأَوَّلُ النَّاسِ لِقَاءً بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَآخِرُ النَّاسِ بِي عَهْداً عِنْدَ الْمَوْتِ " [2] .

هجرات زينب (ع)

تعتبر الهجرة من السمات التي تميزت بها السيدة زينب الكبرى (ع) على مدى عمرها الشريف ، وكان جل همها في تلك الهجرات مرافقة موكب الإمامة والانضمام إلى قافلة الولاية تبتغي وراء ذلك وجه الله عز وجل ومرضاته .

وكانت هجراتها (ع) كالتالي :

١- الهجرة من المدينة إلى الكوفة :

وكانت بصحبة أبيها أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين (ع) وإخوتها الغر الميامين والنجباء المكرمين من آل طه وياسين عليهم صلوات الله أبد الآبدين .

---

[1] – مع العلم أن عند وفاة رسول الله (ص) كان لزينب (ع) من العمر خمسة أعوام .
[2] – سفينة البحار : ج ١ ص ١٤٩ ، بحار الأنوار : ج ٣٨ ص ٢٣٩

٢- الهجرة من الكوفة إلى المدينة :

وكانت بعد صلح الإمام الحسن المجتبى (ع) مع معاوية بن أبي سفيان .

٣- الهجرة من المدينة إلى كربلاء :

وكانت هذه الهجرة العظيمة مع أخيها الإمام الحسين (ع) حيث تركت المدينة ونعيمها وقصدت كربلاء ولهيبها مع إمام معصوم فأرادت بذلك الفناء في ذات الله الأقدس والقرب من جواره المقدس يدا بيد أخيها ، فسارت معه حيث سار ودارت معه حيث دار .

٤- الهجرة من كربلاء إلى الكوفة والشام :

أجبرتها قسوة الزمان على وداع أعزة أهلها وجارها الدهر فسحب يدها من يد أخيها ، وكلٌ يصاب بفقيده ولكن أثر المصاب على قدر شأن الفقيد ، ومن كان أعلى شأنا وأرفع مقاما وأجل منزلة من أخيها ابن بنت رسول الله (ص) وخامس أصحاب الكساء وثالث أئمة الهدى وأبي التسعة المعصومين من ذرية خير الورى !! فبعد أن رافقت إخوتها وأهلها معززة مكرمة تركتهم مكسورة القلب دامعة العين محدودبة الظهر ، فألبسها الله تاج الكرامة ولباس العزة وجزاها في صبرها على مصابها خير الجزاء .

٥- الهجرة من الشام إلى كربلاء ثم عودتها إلى المدينة :

رجعت مع حريم الرسالة وحرائر النبوة إلى كربلاء لتجديد العهد بزيارة الحسين (ع) ، فأقيمت المآتم عند قبور الشهداء لمدة ثلاثة أيام ، ومن ثم رجعت مع القافلة إلى المدينة .

٦- الهجرة من المدينة إلى الشام :

وكانت هجرتها الأخيرة مع زوجها عبدالله بن جعفر أيام عبدالملك بن مروان سنة المجاعة وأقامت فيها حتى توفيت (ع) .

والهجرة من المواضيع الأساسية التي أولاها الإسلام والقرآن اهتماما بالغا ، فورد ذكرها في القرآن الكريم ٣١ مرة ، والهجرة على قسمين :

هجرة ظاهرية : وهي الانتقال ظاهرا من مكان إلى آخر كهجرة الرسول الأعظم (ص) من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة .

هجرة باطنية : وهي هجرة ذات الإنسان وروحه من الظلمات إلى النور .

الهجرة تعني : الابتعاد عن التوقف والرجوع القهقري ، والحركة إلى الرقي والتعالي .

الهجرة تعني : كسر دائرة ضيق البيئة المحدودة والتوجه إلى عالم وسيع .

الهجرة تعني : العزم على بقاء حياة مهددة بالفناء .

الهجرة تعني : السفر من مكان إلى مكان لإقامة الحق والعدل .

الهجرة تعني : تبديل ثورة محلية وقبلية إلى ثورة عالمية .

الهجرة تعني : طي الطريق الصعب والطويل للخلاص من المذلة والمهانة .

الهجرة تعني : محاربة الأعداء في الجبهات الخارجية

ولأهمية الهجرة في التاريخ الإسلامي نرى أن في عصر خلافة الخليفة الثاني وبعد محادثات في تحديد مبدأ التاريخ الإسلامي اقترح أمير المؤمنين علي (ع) أن يكون هذا التاريخ هو تاريخ هجرة رسول الله (ص) من مكة إلى المدينة ، وكان كذلك [1] .

---

[1] - تاريخ الطبري : ج ٢ ص ١١٢

ونقرأ في الآية (٢١٨) من سورة البقرة : " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ " .

كانت السيدة زينب الكبرى (ع) تعيش في المدينة المنورة مع زوجها عبدالله بن جعفر ، وما أن قتل عثمان بن عفان وبايع الناس أمير المؤمنين عليا (ع) حتى كشف المنافقون عن نواياهم وأبدى أعداء حكومة علي (ع) العادلة عداوتهم ، فأججوا نار الفتنة وأشعلوها حروبا داخلية فكانت وقعة الجمل وصفين والنهروان .

ووقعة الجمل قامت بتحريض من طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعائشة بنت أبي بكر – زوجة الرسول (ص) – فاجتمع الناكثون بيعة علي (ع) في البصرة فحاربهم علي (ع) وأصحابه [1] ونصرهم الله نصرا عزيزا .

ومن ثم اتجه أمير المؤمنين (ع) إلى الكوفة فكانت مقرا لخلافته الميمونة .

ثم كان يوم صفين ، يوم التقى جيش أمير المؤمنين (ع) مع جيش معاوية ابن أبي سفيان في الشام والذين سماهم رسول الله (ص) بالقاسطين فصح فيهم قوله تعالى : " وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا " [2] فوقعت معركة صفين الطاحنة والطويلة الأمد والتي استمرت ثمانية عشر شهرا .

وقد شاركت السيدة زينب (ع) في هذه الهجرة مع زوجها عبدالله بن جعفر ، فسكنت الكوفة تشارك والدها أحزانه ومصائبه وما ابتلي به من الغدر والخيانة من الذين نقضوا بيعته ونكثوا عهده وغدروا به وخرجوا عليه .

---

[1] – وكان الإمام علي (ع) يتلو وقت مبايعتهم له : " فمن نكث فإنما ينكث على نفسه " (بحار الأنوار : ج ٣٢ ص ٣٠٩)

[2] – بحار الأنوار : ج ٣٢ ص ٣٠٩

وقضت السيدة زينب (ع) أيامها في ظل خلافة أبيها المباركة في الكوفة بتدريس القرآن وتفسيره وبيان أحكام الدين للنساء ومواساة الفقراء والقيام بحوائج المحتاجين إلى أن أصيبت بعظيم الرزية وجليل المصيبة باستشهاد والدها إمام المتقين أمير المؤمنين (ع) فآثرت الصبر على الفجيعة وتجرعت غصص الحزن رجاء عظيم الثواب وجزيل العطاء من الملك المنان .

زينب (ع) آخر من استضاف أمير المؤمنين (ع) يوم استشهاده

كان أمير المؤمنين (ع) في شهر رمضان وفي السنة التي استشهد فيها يفطر يوما عند الحسن (ع) ويوما عن الحسين (ع) ويوما عند عبدالله بن جعفر زوج زينب ابنته لأجلها ، لا يزيد على ثلاث لقم فقيل له في ذلك فقال : " يَأْتِينِي أَمْرُ الله وَأَنَا خَمِيصٌ [1] ، إِنَّمَا هِيَ لَيْلَةٌ أَوْ لَيْلَتَان " ، فاصيب في تلك الليلة [2] .

قالت أم كلثوم بنت أمير المؤمنين صلوات الله عليه (وأم كلثوم هي كنية السيدة زينب (ع)) لما كانت ليلة تسع عشرة من رمضان قدمت إليه عند إفطاره طبقا فيه قرصان من خبز الشعير وقصعة فيها لبن وملح جريش ، فلما فرغ من صلاته أقبل على فطوره فلما نظر إليه وتأمله حرك رأسه وبكى بكاء شديدا عاليا وقال : يا بنية ما ظننت أن بنتا تسوء أباها كما أسأت أنت إلي !! قالت : وماذا يا أباه ؟! قال : يا بنية أتقدمين إلى أبيك إدامين في فرد طبق واحد أتريدين أن يطول وقوفي غدا بين يدي الله عز وجل يوم القيامة ، أنا أريد ان أتبع أخي وابن عمي رسول الله (ص) ما قدم إليه إدامين في طبق واحد إلى أن قبضه الله ، .... ، يا بنية ، والله لا آكل شيئا حتى ترفعي أحد الإدامين ، فلما رفعته تقدم إلى الطعام فأكل قرصا

---

[1] ـ خميص : ضامر البطن

[2] ـ الإرشاد للمفيد : ج ١ ص ٣٢١

واحدا بالملح الجريش ثم حمد الله وأثنى عليه ، ثم قام إلى صلاته فصلى ولم يزل راكعا وساجدا ومبتهلا ومتضرعا إلى الله سبحانه ويكثر الدخول والخروج وهو ينظر إلى السماء وهو قلق يتململ ثم قرأ سورة يس حتى ختمها ثم رقد هنيئة وانتبه مرعوبا وجعل يمسح وجهه بثوبه ونهض قائما على قدميه وهو يقول : اللهم بارك لنا في لقائك ، .... ، إلى أن قالت أم كلثوم كأني به وقد جمع أولاده وأهله وقال : في هذا الشهر تفقدوني ، إني رأيت في هذه الليلة رؤيا هالتني وأريد أن أقصها عليكم [1] ، قالوا : وما هي ؟! قال : رأيت الساعة رسول الله (ص) في منامي وهو يقول لي يا أبا الحسن إنك قادم إلينا عن قريب ، يجيء إليك أشقاها فيخضب شيبتك من دم رأسك وأنا والله مشتاق إليك ، فهلم إلينا فما عندنا خير لك وأبقى !! فلما سمعوا كلامه ضجوا بالبكاء والنحيب وأبدوا العويل فأقسم عليهم بالسكوت فسكتوا [2] .

وبعدما ضُرب الإمام علي (ع) بيد الملعون ابن ملجم نادى جبريل بين السماء والأرض بصوت يسمعه كل مستيقظ : تهدمت والله أركان الهدى وانطمست والله نجوم السماء وأعلام التقى ، وانفصمت والله العروة الوثقى ، قُتل ابن عم محمد المصطفى ، قُتل الوصي المجتبى ، قُتل علي المرتضى ، قُتل والله سيد الأوصياء قتله أشقى الأشقياء ، فلما سمعت أم كلثوم نعي جبريل لطمت على وجهها وخدها وشقت جيبها وصاحت : وا أبتاه ! وا علياه ! وا محمداه ! وا سيداه ! [3]

---

[1] - روى إسماعيل بن زياد قال حدثتني أم موسى خادمة علي (ع) قالت سمعت عليا يقول لابنته أم كلثوم : يا بنية إني أراني قلّ ما أصحبكم ، قالت وكيف ذلك يا أبتاه !! قال : إني رأيت رسول ا... (ص) في منامي وهو يمسح الغبار عن وجهي ويقول : يا علي ، لا عليك ، قد قضيت ما عليك ، قال فما مكثنا إلا ثلاثا حتى ضرب تلك الضربة فصاحت أم كلثوم فقال : يا بنية لا تفعلي فإني أرى رسول ا... (ص) يشير إلي بكفه وهو يقول : يا علي هلم إلينا فإن ما عندنا هو خير لك . (بحار الأنوار : ج ٤٢ ص ٢٢٥)

[2] - بحار الأنوار : ج ٤٢ ص ٢٧٦

[3] - بحار الأنوار : ج ٤٢ ص ٢٨٢

على هذا نرى أن السيدة زينب (ع) كانت آخر من استضاف أبيها أمير المؤمنين (ع) وبعدما سمعت منه ذلك الحديث أخذت تراقبه في حركاته وسكناته وتضرعة وبكائه ، فلم تغمض لها عين ولم يهدأ لها بال ، وبعدما فجعت بضربة ابن ملجم لأبيها المظلوم لم تكف عن البكاء وكانت على الدوام إلى جانب والدها ترعاه وهي ترى أثر الضربة على رأسه الشريف واصفرار وجهه المبارك وهو يجود بنفسه ، وكما ذكرنا سابقا أنها لما رأت أثر الموت على أبيها (ع) ذكرت له حديث أم أيمن عن رسول الله (ص) حينما أنبأهما بشهادة أمير المؤمنين (ع) فصدّق أمير المؤمنين (ع) ذلك الحديث وأمر عياله بالصبر على البلاء [1] .

زينب (ع) في عصر خلافة الإمام الحسن (ع)

بعد استشهاد أمير المؤمنين (ع) تولى الإمام الحسن (ع) زمام حكم الأمة الإسلامية وسار على نهج أبيه (ع) في حفظ الإسلام والمسلمين من شر معاوية والخوارج والمنافقين .

دامت خلافته (ع) في الكوفة ستة أشهر وأربعة أيام (من ٢١ رمضان عام ٤٠ من الهجرة إلى ٢٥ ربيع الأول عام ٤١ من الهجرة وهو يوم عقد الصلح مع معاوية) ذاق فيها مرارة الأحداث والمصائب التي انهالت عليه من أعدائه وخيانة أصحابه .

كانت السيدة زينب (ع) في الكوفة إلى جانب أخيها الحسن (ع) تشاركه الآلام والمصائب التي حلت بأهل البيت (ع) والتي بدأت مع ارتحال الرسول الأعظم (ص) .

وبعد مدة من الزمان آثر الإمام الحسن (ع) الرجوع إلى المدينة المنورة ، فرافقته العقيلة زينب (ع) ومكثت إلى جانبه بقية حياته الشريفة (ما يقارب تسع سنين وأربعة أشهر ، فكانت مدة إمامته عشر سنوات) .

---

[1] ـ بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١٨٣

وعلى هذا تكون زينب (ع) قد أقامت في الكوفة لفترة من الزمان تقارب الخمس سنوات (هاجرت إلى الكوفة مع والدها (ع) عام ٣٦ من الهجرة وخرجت منها مع أخيها الحسن (ع) عام ٤١ من الهجرة) ، دخلت زينب (ع) الكوفة مع أبيها أمير المؤمنين علي (ع) معززة مجللة يحيط بها إخوتها النجباء وأهل بيتها الكرماء ، لكنها ودعت الكوفة بعدما أعرض الناس عن دين الله ونكثوا بيعة ولي الله فامتحنه الله بجهاد المنافقين من الناكثين والقاسطين والمارقين ومضطهدا بفتن الضالين حتى قضى نحبه شهيدا ولقي ربه مظلوما ، فودعت قبر أبيها المظلوم (ع) بقلب يملأه الحزن والأسى ، ودخلت المدينة فكانت تتسلى بقبر جدها رسول الله (ص) وأمها الزهراء (ع) وتشكو بثها وحزنها إلى بارئها (ع) تبتغي بذلك وجه الله تعالى والدار الآخرة .

مصيبة زينب (ع) باستشهاد أخيها الحسن (ع)

على الرغم من أن الإمام الحسن (ع) كان في المدينة وبعيدا عن الحكم الأموي المشؤوم ، إلا أن معاوية وأعوانه كانوا يخشونه ويهابونه فكانوا يتعرضون له بالمكر والدسائس وقبائح الفعال والمقال ، وكان معاوية يرسل إلى أصحاب النفوذ من أعوانه لدس السم إلى الحسن (ع) ، وحدث ذلك أكثر من مرة إلا أن المرة الأخيرة كانت على يد جعدة بنت الأشعث التي ضمن لها معاوية أن يزوجها ابنه يزيد فأرسل إليها مائة ألف درهم فسقته سما ولم يمض طويلا حتى استشهد الإمام (ع) .

قال عمر ابن إسحق : كنت مع الإمام الحسن (ع) والإمام الحسين (ع) في الدار ، فدخل الإمام الحسن (ع) المخرج ، فلما خرج قال : " لَقَدْ سُقِيتُ السَّمَّ مِراراً ، مَا سُقِيتُهُ مِثْلَ هَذِهِ المَرَّةِ ، لَقَدْ لَفَظْتُ قِطْعَةً مِنْ كَبِدِي ، وَجَعَلْتُ أُقَلِّبُهَا بِعُودٍ فِي يَدِي "[1] .

---

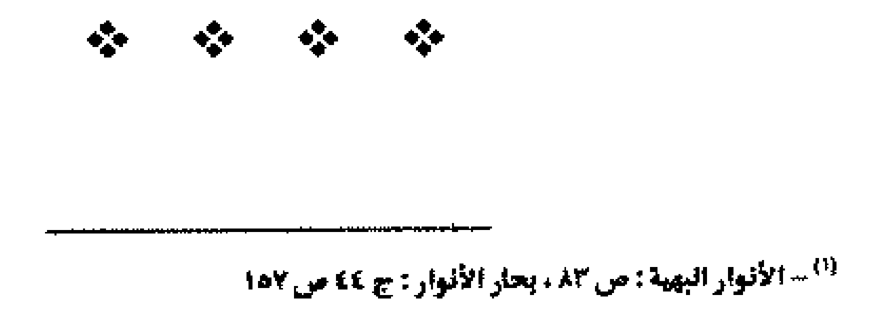
[1] – الإرشاد للمفيد : ج ٢ ص ١٣

كان الإمام الحسن (ع) يتململ تململ السليم من أثر السم ، ولم يكن يستقر من الوجع ، فكانت السيدة زينب (ع) تمرضه وتخفف عنه آلامه ، ولما دنا أجله استدعى الإمام الحسين (ع) فأوصى إليه وسلم إليه الإسم الأعظم ومواريث الأنبياء التي كان أمير المؤمنين (ع) سلمها إليه .

ولما انتقل الإمام الحسن (ع) إلى جوار ربه ، تجددت أحزان زينب (ع) ، فبكت أخاها المظلوم بكاء طويلا وحزنت عليه حزنا شديدا ، ولكن المصيبة التي كانت أشد وقعا على قلب زينب (ع) ، لما أرادوا إخراج جنازة أخيها الحسن (ع) رأت أن بني أمية وبتحريض من عائشة منعوا دفن الإمام الحسن (ع) إلى جوار قبر جده رسول الله (ص) ، بل ورموا بالنبال جنازته حتى سلّوا منها سبعين نبلا !! [1]

شهدت زينب الكبرى (ع) مصيبة أخيها الحسن (ع) وبكت على مظلوميته وتجرعه غصص الغيظ بحلمه فآثرت الصبر على عظيم الرزية والشكر على عظيم البلية .

دارت هذه المصائب على زينب الكبرى (ع) فحملت مسئولية هذه الرسالة وهي في الخامسة والأربعين من العمر ، ولكن كل ما مضى عليها من المصائب الجليلة والرزايا العظيمة إنما كانت مقدمة للمصيبة الكبرى والداهية العظمى ألا وهي مصيبة أخيها الحسين (ع) في كربلاء .



---

[1] ـ الأنوار البهية : ص ٨٣ ، بحار الأنوار : ج ٤٤ ص ١٥٧

الفصل الثاني

زينب عليها السلام
وأحداث كربلاء

معارضة الحسين(ع) الشديدة لبيعة يزيد

بعد استشهاد الإمام الحسن المجتبى (ع) عام خمسين من الهجرة تولى الإمام الحسين (ع) زمام الحكم ، وعلى الرغم من أن زينب (ع) كانت في بيت زوجها عبدالله بن جعفر إلا أنها لم تفارق أخاها أبا عبدالله الحسين (ع) ، وكانت له طائعة لا لكونه أخيها بل لكونه إمام زمانها وقائدها .

ولما مات معاوية في النصف من رجب عام ستين من الهجرة تولى الأمر بعده ابنه يزيد فكتب إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وكان واليا على المدينة من قِبَل معاوية بأخذ البيعة على أهلها وخاصة على الحسين (ع) وقال : " إِنْ أَبَى عَلَيكَ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ وَابْعَثْ إِلَيَّ بِرَأْسِهِ " !!

فأحضر الوليد مروان بن الحكم واستشاره في أمر الحسين (ع) فقال : إنه لا يقبل ولو كنت مكانك ضربت عنقه ، فقال الوليد : ليتني لم أك شيئا مذكورا .

ثم بعث الوليد بن عتبة إلى الحسين (ع) فجاءه في ثلاثين من أهل بيته ومواليه فصار الحسين (ع) إلى الوليد فوجد عنده مروان بن الحكم ، فنعى إليه الوليد معاوية فاسترجع الحسين (ع) ثم قرأ عليه كتاب يزيد وما أمره فيه من أخذ البيعة منه له ، فقال الحسين (ع) : إني لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سرا حتى أبايعه جهرا فيعرف ذلك الناس .

فقال له الوليد : أجل ، فقال الحسين (ع) : فتصبح وترى رأيك في ذلك .

فقال له الوليد : انصرف على اسم الله تعالى حتى تأتينا مع جماعة الناس .

فقال له مروان : والله لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبدا حتى تكثر القتلى بينكم وبينه احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه .

فغضب الحسين (ع) ثم قال : ويلي عليك يا ابن الزرقاء ، أنت تأمر بضرب عنقي !! كذبت والله وأثمت .

ثم أقبل على الوليد فقال : " أيُّها الأمير ، إنَّا أهْلُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ ، وَمَعْدِنِ الرِسَالَةِ ، وَمُخْتَلَفِ المَلائِكَةِ ، وَبِنا فَتَحَ الله وَبِنا خَتَمَ الله ، وَيَزيدُ رَجُلٌ فاسِقٌ شارِبُ الخَمْرَ وَقَاتِلُ النَّفْسَ المُحَرَّمَةَ وَمُعْلِنُ الفِسْقَ ، وَمِثْلِي لا يُبَايِعُ مِثْلَهُ وَلَكِنْ نُصْبِحُ وَتُصْبِحونَ وَنَنْظُرُ وَتَنْظُرونَ أيُّنا أحَقُّ بِالخِلافَةِ وَالبَيْعَةِ "[1].

يقول المفيد (رض) في إرشاده : فقام الحسين (ع) في منزله تلك الليلة وهي ليلة السبت لثلاث بقين من رجب سنة ستين من الهجرة فلما كان آخر نهار السبت بعث الرجال إلى الحسين (ع) ليحضر فيبايع الوليد ليزيد بن معاوية فقال لهم الحسين (ع) : أصبحوا ، ثم ترون ونرى !!

فكفوا تلك الليلة عنه ولم يلحوا عليه ، فخرج (ع) ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب متوجها نحو مكة ومعه بنوه وبنو أخيه وإخوته وجل أهل بيته إلا محمد بن الحنفية وعبدالله بن جعفر وعمر الأطرف[2] وعبدالله بن عباس ، فسار الحسين (ع) إلى مكة وهو يقرأ قوله تعالى : " فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ "[3] ، فوصل مكة ليلة الجمعة الثالث من شعبان من تلك السنة[4].

---

[1] – اللهوف (للسيد ابن طاووس) : ص ٢١ – ص ٢٣ ، بحار الأنوار : ج ٤٤ ص ٣٢٤

[2] – عمر الأطرف هو أخو الإمام الحسين (ع) لأبيه ، وأمه الصهباء أم حبيب بنت عباد التغلبية ، وقيل أنها بيعت لأمير المؤمنين (ع) من سبي اليمامة وقيل من سبي عين التمر ، فأولدها (ع) عمر الأطرف ورقية (مقتل الحسين للسيد محمد تقي آل بحر العلوم : ص ٣٥١ نقلا عن أبصار العين للسماوي)

[3] – سورة القصص : آية ٢١

[4] – إرشاد المفيد : ج ٢ ص ٣١

غير أن الخوارزمي وشهرآشوب وبعض غيرهما يذكرون أن خروجه من المدينة كان لثلاث مضين من شعبان ، والظاهر أنه التباس ، فإن ذلك التاريخ كان لدخوله مكة – على الأصح (مقتل الحسين للسيد محمد تقي آل بحر العلوم : ص ١٤١)

وعلى هذا يمكن القول أن هجرة الحسين (ع) من المدينة إلى مكة كانت على عكس هجرة جده الأكرم رسول الله (ص) من مكة إلى المدينة ، فالرسول (ص) حينما أحس بالخطر من كفار مكة هاجر مع أصحابه إلى المدينة ، فآوى الأنصار رسول الله (ص) والمهاجرين وقسموا أموالهم وديارهم بينهم ، ولكن أسفي على سبط الرسول وقرة عين البتول الحسين (ع) الذي خرج من المدينة مع أهل بيته " خائفا يترقب " !!

بقي الإمام الحسين (ع) في مكة أربعة شهور وخمسه أيام ، ثم توجه إلى العراق في اليوم الثامن من ذي الحجة قاصدا الكوفة حاملا معه رسائل أهلها التي بعثوها إليه يستعجلونه المجيء إليهم .

زينب (ع) في قافلة الإمام الحسين (ع)

كما ذكرنا سابقا أن العلاقة التي كانت تربط زينب (ع) بأخيها الحسين (ع) كانت علاقة قوية وشديدة بحيث أنها كانت تلازمه على الدوام ، وكان عقد زواجها بعبدالله بن جعفر مشروطا بشرط وهو أن لا يمانعها من السفر مع أبي عبدالله الحسين (ع) متى شاءت ، فوافق عبدالله بن جعفر على ذلك الشرط وتم الزواج .

كانت السيدة زينب (ع) تعرف حق المعرفة أن ثورة الإمام الحسين (ع) تستلزم أعوانا وأنصارا صغارا وكبارا نساء ورجالا لإظهار الحق ورفع الباطل ، وعلى هذا كانت تردُّ كل الأعذار والنصائح التي كانت تهدف إلى صرف الحسين (ع) عن خروجه إلى العراق ، فأقدمت على الهجرة مع أخيها (ع) راضية بقضاء الله عز وجل .

لما علم محمد الحنفية بعزم الحسين (ع) على الخروج من مكة إلى الكوفة جاءه في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها فقال له : يا أخي إن أهل الكوفة قد عرفتَ غدرهم بأبيك

وأخيك وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى ، فإن رأيت أن تقيم فإنك أعزُّ من بالحرم وأمنَعُه .

فقال الحسين (ع) : قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية بالحرم فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت .

فقال له ابن الحنفية : فإن خفت ذلك فصر إلى اليمن أو بعض نواحي البر فإنك أمنع الناس به ولا يقدر عليك أحد ، فقال : أنظر فيما قلت .

فلما كان السحر ارتحل الحسين (ع) ، فبلغ ذلك ابن الحنفية فأتاه وأخذ بزمام ناقته وقد ركبها ، فقال : يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك ؟! قال : بلى .

قال : فما حداك على الخروج عاجلا ؟!

قال : أتاني رسول الله (ص) بعدما فارقتك (في عالم الرؤيا أو المكاشفة !!) فقال :

" يَا حُسَين اخْرُجْ ، فَإنّ الله قَدْ شَاءَ أنْ يَرَاكَ قَتِيلاً " !!

فقال محمد بن الحنفية : " إنّا لله وَإنّا إلَيْهِ رَاجِعُون ، فَمَا مَعْنَى حَمْلُكَ هَؤلاءِ النِسَاءِ مَعَكَ وَأنْتَ تَخْرُجُ عَلَى مِثْلِ هَذا الحَال " ؟!

فقال : قال لي رسول الله (ص) : " إنّ الله قَدْ شَاءَ أنْ يَرَاهُنّ سَبَايا " !! [1]

على هذا نستنتج من كلام أبي عبدالله الحسين (ع) أن حمل النساء لم يكن عملا ارتجاليا بل كان بأمر من رسول الله (ص) ، والإرادة الإلهية شاءت أن تشارك النساء الرجال في هذه النهضة العظيمة حتى لو كان في ذلك ذل الأسر والسبي والشتم ، فالذل في الله عز ، والأسر والسبي كرامة ، وكل ما جرى عليهن من المصائب والنوائب لم يثنيهن عن إلقاء الخطب البليغة والتي أظهرت المستور من ظلم أهل الجور والعدوان وفضحت نوايا طواغيت ذلك الزمان ، وبالتالي أخرجت الناس من الظلمات إلى النور وبذرت روح الثورة والجهاد في النفوس .

---

[1] ـ بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٦٤ ، اللهوف (للسيد ابن طاووس) : ص ٦٤ – ص ٦٥

طبقا لبعض الروايات ، كان عبدالله بن عباس معارضا لخروج الإمام الحسين (ع) إلى الكوفة ، وقال للإمام (ع) : " لا تَخْرُجْ إِلَى العِراقِ ، وَكُنْ بِاليَمَنِ لِحَصَانَتِها وَرِجَالِها " [1] .

ابن عباس كان يرى ظاهر الأمر ولم يكن يعلم أن رفعة الإسلام وجهاد السلطان الجائر قد تتطلب إهراق الدماء وبذل النفس والنفيس ، وبالثورة الدموية وطلب الشهادة يمكن خوض الحرب مع العدو ولكن لا عتب على من يجهل فن الشهادة أن يتفوه بمثل هذا الحديث .
وقد يكون إسناد هذه الرواية إلى عبدالله بن عباس والذي كان من المفسرين العظام للقرآن الكريم غير صحيح ، وإن كان صحيحا فالمثل يقول : " لابد للجواد من كبوة " !!

وكما ذكرنا سابقا أن هناك روايات ذكرت بأن عبدالله بن عباس جاء إلى الإمام الحسين (ع) ولما دنا منه قال له : " جُعِلْتُ فِداكَ يَا حُسَين ، إِنْ كانَ لابُدَّ مِنَ المَسِيرِ إِلَى الكوفَةِ فَلا تَسِرْ بِأَهْلِكَ وَنِسائِكَ وَصِبْيَتِكَ ، فَإِنِّي والله لَخائِفٌ أَنْ تُقْتَلَ وَهُمْ يَنْظُرونَ إِلَيْكَ " .
فقال الحسين (ع) : " يَا ابْنَ العَمِّ ، إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ الله (ص) فِي مَنَامِي وَقَدْ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ لا أَقْدِرُ عَلَى خِلافِهِ ، وَإِنَّهُ أَمَرَنِي بِأَخْذِهِنَّ مَعِي ، يَا ابْنَ العَمِّ وَإِنَّهُنَّ وَدائِعُ رَسُولِ الله ولا آمَنُ عَلَيْهِنَّ أَحَداً وَهُنَّ لا يُفَارِقْنَنِي " .
فسمع ابن العباس بكاء من ورائه وقائلة تقول : " يَا ابْنَ العَبَّاس ، تُشِيرُ عَلَى شَيْخِنَا وَسَيِّدِنَا أَنْ يُخَلِّفَنَا هَاهُنَا وَيَمْضِي وَحْدَهُ !! لا وَالله ، بَلْ نَحْيا مَعَهُ وَنَمُوتُ مَعَهُ ، وَهَلْ أَبْقَى الزَّمَانُ لَنَا غَيْرَه !! " .
فبكى ابن العباس بكاء شديدا [2] .

نعم ، أكملت زينب (ع) مسيرتها مع أخيها الحسين (ع) برباطة جأش وكمال معرفة ، ولم تعتن بالأعذار التي أتى بها كل من أراد أن يزيحها عن هذا السبيل .

---

[1] ـ مناقب ابن شهرآشوب : ج ٤ ص ٨٩

[2] ـ مقتل الحسين (السيد محمد تقي آل بحر العلوم) : ص ١٥٧ (نقلا عن اللهوف لابن طاووس : ص ١٤ طبع النجف) ، الخصائص الزينبية : ص ٢٨٣ ، رياحين الشريعة : ج ٣ ص ٤٢

عدم مبالاة زينب (ع) برأي زوجها المشفق

كما بينا سابقا في شخصية عبدالله بن جعفر - زوج زينب (ع) - أنه كان جوادا كريما ذو شخصية فذة في بني هاشم ، وليس هناك أي مورد لعتابه ولومه ، ولكن حسب ما ورد في بعض الروايات أنه - جهلا أو خطأ - كان يعارض خروج الإمام الحسين (ع) إلى العراق وقد بيّن رأيه للإمام الحسين (ع) تعاطفا معه وإشفاقا عليه وعلى أهل بيته .

العالم الكبير الشيخ المفيد (المتوفي عام ٤١٣ هـ) يقول في إرشاده :

لما بلغ أهل المدينة أن الحسين (ع) عازم على الخروج من مكة ، ألحقه عبدالله بن جعفر بولديه عون ومحمد ، وكتب معهما كتابا يقسم عليه فيه بالرجوع إلى مكة ، جاء فيه :

" ..... أما بعد ، فإني أنشدك الله أن تخرج من مكة ، وأسألك الله لما انصرفت عن هذا الوجه حين تنظر كتابي هذا ، فإني خائف عليك من هذا الأمر الذي أزمعت عليه أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك ، فإنك إن هلكتَ خفتُ أن يُطفأ نور الله ، فأنت علم المهتدين ورجاء المؤمنين فلا تعجل بالمسير إلى العراق ، فإني آخذ لك الأمان من يزيد ومن جميع بني أمية لنفسك ولمالك ولأولادك وأهلك ، وإني على أثر الكتاب والسلام " .

فأجابه الحسين (ع) بكتاب جاء فيه :

" ..... أما بعد ، ...... ، اعلم إني رأيت جدي رسول الله (ص) في منامي فأخبرني بأمر أنا ماض له ، كان لي الأمر أو عليّ ، فوالله يا ابن عم ، لو كنت في ثقب هامة من هوام الأرض لاستخرجوني منها حتى يقتلوني ...... " .

وصار عبدالله بن جعفر إلى أمير مكة عمرو بن سعيد الأشدق فسأله أن يكتب أمانا للحسين (ع) ، فكتب عمرو الكتاب وسرحه مع أخيه يحيى وعبدالله بن جعفر .

فلحقه عبدالله ويحيى مسرعين وسلماه الكتاب وجهدا به الرجوع ، فأبى الحسين (ع) عليهما وقال :

" إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ الله (ص) وَأَمَرَنِي بِأَمْرٍ أَنَا مَاضٍ لَهُ " .

فسأله عبدالله عن الرؤيا فقال (ع) : " مَا حَدَّثْتُ بِهَا أَحَداً وَمَا أَنَا مُحَدِّثٌ بِهَا حَتَّى أَلْقَى رَبِّي " .

فلما أيس عبدالله منه أمر ابنيه عونا ومحمدا بالمسير معه والجهاد دونه ورجع هو ويحيى إلى مكة [1] .

النتيجة

على الرغم أن عبدالله بن جعفر – زوج زينب (ع) – لم يكن موافقا على خروج الإمام الحسين (ع) إلى العراق وحاول كثيرا لصرفه عن هذا القرار إلا أن السيدة زينب (ع) رجحت البقاء مع أخيها أبي عبدالله الحسين (ع) ، بل فرحت كثيرا حينما انضم ولداها إلى قافلة الإمام (ع) .

وعلى هذا نستنبط من تلك الأحداث والمحاورات أن السيدة زينب (ع) على الرغم من سماعها تلك الأعذار التي كانت ظاهرا معقولة وطبيعية لبقائها في الحجاز ، إلا أنها لم تقبل بأي منها ولم تجعلها ذريعة للبقاء ، بل رضيت بالمشيئة الإلهية التي قُضيت لها فأكملت مسيرتها مع أخيها أبي عبدالله الحسين (ع) سالكة مسالك الموقنين متمسكة بحبل الله المتين .

---

[1] – إرشاد المفيد : ص ٢٠١– ص ٢٠٢ ، بحار الأنوار : ج ٤٤ ص ٣٦٦ ، مقتل الحسين (للسيد محمد تقي آل بحر العلوم) : ص ١٧٣ – ص ١٧٥ ، وبينا في الفصل السابق سبب رجوع عبدا... بن جعفر وعدم مشاركته في ثورة الحسين (ع)

قال صاحب ذخائر العقبى ص ١٤٦ طبعة ١٣٥٦ هـ ، قال رسول الله (ص) : " إن ابني هذا (يعني الحسين) يقتل بأرض من العراق فمن أدركه فلينصره " ، وبهذا يتبين لنا أن الذين نهوا الإمام الحسين عن الخروج من الأصحاب والتابعين وأعلموه بأنه مقتول قد اعتمدوا على أحاديث النبي وتجاهلوا قوله : " فمن أدركه فلينصره " إيثارا للعاجلة على الآجلة [١]

مكانة السيدة زينب (ع) الخاصة عند أبي عبدالله الحسين (ع)

حينما تهيأ موكب الإمام الحسين (ع) للخروج من مكة قاصدا الكوفة ، يقول الراوي :
رأيت بني هاشم وقد أعدوا لمحارمهم أربعين محملا مزركشا ومزينا تعلوها رايات خفاقة ، وبينما أنا أنظر إلى ذلك الموكب الرهيب إذا بشاب جميل ووسيم على خده خال خرج من ذلك الحرم وهو ينادي ويقول : " يا بني هاشم ابتعدوا وافسحوا " ، ولما ابتعد بنو هاشم عنه رأيت امرأتين جليلتين تخرجان من حرم الإمام الحسين (ع) وقد حفّت بهما النساء والإماء ، وأعد لهما ذلك الشاب الوسيم محملا فلما دنا من المحمل ثني رجله فركبت الامرأتين المحمل والحسين (ع) ينظر إليهم ، فسألت رجلا منهم : من هما تلك الامرأتين ؟! ومن هو ذلك الشاب ذو الطلعة الغراء ؟! فقيل لي : تلك الامرأتين أحدهما زينب بنت علي (ع) والأخرى أم كلثوم بنت علي (ع) ، وأما ذلك الشاب الجميل فهو عباس بن علي بن أبي طالب (ع) [٢] .

نعم ، هكذا سافرت زينب (ع) في الموكب الحسيني الرهيب ، يحفها الوقار والحشمة والجلال والعظمة ويحيط بها إخوتها السادة الأبطال والليوث الشجعان كأنهم أقمار منيرة وأنجم زاهرة .

---

[١] ـ الحسين وبطلة كربلاء (محمد جواد مغنية) : ص ٢٠١

[٢] ـ الخصائص الزينبية : ص ١٧٨ ـ ص ١٧٩

السيدة زينب (ع) في منزل " الخُزَيمِيّة "

خرج الإمام الحسين (ع) من مكة في الثامن من ذي الحجة قاصدا العراق ، ووصل كربلاء في الثاني من محرم الحرام ، على هذا طوى الإمام الحسين (ع) وأهله هذا الطريق في أربعة وعشرين يوما مروا خلاله على ستة عشر منزلا حتى وصلوا إلى قرى الطف .

ولما نزل " الخزيمية " – سادس منزل من المنازل التي مر عليها الأمام الحسين (ع) – أقام فيها يوما وليلة ، فلما أصبح أقبلت إليه أخته العقيلة زينب (ع) وقالت : إني سمعت البارحة هاتفا يقول :

ألاَ يَا عَيْـنُ فَاحْتَفِـلِي بِجُهْـدِ	فَمَنْ يَبْكِي عَلَى الشُّـهَدَاءِ بَعْدِي
عَلَى قَـوْمٍ تَسُوقُـهُـمُ المَنَـايَـا	بِمِقْـدَارٍ إِلَى إِنْجَـازِ وَعْـدِ

فقال لها الحسين (ع) : " يَا أُخْتَاه ، كُلُّ الذِي قَضَى الله فَهُوَ كَائِنٌ "[1] .

لما سمعت زينب (ع) هذا الحديث سكتت ، وسكوتها كان نابعا من الإيمان بالقَدَر الإلهي المحتوم والتسليم له والذي تعلمته من مكتب جدها الأكرم رسول الله (ص) وأبيها أمير المؤمنين (ع) وأمها فاطمة الزهراء (ع) ، كانت تعلم علم اليقين أن ما أراده الله عز وجل فهو كائن لا محالة ، وأراد الله عز وجل أن يختار تلك الفئة من خيرة الرجال والنساء للثورة ضد الطغيان والظلم والجهاد بالنفس والنفيس في إعلاء كلمة الحق ونصرة المظلومين من جور الظالمين .

فما كان على زينب الكبرى (ع) إلا التسليم والرضا بأمر الله تعالى وهما أعلى مراتب الإيمان واليقين .

---

[1] – مثير الأحزان (لابن نما) : ص ٢٣ ، معالي السبطين : ج ١ ص ٢٦٤ ، بحار الأنوار : ج ٤٤ ص ٣٧٢ مقتل الحسين (للسيد محمد تقي آل بحر العلوم) : ص ١٨٢

تمسكت زينب الكبرى (ع) بكل كيانها ووجودها بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، فكانت مصداقا كاملا للآية الكريمة المباركة : " وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ " [1] .

السيدة زينب (ع) في منزل " الرُهَيمَة "

يروى أنه حينما نزل الإمام الحسين (ع) وأهله " الرهيمة " – المنزل الرابع عشر من المنازل التي نزلها أبي عبدالله الحسين (ع) في مسيره إلى العراق – تبين له أن زهاء ألف فارس مع رئيسهم حر بن يزيد الرياحي وكان قد بعثه ابن زياد من الكوفة ليحبس الحسين عن الرجوع إلى المدينة أينما وجده ويُقدم به الكوفة ، فتبين للحسين (ع) وأهله أن القوم يقصدون القتال وأن أهل الكوفة قد غدروا به ونكثوا عهده .

وحسب ما ورد في بعض الروايات أنه لما علمت زينب الكبرى (ع) [2] بغدر أهل الكوفة وقلة ناصري أخيها الحسين (ع) وأن الخطر محدق عليه وعلى عياله وأهل بيته ، وهي امرأة ومن شأن النساء الجزع ورقة القلب ، تأثرت تأثرا شديدا وصاحت وهي تقول :

" وَلَيتَ الأَعَادِي يَرْضَونَ أَنْ يَقْتُلُونا بَدَلاً عَنْ أخِي " [3] .

---

[1] – سورة لقمان : آية ٢٢

[2] – يجدر الإشارة إلى أن الروايات التي وردت عن أحداث كربلاء وفي كل الموارد أو أغلبها التي ذكر فيها اسم " أم كلثوم " كان يقصد منها زينب (ع) ، فزينب (ع) كانت تكنى بأم كلثوم ، وسنذكر فيما بعد أنه طبقا لبعض الروايات فإن أم كلثوم (ع) – أخت زينب (ع) – لم تكن متواجدة في كربلاء آنذاك .

[3] – اقتباس من ناسخ التواريخ : ص ٢٠٤

السيدة زينب (ع) يوم دخولها كربلاء

سار الإمام الحسين (ع) بأهله وعياله حتى وصل إلى كربلاء يوم الخميس الثاني من محرم الحرام سنة إحدى وستين للهجرة ، فنزل الحسين (ع) وضرب أخبيته وضرب بنو هاشم وأصحابه أخبيتهم ، وبعدما ضربت الأخبية على أرض كربلاء جاءت السيدة زينب (ع) إلى أخيها الحسين (ع) جزعة مذعورة وقالت : أرى هذه الأرض مخوفة وقد امتلكني خوف عظيم .

فقال لها الحسين (ع) : أختاه ، حينما خرجنا إلى صفين نزل أبي بهذا الموضع ، وبعد انقضاء صلاته وضع رأسه في حجر أخي الحسن (ع) وكنت حاضرا ، ونام ساعة ثم انتبه وأخذ يبكي ، فسأله أخي الحسن (ع) : أبتاه ، لم تبكي ؟! فقال : " كَأَنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي أَنَّ هَذَا الوَادِي بَحْرٌ مِنَ الدَمِ وَالحُسَيْنُ قَدْ غَرِقَ فِيهِ وَهُوَ يَسْتَغِيثُ فَلا يُغَاثُ " !!

ثم نظر إلي والدي وقال : يا أبا عبدالله ، لو جرى عليك ذلك ، فماذا أنت فاعل ؟!

قلت : " أَصْبِرُ وَلاَ بُدَّ لِي مِنَ الصَبْرِ " !!

فلما سمعت زينب (ع) ذلك بكت بكاء شديدا [1] .

---

[1] – رياحين الشريعة : ج ٣ ص ٧٨ .

بعض الرواة ينسبون هذه الحادثة إلى أم كلثوم (معالي السبطين ج ١ ص ٢٨٦) ولكن المتتبع للروايات يرى أن " أم كلثوم " هي كنية لزينب (ع) ، والمحقق المرحوم آية ا... السيد عبدالرزاق المقرم (المتوفى عام ١٣٩١ هـ) يقول : أشرنا في موارد عديدة من كتاب (مقتل الحسين (ع) أن زينب (ع) هي أم كلثوم (مقتل الحسين : ص ٣٩٢ الحاشية) ، وكذلك العلامة السابقي في كتاب (مراقد المعارف : ج ١ ص ٣٣٢) يذكر شواهد عديدة في هذا الأمر ، من جملة ذلك يقول : أن علماء السيرة من السنة والشيعة يجمعون على أن الخطبة المعروفة التي ألقيت في مجلس بن زياد في الكوفة تنسب إلى زينب (ع) ، وفي رواية عن الإمام الصادق (ع) ينسب هذه الخطبة إلى أم كلثوم ، على هذا يمكن أن نستنتج أن أم كلثوم هي كنية زينب (ع) ، ومن كلام السيد عبدالرزاق المقرم في كتابه (مقتل الحسين) نستنبط أن أم كلثوم التي ذكرت في كربلاء إنما هي زينب (ع) لا غير (مقتل الحسين للمقرم : ص ٣٨٤)

زينب (ع) في يوم تاسوعاء

كانت السيدة زينب (ع) لا تفارق أخاها الحسين (ع) ، فكانت تقضي أوقاتها بقربه تشاطره همومه وأحزانه وهو يدير بطرفه يمينا وشمالا وقد أحاط به جموع البغي والضلالة قد استحوذ عليهم الشيطان فأضلهم السبيل .

زحف ابن سعد على مخيم الحسين (ع) عصر اليوم التاسع من محرم وكان لصيحتهم دوي يوحي بالهجوم ، وكان الحسين (ع) محتبيا بسيفه وقد خفق برأسه ، فسمعت أخته العقيلة الصيحة فدنت من أخيها وقالت : يا أخي ، أما تسمع هذه الأصوات قد دنت منا ؟!
فرفع الحسين (ع) رأسه وقال : " إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ الله السَّاعَةَ فِي المَنَامِ وَهُوَ يَقُولُ : إِنَّكَ صَائِرٌ إِلَيْنَا عَنْ قَرِيبٍ " .

(وفي رواية العالم الكبير السيد ابن طاووس (المتوفى عام ٦٦٤ هـ) أنه قال (ع) : يَا أُخْتَاه إِنِّي رَأَيْتُ السَّاعَةَ جَدِّي مُحَمَّداً وَأَبِي عَلِيّاً وَأُمِّي فَاطِمَةَ وَأَخِي الحَسَنَ وَهُمْ يَقُولُونَ : يَا حُسَيْنَ إِنَّكَ رَائِحٌ إِلَيْنَا عَنْ قَرِيبٍ " ، وفي بعض الروايات " غَداً "[1]) .

فلطمت زينب (ع) وجهها ونادت بالويل والثبور : يا ويلتاه !!
فقال لها الحسين (ع) : " ليس لك الويل يا أخية اسكتي رحمك الله ، لا تشمتي بنا القوم " فسكتت[2] .

على هذا ، كان الإمام الحسين (ع) وأخته زينب (ع) يواسي أحدهما الآخر ، وكأنهما تقاسما الهموم والأحزان بينهما .

---

[1] – اللهوف (للسيد ابن طاووس) : ص ٩٠

[2] – مقتل الحسين (للسيد محمد تقي آل بحر العلوم) : ص ٢٧٨ (نقلا عن اللهوف لابن طاووس : ص ٣٨)

ووردت رواية أخرى أنه بعدما جاءت زينب (ع) إلى أخيها وأخبرته بما يجري حول المخيم جاء العباس بن علي (ع) فقال له : يا أخي ، أتاك القوم !!

فقال له الحسين (ع) : اركب – بنفسي أنت – حتى تلقاهم .

إلى أن قال (ع) : إن استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة وتدفعهم عنا هذه العشية لعلنا نصلي لربنا وندعوه ونستغفره ، فهو يعلم أني أحب الصلاة وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار [1] .

فرجع العباس إلى القوم فاستمهلهم العشية ، فأمهلوهم وما كادوا يفعلون .

سعي زينب (ع) الدؤوب ليلة عاشوراء

ليلة عاشوراء !! وما أدراك ما ليلة عاشوراء !!

ليلة لم يغمض فيها جفن ولم تجف فيها عين ، عتمة ظلماء لا يُبصر فيها إلا أنوار لامعة وقلوب خاشعة تحيط بمصباح الهدى وعلم التقى وسبط خير الورى ، ليلة فاضت على قلوبهم الخشوع وعلى أبدانهم الخضوع فأحيوها راكعين ساجدين تالين القرآن المبين قد أعدوا أنفسهم للقاء رب العالمين .

في هذه الليلة استضافت زينب (ع) أعزة أهلها من إخوتها وأبناء إخوتها وأبنائها وبني عمومتها تتزود منهم وتنظر إليهم .

وكيف يهدأ لها بال وتغمض لها عين وهي تعلم علم اليقين أنها آخر ليلة تحاط بتلك الأقمار النيرة معززة مجللة وبعدها الشتات والضياع والأسر والسبي !!

---

[1] – مقتل الحسين (للسيد محمد تقي آل بحر العلوم) : ص ٢٧٨ (نقلا عن اللهوف لابن طاووس : ص ٣٨) مقتبس من تاريخ الطبري : ج ٦ ص ٣٣٧ ، نفس المهموم (للمحدث القمي) : ص ١١٣ – ص ١١٤

كانت للسيدة زينب الكبرى (ع) في تلك الليلة مواقف تنفطر لها القلوب وتتحير فيها العقول ولعلها تكون درسا لنا في الصبر والاستقامة في الشدائد والمحن وعبرة لنا في الجهاد في سبيل الدين والدفاع عن مقام الولاية الطاهرة :

١- زينب (ع) تمرّض السجاد (ع) وتسمع أشعارا لأخيها الحسين (ع) في غدر الزمان

يقول الشيخ المفيد (رض) : روي عن الإمام زين العابدين (ع) أنه قال :

" إني لجالس في تلك العشية التي قتل أبي في صبيحتها ، وعندي عمتي زينب تمرّضني ، إذ اعتزل أبي في خباء له وعنده جون مولى أبي ذر - وهو يعالج سيفه ويصلحه - وأبي يقول :

يَا دَهْرُ أُفٍّ لَكَ مِنْ خَلِيلِ ... كَمْ لَكَ بِالإِشْرَاقِ وَالأَصِيلِ
مِنْ صَاحِبٍ أَوْ طَالِبٍ قَتِيلِ ... وَالدَّهْرُ لاَ يَقْنَعُ بِالبَدِيلِ
وَإِنَّمَا الأَمْرُ إِلَى الجَلِيلِ ... وَكُلُّ حَيٍّ سَالِكٌ سَبِيلِ
وَإِنَّمَا الأَمْرُ إِلَى الجَلِيلِ

فأعادها أبي مرتين أو ثلاثا حتى فهمتها ، فعرفت ما أراد ، فخنقتني العبرة ، فرددت دمعتي ولزمت السكوت وعلمت أن البلاء قد نزل .

وأما عمتي زينب (ع) لما سمعت ما سمعت - وهي امرأة ومن شأن النساء الرقة والجزع - فلم تملك نفسها دون أن وثبت تجر أذيالها وهي حاسرة حتى انتهت إليه وهي تنادي : " وا ثُكْلاه ، لَيتَ المَوْتُ أعْدَمَنِي الحَيَاةَ ، اليَومَ مَاتَتْ أُمِّي فَاطِمَةُ وَأَبِي عَلِيٌّ وَأَخِي الحَسَن ، يَا خَلِيفَةَ المَاضِينَ وَثِمَالَ[1] البَاقِينَ " .

---

[1] - ثمال : ثمال قومه يعني غياث لهم ويقوم بأمرهم

فنظر إليها الحسين (ع) نظر رأفة ورحمة وقال : " يَا أُخَيَّة ، لا يَذْهَبَنَّ بِحِلْمِكِ الشَّيْطان ".

قالت : بأبي أنت وأمي ، استقتلت نفسي فداك .

فرد الحسين غصته ، وترقرقت عيناه بالدموع .

فقالت : ردنا إلى حرم جدنا رسول الله .

فقال : هيهات ، لو ترك القطا ليلا لغفا ونام .

فقالت : يا ويلتاه !! أفتغتصب نفسك اغتصابا ؟! فذلك أقرح لقلبي وأشد على نفسي .

ثم لطمت وجهها ، وأهوت إلى جيبها فشقته ، وخرت مغشيا عليها .

فقام إليها الحسين (ع) وصب على وجهها الماء حتى أفاقت ، فقال لها : " يَا أُخَيَّة ، اتَّقِي الله وَتَعَزِّيْ بِعَزَاءِ الله ، وَاعْلَمِي أَنَّ أَهْلَ الأَرْضِ يَمُوتُونَ وَأَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ لاَ يَبْقَونَ ، وَأَنَّ كُلَّ شيءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهُ الله تَعَالَى الذِي خَلَقَ الخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ وَيَبْعَثُ الخَلْقَ فَيَعُودُونَ وَهُوَ فَرْدٌ وَحْدَهُ ، أَبِي خَيرٌ مِنِّي وَأُمِّي خَيرٌ مِنِّي وَأَخِي خَيرٌ مِنِّي ، وَلِي وَلَهُمْ وَلِكُلِّ مُسْلِمٍ بِرَسُولِ الله أُسْوَةٌ " .

فعزاها بهذا ونحوه ، ثم قال لها :

" يَا أُختَاه ، إِنِّي أُقْسِمُ عَلَيْكِ ، فَأَبِرِّي قَسَمِي ، إِذَا أَنَا قُتِلْتُ فَلاَ تَشُقِّي عَلَيَّ جَيْباً وَلاَ تَخْمِشِي عَلَيَّ وَجْهاً وَلاَ تدعي عَلَيَّ بِالوَيْلِ وَالثُّبورِ إِذَا أَنَا هَلَكْتُ " .

قال زين العابدين (ع) : ثم إن أبي جاء بعمتي وأجلسها عندي ، وخرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقربوا بعض بيوتهم من بعض وأن يدخلوا الأطناب بعضها في بعض ، وأن يكونوا بين البيوت فيستقبلون القوم من وجه واحد والبيوت من ورائهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم [1] .

---

[1] ــ مقتل الحسين (للسيد محمد تقي آل بحر العلوم) : ص ٢٨٥ – ص ٢٨٦ ، إرشاد المفيد : ص ٢١٥ – ص ٢١٦

٢- إخبار نافع بن هلال [1] عن حالات زينب (ع) ليلة عاشوراء

قال بعض أرباب المقاتل : ثم إن الحسين (ع) خرج ليلة العاشر من المحرم في جوف الليل إلى خارج الخيام يتفقد التلال والعقبات ، فتبعه نافع بن هلال الجملي فسأله عما أخرجه في هذه الساعة .

فقال نافع : يا ابن رسول الله ، أفزعني خروجك إلى جهة معسكر هذا الطاغية في هذه الساعة !!

قال الحسين (ع) : إني خرجت أتفقد التلاع والروابي ، مخافة أن تكون مكمنا لهجوم الخيل يوم تحملون ويحملون .

ثم رجع (ع) وهو قابض على يد نافع وهو يقول : هي هي والله ، وعداً لا خلف فيه .

ثم قال لنافع : ألا تسلك بين هذين الجبلين في جوف الليل وتنجو بنفسك ؟!

فوقع نافع على قدمي أبي عبدالله يقبلهما ويقول : إذاً ثكلت نافعا أمُّه ، سيدي إن سيفي بألف وفرسي مثله ، فوالله الذي منَّ بك عليَّ ، لا فارقتك حتى يكلاً عن فَري وجَري .

ثم دخل الحسين خيمة النساء ووقف نافع بإزاء الخيمة ينتظره ، فسمع زينب (ع) تقول للحسين (ع) - وقد اختنقت بعبرتها - : وا أخاه ، وا حسيناه ، أشاهد مصرعك ، وأبتلي برعايتي هذه المذاعير من النساء ، والقوم - يا ابن أمي - كما تعلم ما هم عليه من الحقد القديم ، ذلك خطب جسيم ، يعز عليَّ مصرع هذه الفتية وأقمار بني هاشم .

---

[1] - هو نافع بن هلال بن نافع بن جمل بن سعد العشيرة بن مذحج ، كان سيدا في قومه شريفا سريا شجاعا وكان قارئا كاتبا ومن حملة الحديث ومن أصحاب أمير المؤمنين (ع) وحضر حروبه الثلاثة في العراق ، خرج إلى الحسين قبل مقتل مسلم بن عقيل فلقيه في الطريق واصطحبه إلى النهاية ، وله مواقف معروفة يوم عاشوراء تدل على شدة تمسكه بمبدئه وولائه ، ذكرته عامة المصادر التاريخية بالتمجيد والإطراء (مقتل الحسين (للسيد محمد تقي آل بحر العلوم) : ص ٤٠٧ الحاشية) وهو نافع بن هلال في عامة المصادر -من الفريقين- ولكن في (اللهوف) و (البحار) و(مقتل الخوارزمي) هلال بن نافع والصحيح كما في الأصل (مقتل الحسين للسيد محمد تقي آل بحر العلوم : ص ٢٦٣ الحاشية)

ثم قالت : يا أخي ، هل استعلمت من أصحابك نياتهم ؟! فإني أخشى أن يسلموك عند الوثبة واصطكاك الأسنة .

فبكى الحسين (ع) وقال لها : أما والله ، لقد بلوتهم ، فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأقعس ، يستأنسون بالمنية دوني استيناس الطفل إلى محالب أمه .

قال نافع : فلما سمعت هذا منه بكيت ، وأتيت حبيب بن مظاهر ، فوجدته جالسا في خيمته والسيف مصلت بين يديه ، فحكيت له ما سمعت من الحسين ومن أخته زينب .

فنهض حبيب قائما على قدميه وقال : والله ، لولا انتظار أمره لعاجلتهم وعالجتهم بسيفي هذه الليلة ما ثبت قائمه بيدي .

فقلت له : إني خلفته عند أخته زينب ، وهي في حال وجل ورعب ، وأظن أن النساء قد أفقن وشاركنها في الحسرة ، فهل لك أن تجمع أصحابك وتواجههن بكلام يطيب قلوبهن ويذهب رعبهن .

فقام حبيب – ومعه نافع – ونادى بين الخيام : يا أصحاب الحمية ، ويا ليوث الكريهة !!

فتطالعوا من مضاربهم كالأسود الضارية يقدمهم أبو الفضل العباس بن علي (ع) ، ثم التفت إلى أصحابه وحكى لهم ما شاهده وسمعه نافع من الحسين ومن أخته زينب .

فقالوا بأجمعهم : والله الذي من علينا بهذا الموقف ، لولا انتظار أمره لعاجلناهم بسيوفنا الساعة ، فطب نفسا وقرّ عينا .

فجزاهم حبيب خيرا وقال : هلموا لنواجه النسوة ونطيب خاطرهن .

وجاء حبيب ومعه أصحابه إلى خيم النساء ، وأخذ ينادي : السلام عليكم يا ساداتنا ، السلام عليكم يا معشر حرائر رسول الله ، هذه صوارم فتيانكم ، آلوا أن لا يغمدوها إلا في رقاب من يريد السوء بكم ، وهذه أسنة غلمانكم أقسموا أن لا يُركِزوها إلا في صدور من يفرق ناديكم .

فخرجن النساء إليهم ببكاء وعويل – تقدمهن العقيلة زينب – وقلن لهم : " أيها الطيبون ، حاموا عن بنات رسول الله وحرائر أمير المؤمنين " .

فضج القوم بالبكاء حتى كأن الأرض تميد بهم [1] .

٣- تفقّد زينب (ع) أحوال أصحاب أبي عبدالله (ع) ومعرفة خلوص نياتهم

ومن وقائع ليلة عاشوراء أن زينب (ع) كانت تتنقل بين الخيام تتفقد فيها أحوال أصحاب الإمام الحسين (ع) لمعرفة حالاتهم الروحية والنفسية ومدى خلوص نياتهم في البقاء إلى جانب أخيها أبي عبدالله الحسين (ع) .

ومن المناسب هنا أن نسمع هذه الواقعة من لسان فخر المخدرات زينب (ع) حيث تقول :

لما كانت ليلة عاشوراء من المحرم خرجت من خيمتي لأتفقد أخي الحسين (ع) وأنصاره وقد أفرد له خيمة فوجدته جالسا وحده يناجي ربه ويتلو القرآن ، فقلت في نفسي : أفي مثل هذه الليلة يُترك أخي وحده !! والله لأمضين إلى إخوتي وبني عمومتي وأعاتبهم بذلك .
فأتيت إلى خيمة العباس فسمعت منها همهمة ودمدمة ، فوقفت على ظهرها فنظرت فيها فوجدت بني عمومتي وإخوتي وأولاد إخوتي مجتمعين كالحلقة وبينهم العباس بن أمير المؤمنين (ع) وهو جاث على ركبتيه كالأسد على فريسته ، فخطب فيهم خطبة ما سمعتها إلا من الحسين (ع) مشتملة بالحمد والثناء لله والصلاة والسلام على النبي (ص) ، ثم قال في آخر خطبته : يا إخوتي وبني عمومتي ، إذا كان الصباح ، فما تقولون ؟!
فقالوا : الأمر إليك يرجع ، ونحن لا نتعدى لك قولك .

---

[1] – الدمعة الساكبة (لمحمد باقر الدهشتي الحائري) : ص ٣٢٥ ، مقتل الحسين (للسيد محمد تقي آل بحر العلوم) : ص ٢٨٤ – ص ٢٨٥ الحاشية ، المجالس الفاخرة (لشرف الدين) : ص ٩٤ ، مقتل الحسين (للعلامة المقرم) : ص ٢٦٢ – ص ٢٦٣ ، ويقول العلامة المقرّم في كتابه مقتل الحسين بعد نقل هذه الرواية : أن الصحيح هو نافع بن هلال وليس هلال بن نافع الذي ورد في (الدمعة الساكبة)

فقال العباس : إن هؤلاء ، أعني الأصحاب ، قوم غرباء ، والحمل الثقيل لا يقوم به إلا أهله ، فإذا كان الصباح فأول من يبرز إلى القتال أنتم ، نحن نقدمهم للموت لئلا يقول الناس قدّموا أصحابهم فلما قتلوا عالجوا الموت بأسيافهم ساعة بعد ساعة .

فقامت بنو هاشم وسلوا سيوفهم في وجه أخي العباس وقالوا : نحن على ما أنت عليه .

قالت زينب (ع) : فلما رأيت كثرة اجتماعهم وشدة عزمهم وإظهار شيمتهم سكن قلبي وفرحت ، ولكن خنقتني العبرة فأردت أن أرجع إلى أخي الحسين (ع) وأخبره بذلك فسمعت من خيمة حبيب بن ظاهر همهمة ودمدمة فمضيت إليها ووقفت بظهرها ونظرت فيها فوجدت الأصحاب على نحو بني هاشم مجتمعين كالحلقة وبينهم حبيب بن مظاهر وهو يقول : يا أصحابي ، لم جئتم إلى هذا المكان ؟! أوضحوا كلامكم رحمكم الله .

فقالوا : أتينا لننصر غريب فاطمة !!

فقال لهم : لم طلقتم حلائلكم ؟!

فقالوا : لذلك .

قال حبيب : فإذا كان في الصباح ، فما أنتم قائلون ؟!

فقالوا : الرأي رأيك ولا نتعدى قولا لك .

قال : فإذا صار الصباح فأول من يبرز إلى القتال أنتم ، نحن نقدمهم للقتال ، ولا نرى هاشميا مضرجا بدمه وفينا عرق يضرب ، لئلا يقول الناس قدّموا ساداتهم للقتال وبخلوا عليهم بأنفسهم .

فهزوا سيوفهم على وجهه وقالوا : نحن على ما أنت عليه .

قالت زينب (ع) : ففرحت من ثباتهم ولكن خنقتني العبرة ، فانصرفت عنهم وأنا باكية وإذا بأخي الحسين (ع) قد عارضني فسكنت نفسي وتبسمت في وجهه ، فقال : أخية !! فقلت : لبيك يا أخي ، فقال (ع) : يا أختاه ، منذ رحلنا من المدينة ما رأيتك مبتسمة ، أخبريني ما سبب تبسمك ؟!

فقلت له : يا أخي رأيت من فعل بني هاشم والأصحاب كذا وكذا .

فقال لي : يا أختاه !! اعلمي أن هؤلاء أصحابي من عالم الذر وبهم وعدني جدي رسول الله (ص) ، هل تحبين أن تنظري إلى ثبات أقدامهم ؟!

فقلت : نعم .

فقال : عليك بظهر الخيمة .

قالت زينب (ع) : فوقفت على ظهر الخيمة ، فنادى أخي الحسين (ع) : أين إخواني وبنو أعمامي ؟!

فقامت بنو هاشم وتسابق منهم العباس وقال : لبيك لبيك ، ما تقول ؟!

فقال الحسين (ع) : أريد ان أجدد لكم عهداً .

فأتي أولاد الحسين وأولاد الحسن وأولاد علي وأولاد جعفر وأولاد عقيل فأمرهم بالجلوس فجلسوا .

ثم نادى : أين حبيب بن مظاهر ؟! أين زهير بن هلال ؟! أين الأصحاب ؟!

قبلوا وتسابق منهم حبيب بن مظاهر وقال : لبيك يا أبا عبدالله .

فأتوا إليه وسيوفهم بأيديهم ، فأمرهم بالجلوس فجلسوا ، فخطب فيهم خطبة بليغة ثم قال : يا أصحابي ، اعلموا أن هؤلاء القوم ليس لهم قصد سوى قتلي وقتل من هو معي ، وأنا أخاف عليكم من القتل ، فأنتم في حل من بيعتي ، ومن أحب منكم الانصراف فلينصرف في سواد هذا الليل .

فعند ذلك قامت بنو هاشم وتكلموا بما تكلموا وقام الأصحاب وأخذوا يتكلمون بمثل كلامهم ، فلما رأى الحسين (ع) حسن إقدامهم وثبات أقدامهم قال (ع) : إن كنتم كذلك فارفعوا رؤوسكم وانظروا إلى منازلكم في الجنة !!

فكشف لهم الغطاء ورأوا منازلهم وحورهم وقصورهم فيها والحور العين ينادين العجل العجل فإنا مشتاقات إليكم !!

فقاموا بأجمعهم وسلوا سيوفهم وقالوا : يا أبا عبدالله ، ائذن لنا أن نغير على القوم ونقاتلهم حتى يفعل الله بنا وبهم ما يشاء .

فقال (ع) : اجلسوا رحمكم الله وجزاكم الله خيرا .

ثم قال (ع) : ألا ومن كان في رحله امرأة فلينصرف بها إلى بني أسد .

فقام علي بن مظاهر وقال : ولماذا يا سيدي ؟!

فقال (ع) : إن نسائي تسبى بعد قتلي ، وأخاف على نسائكم من السبي .

فمضى علي بن مظاهر إلى خيمته فقامت زوجته إجلالا له فاستقبلته وتبسمت في وجهه ، فقال لها : دعيني والتبسم .

فقالت : يا ابن مظاهر ، إني سمعت غريب فاطمة خطب فيكم وسمعت في آخرها همهمة ودمدمة فما علمت ما يقول .

قال : يا هذه ، إن الحسين (ع) قال لنا ألا ومن كان في رحله امرأة فليذهب بها إلى بني عمها لأني غدا أقتل ونسائي تسبى .

فقالت : وما أنت صانع ؟! قال : قومي حتى ألحقك ببني عمك بني أسد .

فقامت ونطحت رأسها بعمود الخيمة وقالت : والله ما أنصفتني يا ابن مظاهر ، أيَسُرُّكَ أن تُسبى بنات رسول الله (ص) وأنا آمنة من السبي ؟! أيسرك أن تُسلب زينب إزارها من رأسها وأنا أستتر بإزاري ؟! أيسرك أن تذهب من بنات الزهراء أقراطها وأنا أتزين بقرطي ؟! أيسرك أن يبيض وجهك عند رسول الله (ص) ويسود وجهي عند فاطمة الزهراء ؟! والله أنتم تواسون الرجال ونحن نواسي النساء .

فرجع علي بن مظاهر إلى الحيبن (ع) وهو يبكي ، فقال له الحسين (ع) : ما يبكيك ؟!

فقال : سيدي ، أبت الأسدية إلا مواساتكم .

فبكى الحسين (ع) وقال : جزيتم منا خيرا [1] .

---

[1] – معالي السبطين : ج ١ ص ٣٤٠ – ص ٣٤٢

٤- زينب (ع) تبحث عن الماء

كانت وقدة الصيف لا تنطفئ ، وقد منع الماء من أهل البيت فلا هو يُحمل إليهم ولا هم يصلون إليه ، وطغت كارثة العطش ، وأحست زينب بنت علي (ع) بالكارثة فجعلت تقتصد من جرع الماء التي تنتزع من أيدي القوم انتزاعا حتى تسقي الأطفال والصبية ، فلما غاب الماء عن مخيم أهل البيت وجفت أواني الماء ضجت النساء والأطفال من الظمأ والعطش فقامت زينب (ع) وأخذت طفل أخيها الحسين عبدالله الرضيع بين يديها تعلله ليسكت عن البكاء وهي تقوم به وتقعد لعل الجهد يعييه فينام .

وقامت سكينة إلى عمتها زينب (ع) لعلها ادخرت شيئا من الماء فرأتها جالسة وبين يديها أخوها عبدالله الرضيع فقد أتت به إليها أمه شاه زنان بنت الملك يزدجرد ، هذا بعد أن قلقت من صراخه قالت لها يا ابنة رسول الله أنا أصبر على العطش ولكن هذا الطفل ليس له صبر على الظمأ مثلي ، خذيه إلى أبيه الحسين (ع) يأخذه إلى القوم لعلهم يرحمونه فيسقونه الماء ، ولكن الحوراء زينب (ع) ما أحبت أن تزعج أخاها الحسين ببكاء الطفل الرضيع فجعلت تعلله ، فلما رأت سكينة حالة أخيها الصغير بين يدي عمتها خنقتها العبرة ولزمت الصمت ولم تسأل عمتها عن الماء ، ولكن أمر سكينة لا يخفى عن عمتها فليس هناك شيء يُسعى إليه غير الماء ، فنظرت زينب إلى بنت أخيها تخنق عبرتها ، فقالت لها : ما الذي يبكيك يا سكينة ؟!

قالت : حال أخي الرضيع أبكاني .

وقامت هي وعمتها زينب تطلبان الماء من مخيم الرجال فلا تجدانه أبدا ، وعند ذلك قام برير بن خضير الهمداني وقال لأصحابه : أيسركم أن آل بيت رسول الله يموتون عطشا وقوائم سيوفنا بأيدينا ؟!

فقالوا : ماذا نصنع ؟! فالقوم لا يدعون أحدا أن يأتي بقطرة من ماء الفرات .

قال برير : فليأخذ كل واحد منا بيد إحدى الفتيات ونأتي بهن إلى ماء الفرات فيشربن منه .

فقال له رجل من أصحابه : لقد طاش سهمك يا برير ، فإن القوم مصرون على قتالنا ، فإذا نحن قاتلناهم أو قتلنا على الماء فمن يأتي بالصبية والأطفال إلى المخيم ؟! ولكن الرأي أن تأخذ القربة وتملأها من ماء الفرات للنساء والأطفال فإذا اعترضك القوم نحن ندافع عنك وعن القربة .

فاستحسن برير هذا الرأي فقام وأخذ القربة وذهب بها نحو ماء الفرات ومعه من أصحاب الحسين (ع) ثلاثون رجلا ، فأقبلوا في جوف الليل الغابر حتى انتهوا إلى ماء الفرات ، فقال لهم عمرو بن الحجاج -- الحارس على الماء -: من أنتم وما تريدون ؟!

فقال له برير : بنو عمك ، جئنا لنشرب الماء .

فقال لهم : اشربوا الماء ولا تحملوا معكم شيئا منه إلى الحسين .

فقال برير : ويحك ، أتأمرنا بشرب الماء وآل بيت محمد كلهم عطاشى ظامئين !!

فقال عمرو بن الحجاج : صدقت كما تقول ، ولكن أمرنا ابن زياد بأمر لابد أن ننتهي إليه .

فقال برير لأصحابه : املأوا القربة وعجلوا بذلك .

فسمعهم ابن الحجاج فقال لأصحابه : لا تدعوا أصحاب الحسين أن يأخذوا من الماء قطرة واحدة .

فحملوا على أصحاب الحسين وقد ملأوا القربة ونهضوا بها نحو المخيم والأعداء يرشقونهم بالسهام والنبال ، وكان برير يدافع عن الماء بيده وجسمه ويقول : الحمد لله الذي جعل رقبتي وقاية لقربتي ، صدَّ الله رحمته عمن صدَّنا عنكن أهل البيت .

وجعلوا يدافعون عن القربة حتى انتهى برير إلى مخيم بنات رسول الله والقربة سالمة فنادى بأعلى صوته : هلموا يا آل رسول الله فاشربوا الماء هنيئا مريئا [1] .

---

[1] -- المفيد في ذكرى السبط الشهيد (السيد عبدالحسين العاملي) : ص ٧٢ - ص ٧٤

زينب (ع) ويوم عاشوراء

لم يشهد التاريخ يوما أكثر مصيبة وبلاء من مصيبة يوم عاشوراء !! مصيبة صغرت عندها مصائب العالمين من الأولين والآخرين !!

يوم تعالت فيه نداءات سبط الرسول وقرة عين البتول : وا عطشاه !! وا قلة ناصراه !! فلم يجبه أحد إلا السيوف وشرب الحتوف ويذبح ذبح الشاة من القفا ويحمل رأسه على القنا !!

إن الرماحَ الوارداتِ صُدورُها	نَحْوَ الحسين تُقاتِلُ التَنْزيلا
ويهلِّلُونَ بِأنْ قُتِلْتَ وإنَّما	قَتَلوا بِكَ التكبيرَ والتَهْليلا

انهالت المصائب على أهل البيت (ع) لا سيما زينب (ع) ، فالشهداء نالوا ما كانوا إليه يتسابقون ، وأنجز لهم ما كانوا يوعدون ، فمضوا إلى رضا من الله ورضوان وجنة وريحان ، ولكن زينب الكبرى (ع) تضاعفت مصائبها فقد شاركتهم في مصائبهم كلها مضافا إلى ذلك مصائبها بعد استشهاد إخوتها وحماها وما لاقته من الضرب والشتم والتشريد والأسر والسبي ، وفوق كل ذلك رؤيتها مصرع أخيها مقطع الأوصال مضرجا بالدماء مرملا بالعراء مسلوب الرداء ورأسه مقطوع وعلى القنا مرفوع !!

١ – زينب (ع) تشهد مصرع علي الأكبر (ع)

حملت السيدة زينب (ع) على عاتقها من المصائب ما لا تطيقه الجبال الراسيات ، فكانت السند الوحيد لابن رسول الله (ص) في محنته يوم عاشوراء ، وتتلقى تلك المصائب بقلب صابر وإيمان راسخ .

وكان جل اهتمام السيدة زينب (ع) يوم عاشوراء هو بقاؤها حول الخيام تسكّت اليتامى وترعى الثكالى وتصبِّرهن على تحمل النوائب والبلايا ، ولا تدعهم يخرجون من الخيام لكيلا

يذعروا بمشاهدة جثث الشهداء ، وكانت تملك نفسها من الخروج من الخيام لأن مع خروجها تتعلق بها النساء والأطفال فيراهم أعداء الله وأعداء رسوله فيفرحون بذلك ويشمتون بهم .

وفي استشهاد ولديها محمد وعون لم تخرج من خيمتها حتى لا تفقد صبرها عند رؤية أجسادهم المضرجة بالدماء إيمانا واحتسابا ولكي لا يراها الإمام الحسين (ع) على هذا الحال فيستحيي منها .

ولكن حينما استشهد علي الأكبر (ع) [1] لم تثبت الأمور على حالها ، ولم تصبر زينب الكبرى (ع) على هذا المصاب الجليل ولم تطق البقاء في خيمتها ، فخرجت مسرعة إلى أخيها الحسين (ع) وهو يحمل نعش ولده علي الأكبر (ع) .

وهنا وردت روايات على وجهين مختلفين ، وهذا لا ينافي وقوع الحدثين في ذلك اليوم :

١ – قال بعض أرباب المقاتل : لما قتل علي الأكبر (ع) أقبلت زينب (ع) إليه ووقعت عليه قبل مجيء الحسين (ع) ، وإنما سبقت أخاها لأنها علمت بأن عليا قد قتل ولو رآه الحسين (ع) مقتولا لفارقت روحه جسده فأشغلته بأمر الناموس حتى تهون عليه المصيبة لأن أمر الناموس أصعب الأمور على الغيور ، فإذا رأى الإنسان أخته أو حرمه بين الأعداء ينسى غير ذلك [2] .

العلاّمة آية الله السيد نور الله الجزائري يقول في هذا المورد :

---

[1] – أمه ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي ، جدهاً عروة هو أحد العظيمين اللذين قالت قريش فيه كما في قوله تعالى : " لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم " ، أسلم في السنة التاسعة من الهجرة ورجع إلى قومه يدعوهم إلى إلى الإسلام فرموه بالنبل قتيلا ، فقال عنه رسول ا... : " ليس مثله في قومه إلا كمثل صاحب ياسين في قومه " – عن الإصابة لابن حجر : ج ٢ ص ٧٨

[2] – معالي السبطين : ج ١ ص ٤١٥

على الرغم أن الإمام الحسين (ع) كان راكبا فرسه ، إلا أن السيدة زينب (ع) أسرعت راجلة إلى نعش علي الأكبر (ع) ، ولما وصل الإمام الحسين (ع) إلى مصرع ولده وقع بصره على أخته زينب (ع) ، ومن شدة غيرته على حريمه أرجع أخته إلى الخيمة ثم رجع هو إلى نعش ولده ، وعلى هذا تمكنت زينب (ع) بتدبيرها هذا أن تمتص جزءا كبيرا من جزع الحسين (ع) على مصابه بولده [1] .

٢- كما قلنا سابقا أن السيدة زينب (ع) في يوم عاشوراء أرسلت ولديها وفلذة كبدها محمد وعون إلى ميدان القتال ولما استشهدا أتى الإمام الحسين (ع) بنعشيهما إلى باب الخيمة ، ولكن زينب (ع) لم تخرج من خيمتها حتى لا يزيد همّ أخيها وغمه برؤيتها وهي تندب ولديها ، ولكن الأمر لم يكن كذلك حينما أتى الحسين (ع) بنعش ولده علي الأكبر (ع) ، هنالك خرجت زينب (ع) مسرعة ولم تندب أحدا من القتلى مثل ما ندبت علي الأكبر (ع) .

يقول حميد بن مسلم : فكأني أنظر إلى امرأة خرجت مسرعة كأنها الشمس الطالعة تنادي بالويل والثبور وتقول " يَا حَبِيبَاه !! يَا ثَمَرَةَ فُؤَادَاه !! يَا نُورَ عَيْنَاه !! يَا أُخَيَّاه وَابْنَ أُخَيَّاه !!

فسألت عنها قيل هي زينب بنت علي (ع) [2] .

وفي مقتل أبي مخنف نقل أن السيدة زينب (ع) صرخت ونادت : " وا وَلَدَاه !! وا قَتِيلاه !! وا قِلَّةَ نَاصِرَاه !! وا غَرِيبَاه !! وا مُهْجَةَ قَلْبَاه !! لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ هَذَا عَمْيَاء ، لَيْتَنِي وَسَدْتُ الثَّرَى " .

وجاءت وانكبت على نعش علي الأكبر (ع) ، فبكى الحسين رحمة لبكائها وقام وأخذ بيدها وردها إلى الفسطاط [3] .

---

[1] - الخصائص الزينبية : ص ٣٥١

[2] - بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ٤٤

[3] - معالي السبطين : ج ١ ص ٤١٢ ، مقتل الحسين (للسيد محمد تقي آل بحر العلوم) : ص ٣٤٩

٢- زينب (ع) تندب العباس (ع)

كما ذكر في المقاتل أن السيدة زينب (ع) فقدت في يوم عاشوراء ستة من إخوتها وهم : سيد الشهداء الإمام الحسين (ع) ، أبو الفضل العباس (ع) وإخوته لأمه (أم البنين) عبدالله وجعفر وعثمان ، ويحيى بن علي (ع) وأمه أسماء بنت عميس .

من المصائب التي اشتدت على زينب (ع) هي مصيبتها بقتل أخيها حامل راية الحسين (ع) أبي الفضل العباس (ع) .

لما رأت زينب (ع) أخاها رجع إلى المخيم باكيا منكسرا منحني الظهر يكفكف دموعه بكمه صاحت وهي تقول :" واأخاه ! واعبّاساه ! واقِلَّةَ ناصِرَاه ! واضَيْعَتَنا مِن بَعْدِك ! " [1] .
ثم قالت السيدة زينب (ع) لأخيها الحسين (ع) : لِمَ لَمْ تأتِ بأخي العباس (ع) ؟!
فقال لها الحسين (ع) : أختاه ، كلما أردت حمل أخي العباس رأيت أن أعضاءه مقطعة إربا إربا فلم أستطع حمله " !!
فأخذت السيدة زينب (ع) تندب أخاها العباس بالعبارات التي ذكرنا ،، فقال الحسين (ع) :
إي والله مِنْ بَعْدِهِ وَا ضَيْعَتَاه !! وَا انْقِطَاع ظَهْرَاه بَعْدَكَ يَا أَبَا الفَضْل !! [2] .

٣- علي الأصغر في حجر زينب (ع) ثم مناولتها إياه لأبيه (ع)

ومن المصائب التي فجعت بها زينب الكبرى (ع) استشهاد عبدالله الرضيع وعلي الأصغر .

---

[1] - الكبريت الأحمر (للتستري) : ص ١٦٢

[2] - معالي السبطين : ج ١ ص ٤٤١ - ص ٤٤٤ ، الحوادث والوقائع : ج ٣ ص ٢٣ ، مقتل الحسين (للمقرم) : ص ٣٢٨

وكما ورد في المقاتل أن في يوم عاشوراء استشهد طفلان رضيعان لأبي عبدالله الحسين (ع) وهما :

عبدالله الرضيع : الذي ولد يوم عاشوراء ، وأمه الرباب بنت امرئ القيس الكندية ، وأخته سكينة .

علي الأصغـــر : وكان عمره ستة أشهر (أو أقل من ذلك) وأمه شهربانو أم السجاد (ع) [1] .

والعجيب في الأمر أن زينب (ع) هي التي ناولت الحسين (ع) الطفلين ليودعهما .

كتب في شأن عبدالله الرضيع أن الإمام الحسين (ع) تقدم إلى باب الخيمة ، ودعا بابنه عبدالله الرضيع ليودعه ، فأجلسه في حجره ، وأخذ يقبله ويقول : " وَيْلٌ لِهَؤُلاءِ القَوْمِ إذَا كانَ جَدُّكَ المُصْطَفَى خَصْمَهُم " ، فرماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فذبحه وهو في حجر أبيه .

وأما علي الأصغر ، فقد أتي به الإمام الحسين (ع) نحو القوم يطلب له الماء ، وقال : فرماه حرملة بسهم مسموم ذي ثلاث شعب وذبحه فتلقى الحسين (ع) الدم بكفه ورمى به نحو السماء ، ولم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض [2] .

مِنْ دَمِهِ الزَّاكِي رَمَى نَحْوَ السَّمَا ... فَمَا أَجَلَّ لُطْفَهُ وَأَعْظَمَا

لَوْ كَانَ لَمْ يَرْمِ بِهِ إِلَيْهَا ... لَسَاخَتِ الأَرْضُ وَمَنْ عَلَيْهَا [3]

هذه المآسي المفجعة التي ألمّت بأهل البيت كانت أشد وقعا على زينب (ع) منه على الإمام (ع) نفسه ، فزينب (ع) إضافة إلى أنها كانت ترى بأم عينيها مصارع الشباب والأطفال

---

[1] – بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ٣٣٠

[2] – مقتل الحسين (للسيد آل بحر العلوم) : ص ٤٣٦ ، بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٤٦ ، مقتل الحسين (للمقرم) : ص ٣٣١

[3] – من أرجوزة نظمها آية ا... الحجة الشيخ محمد حسين الاصفهاني (ره)

التي يدمي لها القلب وتختنق لها العبرة كانت ترى الحزن على وجه أخيها أبي عبدالله الحسين (ع) فيزداد همها .

نعم ، " من أحب شيئا أحب آثاره " .

وزينب (ع) بحبها الفائق لأخيها الحسين (ع) كانت تتألم بآلامه وتحزن لأحزانه ، وبفيض هذا الحب وقفت كالجبل الراسخ تتلقى المصائب بقلب صابر ولسان شاكر وحمد على البلاء .

٤- زينب (ع) تندب أولاد أخيها الحسن (ع)

من المصائب التي مرت على زينب يوم عاشوراء هي مصيبة استشهاد ستة من أولاد أخيها الحسن المجتبى (ع) .

وحسب ما ورد في الروايات أن سبعة من أولاد الإمام الحسن (ع) كانوا يوم الطف إلى جوار عمهم الإمام الحسين (ع) ، ستة منهم نالوا الشهادة وهم : أحمد ، أبو بكر ، قاسم ، عبدالله الأكبر ، عبدالله الأصغر وعمر ، ونجا منهم حسن بن الحسن (ع) [1] .

كان قلب زينب (ع) يحترق بنار الأسى حينما تنظر إلى هؤلاء الفتية من أولاد أخيها الإمام الحسن (ع) المخلصين في طاعة ولي الله والحامين عن حرم رسول الله وهو يتسابقون إلى الحتوف .

---

[1] ـ أعيان الشيعة (للأمين) : ج ١ ص ٦١٠ ، اللهوف (لابن طاووس) : ص ١٤٥ ، معالي السبطين : ج ١ ص ٤٥٦

الحسن بن الحسن (ع) الملقب بالحسن المثنى ، حضر واقعة الطف وجاهد دون عمه الحسين (ع) فصرع ولما جاءوا لحز رأسه وجودوا به رمقا ، فتشفع به أسماء بن خارجة الفزاري من أخواله ، فحمله إلى الكوفة وعالجه فبرئ ، ثم لحق بالمدينة وتزوج بابنة عمه فاطمة بنت الحسين (ع) ومنه عقب الحسن الزكي (ع) ، وتوفي مسموما من قبل الوليد بن عبدالملك وعمره ٧٥ عاما (كما في عمدة الطالب : ص ٧٨)

ومن هؤلاء الفتية الأبطال عبدالله بن الحسن الذي لم يتجاوز عمره أحد عشر عاما ، فقد أوكل الإمام الحسين (ع) أخته الحوراء زينب (ع) بأن تمسكه كي لا يخرج من الفسطاط ، ولكن ما أن سمع الغلام نداء عمه الحسين (ع) وهو يستغيث خرج من الخيمة ، فلحقته زينب (ع) لتحبسه ، فقال لها الحسين (ع) احبسيه يا أختي ، فأبى وامتنع عليها امتناعا شديدا وقال : والله لا أفارق عمي ، وأهوى أبحر بن كعب إلى الحسين (ع) بالسيف فقال له الغلام : ويلك يا ابن الخبيثة أتقتل عمي فضربه أبحر بالسيف فاتقاه الغلام بيده وأطنها إلى الجلد فإذا يده معلقة ، ونادى الغلام : يا عماه !! يا أبتاه !!

فأخذه الحسين (ع) فضمه إليه وقال : يا ابن أخي صبرا على ما نزل بك واحتسب في ذلك الخير فإن الله يلحقك بآبائك الصالحين .

ثم رفع الحسين (ع) يديه وقال : اللهم فإن متعتهم إلى حين ففرقهم فرقا واجعلهم طرائق قددا ولا ترضي الولاة عنهم أبدا ، فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا فقتلونا .

فرماه حرملة بن كاهل بسهم فذبحه في حجر عمه الحسين (ع) .

وخرجت زينب بنت علي (ع) وهي تنادي : وا ابن أخاه !! وا نور عيناه !! ليت الموت أعدمني الحياة !! [1]

٥- زينب (ع) تندب ولديها

كما ذكرنا سابقا أن عبدالله بن جعفر - زوج الحوراء زينب (ع) - أرسل ولديه محمد وعون - وأمهما عقيلة الهاشميين زينب (ع) - إلى مكة المكرمة ، وأمرهما بلزوم خالهما الإمام الحسين (ع) والمسير معه والجهاد دونه ، فلحقا بالإمام الحسين (ع) وهو خارج من مكة .

والجدير بالذكر أن خيمة زينب الكبرى (ع) كانت في مقدمة خيام أهل البيت (ع) ، ولما حميت الحرب بين الطرفين كان لزينب (ع) دور كبير في رفع معنويات أصحاب أبي عبدالله

---

[1] - معالي السبطين : ج ١ ص ٤٦٣ - ص ٤٦٤

في القتال تستثير بذلك حفائظهم إلى جانب اهتمامها البالغ بالأطفال واليتامى والثكالى ، فكانت تخرج هي وحرائر الرسالة وبنات الزهراء من الخيمة ويصحن : يا معشر المسلمين ، ويا عصبة المؤمنين ، ادفعوا عن حرم الرسول وعن إمامكم المنافقين لتكونوا معنا في جوار جدنا رسول الله (ص) .

عند ذلك بكى أصحاب الحسين (ع) وقالوا : نفوسنا دون أنفسكم ودماؤنا دون دمائكم ، وأرواحنا لكم الفداء ، فوالله لا يصل إليكم أحد بمكروه وفينا عرق يضرب !! [1]

وأما عون ومحمد – أشبال الحوراء زينب (ع) – فكانا من أبطال يوم عاشوراء ، فدوا أنفسهم في سبيل رفع راية الحق مع إمام معصوم ، وكيف لا وقد ورثوا البطولة الهاشمية والمحاسن العلوية .

في ليلة عاشوراء ، أراد الإمام الحسين (ع) أن يختبر أهل بيته وأصحابه قال لهم : " قد أذنت لكم فانطلقوا جميعا في حل من بيعتي ليس عليكم مني ذمام ، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي وتفرقوا في سواد هذا الليل وذروني وهؤلاء فإنهم لا يريدون غيري " ، فقال له إخوته وأبناؤه وأبناء عبدالله بن جعفر : ولِمَ نفعل ذلك ؟! لنبقى بعدك !! لا أرانا الله ذلك أبدا !! [2]

وفي ظهيرة يوم عاشوراء لما اشتدت الحرب ووقعت النوبةعلى ولدي العقيلة زينب (ع) ، أخذت السيدة زينب (ع) بيدي محمد وعون وتقدمت بهما إلى محضر أخيها الحسين (ع) وقالت له : جدي إبراهيم (ع) قَبِل الأضحية من قِبَل الله (ع) (وهو كبش من الجنة) ، فاقبل

---

[1] – مقتل الحسين (للسيد محمد تقي آل بحر العلوم) : ص ٤٠٢ (نقلا عن أسرار الشهادة للدربندي ص ١٧٥)

[2] – معالي السبطين : ج ١ ص ٣٣٧

مني هذين الولدين ليفدوا بأنفسهما في سبيلك ، ولو لم يسقط الجهاد عن المرأة لفديتك بنفسي ألف مرة ، وطلبت في كل ساعة ألف شهادة في سبيلك !! [1]

قَبِل الإمام الحسين (ع) بذلك وعبأ ولديها للمبارزة مع الأعداء ، فتقدم محمد بن عبدالله إلى الإمام (ع) يستأذن منه البراز فقال : " سيدي ، أتأذن لي قبل أن أطير مع جدي (جعفر الطيار) في الجنان أن أقلع جذور هؤلاء الخبثاء ؟! "

فأذن له الإمام الحسين (ع) ، وخرج من الخيمة كالأسد الضرغام وأخذ يرتجز ويقول :

نَشْكُو إلَى اللهِ مِنَ العُدْوانِ	فِعَالَ قَوْمٍ فِي الرَدَى عُمْيَانِ
قَدْ تَرَكُوا مَعَالِمَ القُرآنِ	وَمُحْكَمَ التَنْزِيلِ وَالتِبْيَانِ

وَأظْهَرُوا الكُفْرَ مَعَ الطُغْيَانِ

فقاتل حتى قتل عشرة أنفس ثم شد عليه عامر بن نهشل التميمي فقتله .

ثم برز أخوه عون إلى الميدان ، وهو يرتجز ويقول :

إنْ تُنْكِرُونِي فَأنَا ابْنُ جَعْفَرِ	شَهِيدُ صِدْقٍ فِي الجِنَانِ أزْهَرِ
يَطِيرُ فِيهَا بِجَنَاحٍ أخْضَرِ	كَفَى بِهَذَا شَرَفاً فِي المَحْشَرِ

ثم قاتل حتى قتل ثلاثة فوارس وثمانية عشر رجلا ، ثم حمل عليه عبدالله بن قطنة الطائي فقتله [2] .

وطبقا لبعض الروايات لما رأى عون قاتل أخيه - عامر بن نهشل - قد وضع له كمينا ليقتله هو الآخر حمل عليه وبضربة واحدة قتله ، ثم اتجه مسرعا إلى خيمة الإمام الحسين (ع) ليعتذر منه وقال : لم أستطع صبرا على فراق أخي ، على هذا لم أتقدم إلى محضركم لأستأذنكم القتال ، فضمه الحسين (ع) إلى صدره وأذن له بالمبارزة ، فودعه وتوجه إلى

---

[1] - ناسخ التواريخ : ص ٧٤ ، الطرا المذهب : ص ٧٤

[2] - بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ٣٣ - ص ٣٤

القوم وقلبه يفيض إيمانا وتوكلا على رب العالمين حاملا سيفه المسلول ، فأخذ يقاتلهم قتال الأبطال وقتل منهم رجالا وفرسانا حتى قُتل [١] .

رد فعل زينب (ع) في استشهاد ولديها :

وحسب ما ورد في بعض الروايات : أن زينب (ع) يوم عاشوراء بيدها ألبست ولديها لباس القتال ومسحت عنهما الغبار وأعطتهما سيفيهما وأقبلت بهما إلى محضر أخيها الحسين (ع) تستأذن لهما المبارزة مع الأعداء ، فلم يأذن لهما الإمام الحسين (ع) وقال لزينب (ع) : قد لا يرضى بذلك زوجك عبدالله ، فقالت زينب (ع) : بل هو الذي أرسلهما إليك وأوصاهما بالجهاد دونك ، وأوصاني أن أقدمها للمبارزة على غيرهما من أبناء إخوتي .

وبعد إصرار زينب (ع) على أخذ الإذن لولديها من أبي عبدالله الحسين (ع) ، أذن لهما الإمام (ع) ، فخرجا من الخيمة ترافقهما أمهما الحوراء زينب (ع) ، واتجهوا إلى ميدان القتال .

لما رأى عمر بن سعد عونا ومحمدا في الميدان قال : عجبي لهذه المحبة بين زينب والحسين ، كيف فدت بولديها وقرة عينها دون أخيها الحسين !!

بعد استشهاد محمد وعون ، حمل الحسين (ع) نعشيهما معا ورجلاهما تخطان الأرض وجاء بهما إلى الخيمة ، فخرجت نساء بني هاشم تستقبلهما إلا العقيلة زينب (ع) أبت أن تخرج من خيمتها لكي لا تفقد صبرها فينقص بذلك من أجرها وحسب قول البعض لكي لا يراها أخاها الحسين (ع) في حال من البكاء والجزع فيخجل منها ولا يجد لذلك جوابا [٢] .

---

[١] ـ فرسان الهيجاء : ج ٢ ص ١٩ ، تذكرة الشهداء (ملا حبيب ا... الكاشاني) : ص ٥٥ ، ويجدر بالذكر أنه ورد في زيارة الناحية المقدسة لمولانا حجة بن الحسن (عج) أن محمدا هو الذي تبع عونا

[٢] ـ تذكرة الشهداء : ص ١٥٦ ـ ص ١٥٧ ، منتخب التواريخ : ص ٢٧٥

نعم ، كان حب زينب (ع) لأخيها الحسين (ع) وإيثارها في سبيل السير على نهجه القويم إلى حد أنها لم تظهر أي جزع وفزع على مقتل ولديها ، ولم تجعل لمصيبتها بهما إلى قلبها سبيلا وكأن لم يكن شيئا مذكورا ، ولم تتحدث في أمرهما لئلا تجرح به قلب إخوتها وأبناء إخوتها وتثبط بذلك عزيمتهم ولئلا تخدش خلوص صبرها وإيثارها في سبيل الله عز وجل ، مع العلم أن السيدة زينب (ع) كان لها من العمر في ذلك الوقت ٥٥ عاما .

نعم ، وهل يتوقع غير ذلك من بطلة كربلاء وأم المصائب والبلاء زينب الكبرى (ع) .

وفي صريح زيارة الناحية المقدسة الواردة عن حجة آل محمد صاحب الزمان وإمام الإنس والجان الحجة بن الحسن المهدي (عج) يقول في شأن ولدي السيدة زينب (ع) محمد وعون : " السلام على عون بن عبدالله بن جعفر الطيار ، حليف الإيمان ومنازل الأقران الناصح للرحمن التالي للمثاني والقرآن ، لعن الله قاتله عبدالله بن قطنة النبهاني ، السلام على محمد بن عبدالله بن جعفر الشاهد مكان أبيه والتالي لأخيه وواقيه ببدنه ، لعن الله قاتله عامر بن نهشل التميمي "[1] .

٦- زينب (ع) ووداع الإمام الحسين (ع) لولده الإمام السجاد (ع)

ذكر أرباب السير والمقاتل أن الحسين (ع) لما بقي وحيدا فريدا قد قتل جميع أصحابه وأهل بيته ، ورآهم على وجه الأرض مجزرين كالأضاحي ، ولم يجد أحدا ينصره ويذب عن حريمه ، وهو إذ ذاك يسمع عويل العيال وصراخ الأطفال ، فعند ذلك نادى بأعلى صوته : " هَلْ مِنْ ذَابٍّ عَنْ حَرَمِ رَسُولِ اللهِ ؟! هَلْ مِنْ مُوَحِّدٍ يَخَافُ اللهَ فِينَا ؟! هَلْ مِنْ مُغِيثٍ يَرْجُو اللهَ فِي إِغَاثَتِنَا ؟! " ، (والحسين (ع) يعلم علم اليقين أنه ما بقي ممن عاهد الله تبارك

---

[1] - بحار الأنوار : ج ١٠١ ص ٢٧١

وتعالى على نصرته أحد إلا وقد قُتِل بين يديه ، وما كانت نداءاته (ع) إلا لإلقاء الحجة على القوم الظالمين فينالهم العذاب الأكبر يوم القيامة) .

فارتفعت أصوات النساء بالبكاء والعويل .

قالوا : ونهض علي بن الحسين زين العابدين (ع) وخرج من الخيمة وهو يتوكأ على عصا ويجر سيفه ، إذ لا يقدر على حمله لأنه كان مريضا لا يستطيع الحركة .

فصاح الحسين بزينب (ع) – أم كلثوم الكبرى – : احبسيه يا أختاه لئلا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمد (ص) .

فقال زين العابدين (ع) : يا عمتاه ، ذريني أقاتل بين يدي ابن رسول الله !!

فأخذت زينب (ع) تمانعه وتنادي خلفه : يا بني ارجع ، حتى أرجعته إلى فراشه [1] .

وقال الحائري في الدمعة الساكبة : قد رأيت في بعض مؤلفات أصحابنا أنه لما ضاق الأمر بالحسين (ع) وقد بقي وحيدا فريدا التفت إلى خيم بني أبيه فرآها خالية منهم ، ثم التفت إلى خيم بني عقيل فوجدها خالية منهم ثم التفت إلى خيم أصحابه فلم ير أحدا منهم ، فجعل يكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ثم ذهب إلى خيم النساء ، فجاء إلى خيمة ولده زين العابدين (ع) فرآه ملقى على نطع من الأديم ، فدخل عليه وعنده زينب (ع) تمرضه ، فلما نظر علي بن الحسين (ع) أراد النهوض فلم يتمكن من شدة المرض فقال لعمته سنديني إلى صدرك ، فهذا ابن رسول الله (ص) قد أقبل ، فجلست زينب (ع) خلفه وأسندته إلى صدرها فجعل الحسين (ع) يسأل ولده عن مرضه وهو يحمد الله تعالى ، ثم أخذ الإمام زين العابدين يسأل والده عن أصحاب أبيه وأهل بيته وقد اختنقت زينب (ع) بعبرتها وجعلت تنظر إلى أخيها كيف يجيبه ، فقال الحسين (ع) : يا بني ، اعلم أنه ليس في الخيام رجل إلا أنا وأنت !! وأما هؤلاء الذين تسأل عنهم كلهم صرعى على الثرى ، فبكى

---

[1] – مقتل الحسين (للسيد آل بحر العلوم) : ص ٤٣٤ – ص ٤٣٥ ، مقتل الحسين (للمقرم) : ص ٣٢٩

علي بن الحسين (ع) بكاء شديدا ثم قال لعمته زينب (ع) : يا عمتاه ، علي بالسيف والعصا !! فقال له أبوه : وما تصنع بهما ؟! قال : أما العصا فأتوكأ عليها وأما السيف فأذب به بين يدي ابن رسول الله (ص) ، فإنه لا خير في الحياة بعده ، فمنعه الحسين (ع) من ذلك وضمه إلى صدره [1] ، وقال له : لا أدعك تفعل ذلك ، فأنت حجتي على أهل بيتي وشيعتي ، وترد هؤلاء النساء إلى المدينة .

ونرى مرة أخرى صبر زينب (ع) وهي تمرض ابن أخيها وتقف إلى جانبه في مرضه مع كثرة المصائب التي حلت عليها ، ثم ترى مشهد وداع أخيها الحسين (ع) لابنه زين العابدين (ع) وهما يحتضنان بعضهما ويبكيان مما زادها هما فوق همومها .

ثم لزم الإمام الحسين (ع) بيد ولده زين العابدين (ع) وصاح بأعلى صوته : يا زينب ، ويا أم كلثوم ويا سكينة ويا رقية ويا فاطمة ، اسمعن كلامي ، واعلمن أن ابني هذا خليفتي عليكم وهو إمام مفترض الطاعة [2] .

٧- زينب (ع) تودع أخاها الحسين (ع)

ذكر المرحوم ثقة الإسلام النوري (ره) هذا المنام عن رجل من الأخيار والأبرار والفضلاء والزهاد واسمه ميرزا يحيى الأبهري الذي قال :

أتيت كربلاء لزيارة الحسين (ع) في أيام عرفة حتى كانت ليلة الأضحى خرجت من الحرم الشريف وأتيت منزلي فنمت ، وإذا بقائل يقول في المنام إن ملا محمد باقر المجلسي يدرِّس في الصحن الشريف وأشار لي إلى المكان ، فأتيت إلى ذلك المكان فرأيت مسجدا كبيرا وقد اجتمع فيه خلق كثير من أهل العلم والمجلسي (ره) على المنبر جعل يدرسهم ، فلما فرغ أخذ في ذكر المصيبة ، فدخل شخص من داخل الحجرة وقال إن الصديقة

---

[1] – معالي السبطين : ج ٢ ص ٢٢ – ص ٢٣

[2] – معالي السبطين : ج ٢ ص ٢٣

الطاهرة (ع) تقول : اذكر المصائب المشتملة على وداع ولدي الشهيد ، فشرع في ذكر تلك المصائب ، فاجتمع خلق كثير وبكوا بكاء شديدا لم أر مثله في عمري ثم نزل [1] .

نعم ، إن مصيبة وداع الحسين (ع) مع عياله وأخواته من أعظم المصائب وأجلها على الحسين (ع) وأهل بيته ، فكان (ع) يرى غربة بنات العترة الطاهرة والصفوة المختارة ووحدتهم وقد شملتهم شماتة الأعداء ونوائب الدهر ، وأصابهم ما أصابهم من الفجائع وفقد الأحبة ، ويعلم ما سيصيبهم من الأسر والسبي والشتم والضياع بعده ، فكان قلبه الشريف يعتصر ألما وحزنا وهو يراهن على هذا الحال .

وما أشد وقع هذه المصيبة على قلب الحوراء زينب (ع) ، أتمسك نفسها عن الجزع أم تصبّر أخواتها وبنات أبي عبدالله الحسين (ع) على البلاء ، أم تسكّت الأطفال اليتامى عن البكاء!! لم يبقِ لها الزمان من تلجأ إليه وتشكو إليه بثها وحزنها ، فصبرت إيمانا واحتسابا وتيقنت أن ابتلاءها بمصائب كربلاء هو امتحان امتحنها الله عز وجل ولابد لها أن تتجاوزه بنجاح .

نستنبط من أقوال أرباب المقاتل أن الإمام الحسين (ع) ودع البعض بصورة خاصة وودع أهل بيته بصورة عامة أكثر من مرة ، وكانت السيدة زينب (ع) ملازمة لأخيها الحسين (ع) وتشهد في كل مرة وداع الحسين (ع) أهله وعياله وأصحابه ويتفطر قلبها على هذه المشاهد الأليمة والمحزنة .

ونورد هنا بعض الروايات التي ورد فيها اسم زينب (ع) :

في الوداع الأول : لما عزم الإمام الحسين (ع) على ملاقاة الحتوف ، جاء ووقف على باب خيمة النساء مودعا لحرم مخدرات الرسالة وعقائل النبوة ونادى :

" يَا زَيْنَب ، وَيَا أُمّ كَلْثُوم ، وَيَا فَاطِمَة ، وَيَا سُكَيْنَة ، عَلَيْكُنّ مِنّي السَلام "

فأقبلن إليه ودرن حوله ولسان حال زينب (ع) يقول :

---

[1] – معالي السبطين : ج ٢ ص ٢٤ – ص ٢٥

قُومُوا إلى التَوْدِيعِ إنَّ أخِي دَعَا ... بِجَوادِهِ إنَّ الفِرَاقَ طَوِيلُ
فَخَرَجْنَ رَبَّاتِ الحِجَالِ حَوَاسِراً ... وَغَدَا لَهَا حَوْلَ الحُسَيْنِ عَوِيلُ[1]

وقيل أنه لما وقف على باب الخيمة أخذ ينادي : من ذا يقدِّم لي جوادي ؟!
فجاءته زينب وقد أخذت بعنان الجواد فأسرجته وألجمته وقدمته إلى أخيها الحسين (ع) ، فلما استوى الحسين (ع) على ظهر جواده خنقتها عبرتها وقالت : أخِي لِمَنْ تُنادي ؟! قَطَّعْتَ نِيَاطَ قَلْبِي ثم قالت : مَا أجْلَدَنِي وأقساني ، أيُّ أختٍ تُقدِّم لأخيها فَرَسَ المَنُون ؟!
فرقَّ لها الحسين (ع) وبكى لحالها [2].

يقول الرائي :

مَنْ ذا يُقَدِّمُ لِي الجَوادَ وَلامَتِي ... والصَحْبُ صَرْعَى والنَصِيرُ قَلِيلُ
فَأَتَتْهُ زَيْنَبُ بِالجَوادِ تَقُودُهُ ... والدَمْعُ مِنْ ذِكْرِ الفِراقِ يَسِيلُ
وتَقُولُ قَدْ قَطَّعْتَ قَلْبِي يَا أخِي ... حُزْناً وَيَا لَيْتَ الجِبَالَ تَزُولُ
ولِمَنْ تُنَادِي والحُمَاةُ عَلَى الثَرَى ... صَرْعَى ولا مِنْهُمْ يُبَلُّ غَلِيلُ
مَا فِي الخِيَامِ وَقَدْ تَفَانَى أهْلُهَا ... إلاَّ نِسَاءٌ وُلَّهٌ وَعَلِيلُ
أرَأيْتَ أخْتاً قَدْ أتَتْ بِشَقِيقِهَا ... فَرَسَ المَنُونِ وَلا حِمَى وَكَفِيلُ
فَتَبَادَرَتْ مِنْهُ الدُمُوعُ وَقَالَ يَا ... أخْتَاهُ صَبْراً فَالمُصَابُ جَلِيلُ
فَبَكَتْ وَقَالَتْ يَا ابْنَ أُمِّي لَيْسَ لِي ... وَعَلَيْكَ مَا الصَبْرُ الجَمِيلُ جَمِيلُ
يَا نُورَ عَيْنِي يَا حُشَاشَةَ مُهْجَتِي ... مَنْ لِلنِسَاءِ الضَائِعَاتِ دَلِيلُ
وَرَنَتْ إلَى نَحْوِ الخِيَامِ بِعَوْلَةٍ ... عُظْمَى تَصُبُّ الدَمْعَ وَهِيَ تَقُولُ
قُومُوا إلَى التَودِيعِ إنَّ أخِي دَعَا ... بِجَوادِهِ إنَّ الفِرَاقَ طَوِيلُ

---

[1] – مقتل الحسين (للسيد محمد تقي آل بحر العلوم) : ص ٤٣٤

[2] – مقتل الحسين (للسيد محمد تقي آل بحر العلوم) : ص ٤٣٤ الحاشية

فَخَرَجْنَ رَبَّاتِ الخُدُورِ عَوَالِيـاً   وَغَدَا لَهَا نَحْوَ الحُسَيْنِ عَوِيـلُ
الله مَا حَالُ العَلِيلِ وَقَـدْ رَأَى   تِلْكَ المَدَامِعُ لِلْوَداعِ تَسِيـلُ [1]

وأما وداعه الثاني حينما أمر عياله بالسكوت وودعهم ثانيا وكانت عليه جبة خز دكناء وعمامة موردة أرخى لها ذؤابتين والتحف ببردة رسول الله (ص) ولبس درعه وتقلد بسيفه وطلب ثوبا لا يرغب فيه أحد يلبسه تحت ثيابه لئلا يجرد منه ، فإنه مقتول مسلوب ، فأتوه بتبان [2] فلم يرغب فيه لأنه لباس من ضربت عليه الذلة ، فأخذ ثوبا خَلِقا فمزقه وجعله تحت ثيابه ، ودعا بسراويل حبرة ففزرها ولبسها لئلا يُسلبها [3] .

ثم قال لأخواته وبناته : أودعتكن الله من نساء ضائعات حاسرات من بعدي !!

وفي هذا الوداع طلب الإمام الحسين (ع) أن يناولوه ولده علي الأصغر فناولوه ، ثم أخذه إلى الميدان يطلب له ماء فرموه بالنبال واستشهد وهو في حجر أبيه الحسين (ع) [4] .

وروي أيضا أنه حينما نظر الحسين (ع) إلى اثنين وسبعين رجلا من أحبته وثمانية عشر رجلا من أهل بيته صرعى ، عزم على لقاء القوم بمهجته ، ثم جعل ينادي : هل من راحم يرحم آل الرسول ؟! هل من ناصر ينصر ذرية الطاهرة البتول ؟! ثم التفت إلى الخيمة ونادى : يا سكينة ويا فاطمة ويا زينب ويا أم كلثوم ، عليكن مني السلام ، فهذا آخر الاجتماع ، وقد قرب منكن الافتجاع .

ثم بكى الحسين (ع) بكاء شديدا ، فقالت له زينب (ع) : أخي ، لا أبكى الله عينك ، مم بكاؤك ؟! فقال الحسين (ع) : " كَيْفَ لا أَبْكِي وَعَمَّا قَلِيلٍ تُسَاقُونَ بَيْنَ العِدَى " .
فعلت أصواتهن بالبكاء وصحن : " الوَدَاع الوَدَاع ، الفراق الفِراق " [5] .

---

[1] – معالي السبطين : ج ٢ ص ٢٧
[2] – التبّان : سراويل صغيرة بمقدار ستر العورة
[3] – مقتل الحسين (للسيد محمد تقي آل بحر العلوم) : ص ٤٣٧ – ص ٤٣٨
[4] – بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ٤٦
[5] – تذكرة الشهداء : ص ٣٠٧

وفي رواية أنه : لما سمعت زينب (ع) كلام أخيها الحسين (ع) بكت ونادت :

" وَاوَحْدَتَاه !! وَا قِلَّةَ نَاصِرَاه !! وَا سُوءَ مُنْقَلَبَاه !! وَا شُؤْمَ صَبَاحَاه !! "

فشقت ثوبها ونشرت شعرها ولطمت على وجهها .

فقال لها الحسين (ع) : " مَهْلاً يَا بِنْتَ المُرْتَضَى ، إِنَّ البُكَاءَ طَوِيلٌ !! "

فأراد الحسين (ع) أن يخرج من الخيمة فتعلقت به وقالت : " مَهْلاً يا أخِي ، تَوَقَّفْ حَتَّى أتَزَوَّدَ مِنْكَ وَمِنْ نَظَرِي إِلَيكَ وَأُوَدِّعَكَ وَدَاعَ مُفَارِقٍ لا تَلاقِيَ بَعْدَه "[1] .

فجعلت تقبل يديه ورجليه وأحطن به سائر النسوة وجعلن يقبلن يديه ورجليه ، فسكتهن الحسين (ع) وردهن إلى الفسطاط ، ثم دعا بأخته زينب (ع) وصبّرها ، وأمَرّ يده على صدرها وسكنها من الجزع وذكر لها ما أعد الله من الثواب للصابرين وما وعد الله من الكرامات للمقربين .

تلك اليد المباركة ، يد الولاية والإمامة ، حينما لا مست صدر زينب (ع) المليئة بالأحزان والشجون ، وتلك الكلمات التي خرجت من فم العصمة والطهارة فزينت أذن زينب الكبرى (ع) ، هنالك رضيت وأظهرت الفرح والسرور في وجهه المبارك وقالت :

" يَا ابْنَ أُمِّي ، طِبْ نَفْساً وَقَرَّ عَيْناً ، فَإِنَّكَ تَجِدُنِي كَمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى "[2] .

وقالت بلسان الحال :

صَبَرْتُ عَلَى شَيْءٍ أَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ ... سَأَصْبِرُ حَتَّى يَعْجَزَ الصَّبْرُ عَنْ صَبْرِي

هي الصابرة بنت الصابرة وبنت أمير المؤمنين (ع) وهو أصبر الصابرين .

---

[1] – مقتبس من معالي السبطين : ج ٢ ص ٢٦ (نقلا عن ناسخ التواريخ) ، أنوار الشهادة : ج ٣ ص ١٩٢ ، رياحين الشريعة : ج ٣ ص ٩٦

[2] – معالي السبطين : ج ٢ ص ٢٦

بِـأَبِـي الَّتِـي وَرِثَـتْ مَصَـائِـبَ أُمِّـهَا   فَغَـدَتْ تُقَابِلُـهَـا بِصَبْـرِ أَبِيهَـا [1]

٨- زينب (ع) تفي بوصية أمها الزهراء (ع)

في خضم هذه الأحداث الأليمة يوم عاشوراء تذكرت زينب (ع) وصية أمها الزهراء (ع) ، فقد أوصت الزهراء فاطمة (ع) ابنتها الحوراء زينب (ع) أنه سيأتي يوم على قرة عيني الحسين (ع) يتوجه إلى ميدان القتال ولن أكون معه آنذاك ، فنيابة عني قبّليه في نحره قبل أن يتوجه إلى الميدان .

هنالك قالت زينب (ع) لأخيها الحسين (ع) : أخي ، توقف قليلا حتى أعمل بوصية أمي . توقف الإمام (ع) فقبلته زينب (ع) في نحره ثم رجعت إلى الخيمة [2] .

٩- مقابلة زينب (ع) مع عمر بن سعد عند مصرع الحسين (ع)

ووقعت الطامة الكبرى والمصيبة العظمى حينما أقبل فرس الحسين (ع) - ذو الجناح - يدور حوله ويلطخ عرفه وناصيته بدمه ويشمه ويصهل صهيلا عاليا ، ثم جعل يرمح برجليه حتى قتل رجالا وأفراسا كثيرة .

وبهذا الصهيل الحزين توجه نحو المخيم ، فلما نظرن النساء إلى الجواد مخزيًا ، برزن من الخدور ، ناشرات الشعور ، على الخدود لا طمات ، وللوجوه سافرات وبالعويل داعيات ، وبعد العز مذللات وإلى مصرع الحسين مبادرات [3] .

---

[1] - مقتبس من معالي السبطين : ج ٢ ص ٢٦ (نقلا عن ناسخ التواريخ) ، أنوار الشهادة : ج ٣ ص ١٩٢ ، رياحين الشريعة : ج ٣ ص ٩٦

[2] - تذكرة الشهداء (املا حبيب ا... الكاشاني) : ص ٣١١

[3] - مقتل الحسين (للسيد محمد تقي آل بحر العلوم) : ص ٤٥٢ (نقلا عن زيارة الناحية المقدسة المنسوبة إلى حجة آل محمد)

وخرجت زينب بنت علي (ع) – ومن خلفها النساء والأرامل واليتامى – من الفسطاط إلى جهة المعركة وهي تنادي :

" وَامُحَمَّدَاه !! وَاعَلِيَّاه !! وَاجَعْفَرَاه !! وَاحَمْزَتَاه !! وَاسَيِّدَاه !! هَذَا حُسَيْنٌ بِالعَرَاءِ صَرِيعٌ كَرْبَلاء لَيتَ السَمَاءَ أطْبِقَتْ عَلَى الأرْضِ وَلَيْتَ الجِبَالَ تَدَكْدَكَتْ عَلَى السَّهْلِ "[1].

وانتهت زينب بنت علي (ع) نحو الحسين (ع) وقد دنا منه عمر بن سعد – والحسين يجود بنفسه – فصاحت به : " أيْ عُمَر ، وَيْحَكَ أيُقْتَلُ أبُو عَبْدِالله وَأنْتَ تَنْظُرُ إلَيْهِ !! ".
فصرف وجهه عنها ودموعه تسيل على وجهه ولحيته[2].

فعند ذلك صاحت زينب (ع) بالقوم : " وَيْحَكُمْ ، أمَا فِيكُمْ مُسْلِمٌ !! " ، فلم يجبها أحد[3].
ثم صاح ابن سعد بالناس : ويحكم انزلوا إليه فأريحوه !!

فنزل إليه شمر بن ذي الجوشن فضربه برجله وألقاه على قفاه ، ثم أخذ بكريمته المقدسة – والحسين (ع) يلوك بلسانه من شدة العطش – فضربه بالسيف اثنتي عشرة ضربة ، ثم حز رأسه ودفعه إلى خولي بن يزيد فقال : احمله إلى الأمير ابن سعد ، وزينب (ع) تنظر إلى ذلك[4].

وجَاءَت لِشِمرٍ زَينبُ ابنةُ فَاطِمٍ	تُعَنِّفُهُ عَن أمْرِهِ وَتَعْذِلُ
تُدافِعُه بالكَفِّ طَوراً وتَارَةً	إليهِ بِطهَ جَدِّها تَتَوَسَّلُ
أيَا شِمْرُ لا تَعْجَلْ عَلى ابنِ مُحَمَّدٍ	فَذو تِرَةٍ في أمْرِهِ ليس يَعْجَلُ

---

[1] – مقتل الحسين (للسيد محمد تقي آل بحر العلوم) : ص ٤٥٢ (نقلا عن مقتل الحسين للمقرم : ص ٣٤٧) بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ٥٤

[2] – مقتل الحسين (للسيد محمد تقي آل بحر العلوم) : ص ٤٥٢ (نقلا عن تاريخ الطبري : ج ٥ ص ٤٥٢ ، وكامل الأثير : ج ٣ ص ٢٩٥ ، وأنساب البلاذري : ج ٣ ص ٢٠٣)

[3] – إرشاد المفيد : ص ٢٧١

[4] – بحار الأنوار : ج ٥٤ ص ٥٦ ، مقتل الحسين (للسيد محمد تقي آل بحر العلوم) : ص ٤٥٣

أيَا شِمْرُ مهما كنت في الناس جاهِلاً	فمِثْلَ حُسَينٍ لَسْتَ يا شِمرُ تَجْهَلُ
أيَا شِمر هذا حُجَّةُ الله في الوَرَى	أعِدْ نَظَراً يا شِمرُ إن كُنتَ تَعقِلُ
وَمَرٌ يَحُزُّ الرَّأسَ غَيرَ مُراقِبٍ	مِنَ الله لا يَخْشَى ولا يَتَوَجَّلُ [1]

وفي بعض المقاتل ورد أن زينب (ع) اعتنقت أخاها ووضعت فمها على نحره وهي تقبّله وتقول : " أخِي لَو خُيِّرْتُ بين الرَّحيلِ والمَقَامِ عندَكَ لاخْتَرْتُ المقامَ عندَكَ ولو أنّ السِباعَ تأكلُ من لحمي ، يا ابن أمي ، لقد كَلَلْتُ من المُدافعةِ لهؤلاء النساء والأطفال وهذا مَتْنِي قد اسوَدَّ من الضّرب " [2] .

لهفي على زينب الكبرى (ع) حينما قبّلت أخاها الحسين (ع) في موضع لم يسبقها أحد أن قبّله فيها ، قبّلته في نحره الشريف والدماء تسيل منه ، فارتوت من فيضه المبارك والمقدس .

وفي تظلم الزهراء للقزويني أن زينب (ع) لما علمت بالوقعة خرت مغشيا عليها فلما أفاقت من غشيتها ركضت نحو المعركة وهي تارة تعثر بأذيالها وتارة تسقط على وجهها من عظم دهشتها حتى انتهت إلى المعركة فجعلت تنظر يمينا وشمالا فرأت أخاها الحسين (ع) على وجه الأرض يقبض يمينا وشمالا والدم يسيل من جراحاته كالميزاب ، فطرحت نفسها على جسده الشريف وجعلت تقول :

أأنْتَ أخِي الحُسَين !! أأنتَ ابنُ أمِّي !! أأنتَ نُورُ بَصَرِي !! أأنتَ مُهجَةُ قَلْبِي !! أأنتَ حِمَانا !! أأنتَ رَجَانا !! أأنت كَهْفُنا !! أأنتَ عِمَادُنا !! أأنتَ ابنُ مُحَمَّدٍ المُصْطَفَى !! أأنتَ ابْنُ عَلِيٍّ المُرْتَضَى !! أأنتَ ابْنُ فَاطِمَةَ الزَهْرَاء !!

---

[1] – من قصيدة في رثاء الحسين (ع) للمرحوم الحاج هاشم الكعبي

[2] – معالي السبطين : ج ٢ ص ٥٥

وأقول : ماذا جرى على الجسد الشريف والبدن الطاهر لكي تقول زينب الكبرى (ع) : أأنت أخي !! أأنت ابن أمي ؟!! كيف لم تتعرف زينب (ع) على جسد أخيها وهي لم تكد تفارقه إلا لحظات قلائل !!

المصيبة أعظم من قطع رأس أو بتر إصبع أو سلب رداء ، فالحسين (ع) لم يبق من جسده الطهر الطاهر بمقدار أنملة إلا وأصيب بجراح !!

إذاً كيف تعرفت عليه وهو على مثل هذا الحال ؟!

لعلها كانت تجول على أرض كربلاء تبحث عن يوسف زمانها ، فجذبتها رائحته الزكية ونسمته العطرة ، فقالت بلسان الحال : " إني لأجد ريح الحسين " !!

كل هذا ولا يرد عليها جوابا ولا يسمع لها خطابا لأنه (ع) كان مغشيا عليه لكثرة ما لاقاه من الجراحات ، فألحت عليه بالخطاب وكثر منها البكاء إلى أن أفاق ، فرمقها بطرفه الشريف وأشار إليها بيده فغشي عليها فلما أفاقت قالت له : " أَخِي بِحَقِّ جَدِّي رَسُولِ الله (ص) إلا ما كَلَّمْتَنِي ، وَبِحَقِّ أَبِي أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ إلا ما خَاطَبْتَنِي ، يا حَشَاشَ مُهْجَتِي بِحَقِّ أُمِّي الزَّهْرَاءِ إلا مَا جَاوَبْتَنِي ، يَا ضِيَاءَ عَيْنِي ، يَا شَقِيقَ رُوحِي جَاوِبْنِي " ، فانتبه الحسين من قولها وقال :

" يا أُخْتَاه ، هَذَا يَومُ التَّنَادِ والفِرَاق ، هَذَا اليَوْمُ الذِي وَعَدَنِي بِهِ جَدِّي وَهُوَ إِلَيَّ مُشْتَاق " ثم أغمي عليه ، وعند ذلك جلست خلفه وأجلسته حاضنة له بصدرها فالتفت الحسين (ع) وقال : " أُخَيَّةُ زَيْنَبُ ، كَسَرْتِ قَلْبِي ، وَزِدْتِنِي كَرْباً فَوْقَ كَرْبِي ، فَبِالله عَلَيْكِ إلاّ مَا سَكَتِّ " وسكت (ع) ، فصاحت : " واوَيْلاه ، أَخِي وابْنَ أُمِّي ، كَيْفَ أَسْكُن وَأَسْكُتْ وأَنْتَ بِهذه الحالَةِ تُعالِجُ سَكَرَاتِ المَوتِ تَقْبِضُ يَميناً وتَمُدُّ شِمَالا ، تُقَاسِي مَنُوناً وَتُلاقِي أَهْوالاً ، رُوحِي لِروحِكَ الفِداء ، ونَفْسِي لِنَفْسِكَ الوِقَاء " [1] .

---

[1] ــ معالي السبطين : ج ٢ ص ٣٩ ــ ص ٤٠

وارتفعت في ذلك الوقت غبرة شديدة سوداء مظلمة ، فيها ريح حمراء ، لا يرى فيه عين ولا أثر ، وارتجت الأرض وكسفت الشمس حتى ظن القوم أن العذاب قد جاءهم ، فلبثوا كذلك ساعة ، ثم انجلت الغبرة عنهم وسكنت وذلك لوجود حجة الله على الأرض وهو الإمام زين العابدين (ع) [1] .

١٠- مواجهة زينب (ع) الشديدة مع شمر بن ذي الجوشن

بينما كانت زينب (ع) تخاطب أخاها الحسين (ع) وتبكيه ، وإذا بالسوط بين كتفيها وقائل يقول : تنحي عنه وإلا ألحقتك به !! فالتفتت وإذا هو شمر بن ذي الجوشن ، فاعتنقت أخاها وقالت لشمر : يا عدو الله ، لا أتنحى عنه ، إن ذبحته فاذبحني معه !!
فجذبها عنه قهرا وضربها ضربا عنيفا وقال اللعين : والله إن تقدمت إليه أضرب عنقك بهذا السيف !!
ثم أن اللعين دنا وقد كان أغمي على الحسين (ع) وارتقى على صدره الشريف المطهر وقلّبه على وجهه المنور .
وأقول شاء الله أن يلقى الحسين (ع) ربه ساجدا وواضعا جبهته الكريمة على التراب ، فتجلت بذلك حقيقة الخضوع وكمال الخشوع والاستسلام لقضاء الله عز وجل .
فلما رأت ذلك تقدمت وجذبت السيف من يده وقالت : " يا عدو الله ، ارفق به ، لقد كسرت صدره ، أما علمت أن هذا الصدر تربى على صدر رسول الله (ص) وعلي (ع) وفاطمة (ع) ، ويحك هذا الذي ناغاه جبرائيل وهز مهده ميكائيل ، فبالله عليك إلا أمهلته ساعته لأتزود منه ، ويحك يا لعين دعني أقبّله ، دعني أغمضه ، دعني أنادي بناته يتزودن منه ، دعني آتيه بابنته سكينة فإنه يحبها وتحبه " .

---

[1] – مقتل الحسين (للسيد محمد تقي آل بحر العلوم) : ص ٤٥٤ (نقلا عن بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ٥٧) مثير الأحزان : ص ٩٠ ، الطراز المذهب (نقلا عن ناسخ التواريخ) : ص ٥٦٧–ص ٥٦٨

فعند ذلك غار عليها فوقعت على وجهها مغشيا عليها ، كل هذا ولم يعبأ بكلامها ولا رق لها قلبه وصنع ما صنع [1] .

١١- إخبار زينب (ع) عن رض الخيل جسد أخيها الحسين (ع)

ومن المصائب التي ألمت بالعقيلة زينب الكبرى (ع) حينما أخبرت أن عمر بن سعد نادى في أصحابه فيمن ينتدب إلى الحسين فيوطيء الخيل ظهره وصدره فانتدب له عشرة من الفوارس ، فداسوا ريحانة رسول الله (ص) بحوافر الخيل [2] .

وحسب ما ورد في بعض الروايات أن فضة هي التي أخبرت زينب(ع) بهذا الخبر المفجع .

وفي روايات أخرى أن فضة حينما دخلت على زينب (ع) رأتها وهي تبكي بكاء شديدا لم ترها مثل هذا الحال من قبل ، فسألتها عن ذلك ، فقالت لها (ع) : أولم تعلمي أن عشرة من الفرسان قد ركبوا الخيول يريدون أن يرضوا جسد أخي بحوافر الخيول !!

١٢- نهب خيام آل سيد الأنبياء (ص)

لم يكتف أعداء الله بقتل سبط الرسول وقرة عين البتول وذرية الأطهار وإحراق قلوب بنات الرسالة وحرم النبوة بنار الافتجاع والحزن ، بل انقلبوا على أعقابهم ينهبون ويسلبون بيوت آل الرسول حتى جعلوا ينزعون ملحفة المرأة عن ظهرها ، وأضرموا النار في الخيام فخرجت بنات الطهر من الخيام نادبات باكيات حاسرات .

---

[1] - معالي السبطين : ج ٢ ص ٣٩ - ص ٤١ ، اقتباس من الطراز المذهب (نقلا عن ناسخ التواريخ) : ص ٥٦٧ - ص ٥٦٨

[2] - أعلام الورى : ص ٢٤٦، مقتل الحسين (للسيد محمد تقي آل بحر العلوم : ص ٤٦٠) ، مثير الأحزان : ص ٩٢

واشجَى مُصابٍ اغْضَبَ الحقَّ غَيرةً	وأدْمَى جُفـونَ المَجْـدِ فهي له عَبْـرَى
هُجومُ بَنِي حَرْبٍ على حَرَمِ الهُدَى	على حين رَبُّ العَـرْشِ شَرَّفَـه قَـدْرا
فتُمْسِي بلا سِـتْرٍ بَنَـاتُ مُحَمَّدٍ	وإنْ هُـنَّ قـد أُلْبِسْـنَ مِنْ هَيْبَةٍ سِتْرا
وأنْ أكُفُّ الخَمْـرِ تَمْتَـدُّ نَحوَها	علـى قِصَـرٍ فيهـا فَتَنْتَزِعَ الخُـمْـرا
ومَذْعـورة بِـاليُتْمِ قـد ريعَ قَلْبُها	كطيرٍ علـيها الصَقْرُ قد هاجمَ الوَكْرا [1]

قالت زينب بنت أمير المؤمنين(ع) : كنت في ذلك الوقت واقفة في الخيمة ، إذ دخل رجل أزرق العينين فأخذ ما كان في الخيمة ، ونظر إلى علي بن الحسين (ع) وهو على نطع من الأديم ، وكان مريضا ، فجذب النطع من تحته ورماه إلى الأرض والتفت إلي وأخذ القناع من رأسي ونظر إلى قرطين كانا في أذني، فجعل يعالجهما وهو يبكي حتى نزعهما ، فقلت : تسلبني وأنت تبكي !! فقال : أبكي لمصابكم أهل البيت ، فقلت له : قطع الله يديك ورجليك وأحرقك الله بنار الدنيا قبل نار الآخرة .

وقال أبو مخنف : فما مضت الأيام حتى ظهر المختار بن عبيد الله الثقفي (رض) يطلب بثار الحسين (ع) في الكوفة ، فوقع ذلك الملعون بيده وهو خولي لعنه الله ، فلما وقف بين يديه قال ما صنعت يوم كربلاء ؟! قال : أتيت إلى علي بن الحسين (ع) فأخذت نطعا من تحته وأخذت قناع زينب بنت علي وقرطيها .

فبكى المختار وقال : فما قالت لك ؟!

قال : قالت قطع الله يديك ورجليك وأحرقك الله بنار الدنيا قبل نار الآخرة .

فقال المختار (رض) : فوالله لأجيبن دعوة الطاهرة المظلومة .

ثم قدمه وقطع يديه ورجليه وأحرقه بالنار [2] .

---

[1] ـ أبيات من قصيدة رثاء للعلامة الشيخ الفرطوسي

[2] ـ معالي السبطين : ج ٢ ص ٨٦ ـ ص ٨٧

١٣- حفظ العقيلة زينب (ع) ابن أخيها السجاد (ع) من القتل

لما انتهى القوم إلى علي بن الحسين زين العابدين (ع) - وهو مريض منبسط على فراشه لا يستطيع النهوض - وإذا بجماعة من الرجالة في مقدمتهم شمر بن ذي الجوشن يقولون : ألا نقتل هذا العليل ؟!

فهمَّ شمر بقتله فقال حميد بن مسلم : سبحان الله ، أتقتل الصبيان ؟! إنما هذا صبي !! [١]

فقال شمر : قد صدر أمر الأمير عبيد الله بن زياد بقتل جميع أولاد الحسين .

وسلَّ سيفه ليقتله ، فألقت زينب (ع) بنفسها عليه وقالت : " والله لا يقتل حتى أقتل دونه " ، فكفوا عنه [٢] .

١٤- زينب (ع) تحمي فاطمة الصغرى (ع)

يقول العلامة المجلسي (رض) في بحار الأنوار أن فاطمة الصغرى (ع) قالت : كنت واقفة بباب الخيمة وأنا أنظر إلى أبي وأصحابه مجزرين كالأضاحي على الرمال والخيول على أجسادهم تجول ، وأنا أفكر فيما يقع علينا بعد أبي من بني أمية أيقتلوننا أو يأسروننا ، فإذا أنا برجل على جواده يسوق النساء بكعب رمحه وهن يلذن بعضهن ببعض وقد أخذ ما عليهن من أخمرة وأسورة وهن يصحن وا جداه !! وا أبتاه !! وا علياه !! وا قلة ناصراه !! وا حسناه !! أما من مجير يجيرنا !! أما من ذاب يذود عنا !!

قالت : فطار فؤادي وارتعدت فرائصي ، فجعلت أحيل بطرفي يمينا وشمالا على عمتي زينب (أم كلثوم الكبرى) خشية منه أن يأتيني فبينا أنا على هذه الحالة وإذا به قد قصدني

---

[١] - وفي بعض الروايت : " إنما هو مريض "

[٢] - اقتباس من : مقتل الحسين (للسيد محمد تقي آل بحر العلوم) : ص ٤٥٧ ، معالي السبطين : ج ٢ ص ٨٧ مقتل الحسين (للمقرم) : ص ٣٧١

فقررت منهزمة وأنا أظن أني أسلم منه وإذا بـه قـد تبعني ، فذهلـت خشية منـه ، وإذا بكعب الرمح بين كتفي فسقطت على وجهي فخرم أذني وأخذ قرطي ومقنعتي وترك الدماء تسيل على خدي ورأسي تصهره الشمس ، وولى راجعا إلى الخيم وأنا مغشي علي ، وإذا أنـا بعمتي عندي تبكي وهي تقول : قومي نمضي ، ما أعلم ما جرى على البنات وعلى أخيك العليل ، فقمت وقلت : يا عمتاه هل من خرقة أستر بها رأسي عن أعين النظار ؟! فقالت : يا بنتاه ، وعمتك مثلك !!

فقمت فرأيت رأسها مكشوفا ومتنها قد اسود من الضرب ، فما رجعنا إلى الخيمة إلا وهي قد نهبت وما فيها ، وأخي علي بن الحسين (ع) مكبوب على وجهه لا يطيق الجلوس من كثرة الجوع والعطش والأسقام فجعلنا نبكي عليه ويبكي علينا [1] .

١٥- حرق خيام آل بيت الأطهار

بعد استشهاد سيد الشهداء وأبي الأحرار أبي عبدالله الحسين (ع) وبعد نهب خيام أهل بيته وسلبها ، أقبل عمر بن سعد إلى الخيام ونادى : يا أهل بيت الحسين ، اخرجوا من الخيام !!

فلم يعتن أهل البيت (ع) بكلامه ، فأخذ ينادي ثانية : اخرجوا من الخيام !!

فقالت له العقيلة زينب (ع) : كف يدك عنا يا عمر !!

فقال عمر بن سعد : يا بنت علي ، اخرجن من الخيام لكي نحملكم أسرى .

فقالت العقيلة الهاشمية (ع) : أما تخاف الله ؟! أما يكفيك ما فعلت ؟!

فقال عمر بن سعد : لا مفر من أسركن .

فقالت الحرة الأبية (ع) : نحن لا نخرج من الخيام ولا نلقي بأنفسنا في الأسر .

هنالك أمر عمر بن سعد أن يضرموا النار في الخيام [2] .

---

[1] - بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ٦٠ - ص ٦١

[2] - تذكرة الشهداء (ملا حبيب ا... الكاشاني) : ص ٣٥٨ - ص ٣٥٩

فخرجت النساء حواسر حافيات باكيات .

وفي بعض المقاتل أن زينب الكبرى (ع) أقبلت على زين العابدين (ع) وقالت :
" يَا بَقِيَّةَ الماضين وثِمالَ [1] البَاقين قَدْ اضْرَمُوا النَّارَ في مَضارِبنا ، فَمَا رَأيُك فينا !!".
فقال (ع) : " عَلَيْكُنَّ بِالفِرَار !! " .
ففررن بنات رسول الله (ص) صائحات باكيات نادبات [2] .

وأقول : وهل من ملجأ إلا الفرار !! فلِمَ تستشير زينب الكبرى (ع) الإمام السجاد (ع) في هذا الأمر الاضطراري ؟!

هنا تتجلى عظمة عقيلة بني هاشم (ع) في طاعتها لولي أمرها وإمام زمانها وتعظيمها لشأن الولاية المقدسة وإجلالها لمقام الإمامة المعظمة في كل صغيرة وكبيرة ، وإذا كان الإمام السجاد (ع) قد أمر بالبقاء في الخيام التي تلتهمها النيران من كل جانب ، لما خرجت زينب (ع) عن هذا الأمر قيد أنملة ولبقيت في الخيام بأمر وليها !!

فعجبي كل العجب من مقام هذه الطاهرة الزكية بنت محمد المصطفى وعلي المرتضى وفاطمة الزهراء ، وأخت النجباء الأكرمين الحسن والحسين عليهم صلوات الله أجمعين .

١٦ – زينب الكبرى (ع) تحمي السجاد (ع) والخيام تحترق من حولهما

حينما لاذت بنات الزهراء (ع) بالفرار من الخيام ، بقيت زينب (ع) واقفة تنظر إلى زين العابدين (ع) لأنه لا يتمكن من النهوض والقيام .

---

[1] – ثمال : ثمال القوم يعني غياث لهم ويقوم بأمرهم
[2] – معالي السبطين : ج ٢ ص ٨٨

قال بعض من شهد : رأيت امرأة جليلة واقفة بباب الخيمة والنار تشتعل من جوانبها وهي تارة تنظر يمنة ويسرة وأخرى تنظر إلى السماء وتصفق بيديها وتارة تدخل في تلك الخيمة وتخرج ، فأسرعت إليها وقلت : يا هذي ، ما وقوفك ها هنا والنار تشتعل من جوانبك وهؤلاء النسوة قد فررن وتفرقن ولم تلحقي بهن وما شأنك ؟!

فبكت وقالت : " يَا شيخ إنَّ لَنَا عَليلاً فِي الخَيْمَةِ وَهُوَ لا يَتَمَكَّنُ مِنَ الجُلوسِ وَالنُّهوضِ فَكَيْفَ أُفَارِقُهُ وَقَدْ أحَاطَ النَّارُ بِهِ هَكَذا !! "[1] .

نعم ، وقفت زينب الكبرى (ع) تحامي عن الإمام السجاد (ع) بقلب من حديد ، تمنع النار أن تصل إليه ، وكيف لا ولم يُبقِ الزمان لها من يؤنسها وحشتها غيره ، فهو بقية الأبرار وخليفة الأطهار وأبو الأئمة الحجج الأخيار .

---

[1] – معالي السبطين : ج ٢ ص ٨٨ ، رياحين الشريعة : ج ٣ ص ١٠٦

زينب (ع) في عصر يوم عاشوراء

عرج الحسين (ع) بروحه الطاهرة ونفسه الزكية إلى الملكوت الأعلى ومعه ثلة من أهل بيته وأصحابه الغر الميامين يحلون بحلل من نور والذي قال فيهم الحسين (ع) : **إِنِّي لا أَعْلَمُ أَصْحَاباً أَوفَى وَلا خَيْراً مِنْ أَصْحَابِي ولا أَهْلَ بَيْتٍ أَبَرّ وَأَوصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي** " .

فأظلمت الأرض بفقده وأنارت الآخرة بنوره فمضى وأصحابه إلى رَوح وريحان وجنة ورضوان .

وأما زينب الكبرى (ع) ، بقيت على أرض الطفوف وقد عظم عليها المصاب تنظر يمينا فترى أهل بيتها صرعى مجزرين بلا رؤوس مرملين بالعراء تسفي عليهم الريح بينهم بضعة الزهراء البتول ، وتنظر شمالا فترى الثكالى واليتامى قد أنهكتهم الأحداث حاسرات باكيات نائحات قد أحرق أهل البغي والجور خيامها .

حقا إنها " أم المصائب " ، فأي امرأة بل أي إنسان يصبر على مثل ما صبرت عليه عقيلة بني هاشم !! هي بنت الشهداء وأخت الشهداء وأم الشهداء وعمة الشهداء وخالة الشهداء !!

أقبل الليل الكئيب بظلامه الدامس وقد بات آل رسول الله على أرض الكرب والبلاء منكسرة قلوبهم دامية عيونهم ، في حال من القلق والرعب بلا حمى ولا كفيل ، ولم يبق لهم إلا حجة الله على خلقه زين العباد وهو عليل .

ولكن لم تنس زينب الكبرى (ع) ما وعدت به أخاها الحسين (ع) حينما قالت له : " **يَا ابْنَ أُمِّي ، طِبْ نَفْساً ، وَقَرَّ عَيْناً ، فَإِنَّكَ تَجِدُنِي كَمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى** " !![1]

فلم يحدّها جور الزمان من تنفيذ ما وعدت به ، ولم تشغلها نوازل الدهر ونوائبه عن ذكر ربها ومناجاته والتضرع له ، فكانت مصداقا – بل أكمل مصداق – للآية الكريمة : " **واستعينوا**

---

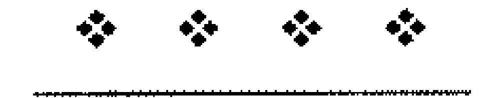
[1] – معالي السبطين : ج ٢ ص ٢٦

بالصبر والصلاة .... " [1] ، علمت علم اليقين أنه لا معين لها إلا الله عز وجل فانصرفت إليه وأقبلت عليه وهي راضية برضائه مستسلمة لقضائه ، وكيف لا وقد جمعت في ذاتها المقدس عصارة الصبر من جدها الأكرم (ص) الذي كان يقول : " مَـا أُوذِيَ نَـبِيٌّ مِثْـلَ مَـا أُوذِيت " [2] ، ومن أبيها المظلوم الذي قال : " صَبَرْتُ وَفِي العَيْنِ قَذَى وَفِي الحَلْقِ شَجَى " [3] ، وأمها المقهورة التي قالت : " صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبُ لَـوْ أَنَّهـا صُبَّتْ عَلَى الأَيَّـامِ صِـرْنَ لَيَالِيَا " [4] !!

نعم ، صلت زينب الكبرى (ع) نافلة الليل جالسة ، فقد أنهكتها المصائب وأضعفت قواها البدنية ، ولكن لا سبيل لهذه المصائب إلى قلب زينب ونفسها وروحها المقدسة .

استشهاد طفلين من أهل البيت (ع) مساء عاشوراء

(وفي الإيقاد) عن مقتل ابن عربي ما مضمونه أن الحسين (ع) أوصى أخته زينب (ع) بجمع العيال بعد أن يحرق الأعداء الخيام ، وبعد أن أحرقت الخيام ذهبت زينب (ع) في جمعها ففقدت طفلين للحسين (ع) ، فذهبت وأختها أم كلثوم (ع) في طلبهما فرأتهما معتنقين نائمين على الأرض ، فلما دنت منهما حركتهما فإذا هما ميتين عطشا !! [5]



---

[1] ـ سورة البقرة : آية ٤٥

[2] ـ بحار الأنوار : ج ٣٩ ص ٥٦

[3] ـ نهج البلاغة : ج ١ ص ١٥١

[4] ـ بحار الأنوار : ج ٨٢ ص ١٠٦

[5] ـ زينب الكبرى (للعلامة المحقق الشيخ جعفر النقدي : ص ١٠٩ ، معالي السبطين : ج ٢ ص ٨٩ (لم يذكر أن الطفلين للحسين (ع) ، وفي رواية أخرى ذكر أن الطفلين هما سعد وعقيل أولاد عبدالرحمن بن عقيل بن أبي طالب (نقلا عن مقتل الشويكي عن عبداوهاب الشعراني في كتاب المنن)

الفصل الثالث

زينب عليها السلام

بعد عاشوراء إلى وفاتها

إشارة

من هنا يبدأ فصل جديد من حياة العقيلة الحوراء زينب الكبرى (ع) البناءة والمليئة بالفخر والاعتزاز حاملة راية النهضة الحسينية تخوض بها معركتها القادمة ضد الباطل والجور ، وتحمي بها قدسية دينها وشريعة جدها وولاية أئمتها .

كان على زينب (ع) القيام بالأعمال الشاقة التالية :

١ – تكفلها حال اليتامى والثكالى ومراقبتهم ومداراتهم على أحسن وجه .
٢– الاهتمام الخاص والعناية الفائقة بإمام زمانها علي بن الحسين زين العابدين (ع) ، وتعميم ولايته ونشرها .
٣– العمل بدورها على تبليغ رسالة الشهداء وبيان مقاصدهم العليا من تلك الثورة المقدسة على أكمل وجه ، وذلك ببليغ خطبها وفصيح مقالاتها .

وعلى الرغم من الظروف الصعبة التي مرت بها والضغوط التي أحيطت بها إلا أنها قامت بتلك الأعمال خير قيام ، فكشفت المستور من بغي بني أمية وزبانيتهم والخافي من ظلمهم وجورهم ، وزرعت بذلك بذور الثورة في قلوب الناس فأحيتها بعد موتها .

وفي هذا الفصل نود أن نتوسع في بيان عظمة شخصية زينب بنت علي (ع) :

حمل السبايا عصر الحادي عشر من المحرم إلى الكوفة

بعد زوال يوم الحادي عشر من المحرم أمر ابن سعد أن تحمل النساء على الأقتاب بلا وطاء وحجاب ، فقدمت النياق إلى حرم رسول الله (ص) وقد أحاط القوم بهن وثم قالوا لهن تعالين واركبن فقد أمر ابن سعد بالرحيل ، فلما نظرت زينب (ع) إلى ذلك التفتت إلى ابن سعد وقالت : " سَوَّدَ الله وَجْهَكَ يا ابنَ سَعد في الدُّنيا والآخِرة ، تَأمُرُ هؤلاء القَوم بأن

يُرْكِبونا ونحن وَدائِعُ رَسولِ الله (ص) !! فَقُلْ لَهُم يَتَبَاعَدونَ عَنَّا ، يُرْكِبُ بعضُنا بعضاً " .

فقال : تنحوا عنهن .

فتقدمت زينب (ع) ومعها أم كلثوم (ع) وجعلت تنادي كل واحدة من النساء باسمها وتركبها على المحمل حتى لم يبق أحد سوى زينب (ع) ، فنظرت يمينا وشمالا فلم تر أحدا سوى زين العابدين (ع) وهو مريض ، فأتت إليه وقالت : " قُمْ يا ابْنَ أخِي وارْكَبْ الناقَة " .

فقال : " يَا عَمَّتاه ، اركَبِي أنتِ ودَعيني أنا وهَؤلاء القَوم " .

فامتثلت لأمر الإمام زين العابدين (ع) ، ثم التفتت يمينا وشمالا فلم تر إلا أجسادا على الرمال ورؤوسا على الأسنة بأيدي الرجال ، فصرخت وقالت : " واغُرْبَتَاه !! واأخَاه !! واحُسَيناه !! واعَبَّاسَاه !! وارِجَالاه !! واضَيْعَتَاه بعدَكَ يا أبا عبدالله !!

فلما نظر الإمام زين العابدين (ع) إلى ذلك لم يتمالك على نفسه دون أن قام وهو يرتعش من الضعف فأخذ بعصاه يتوكأ عليها وأتى إلى عمته وثنى ركبته وقال : " اركَبِي !! فَلَقَدْ كَسَرْتِ قَلْبِي ، وزِدْتِ كَرْبِي !! " .

فأخذ ليركبها فارتعش من الضعف وسقط على الأرض ، فلما رآه الشمر أتى إليه وبيده سوط فضربه فجعل (ع) ينادي : " واجَدَّاه ! وامُحَمَّداه ! واعَلِيَّاه ! واحَسَناه ! واحُسَيناه ! " .

فبكت زينب (ع) وقالت : " وَيْلَكَ يا شِمْر ، رِفْقاً بِيَتيمِ النُّبُوَّةِ وسَليلِ الرِسَالَةِ وحَليفِ التُّقَى وتاجِ الخِلافَة !! " .

فلم تزل تقول كذا حتى نحته عنه، وإذا بجارية مسنة سوداء قد أقبلت إلى زينب (ع) فأركبتها فسألت عنها فقالوا هذه فضة جارية فاطمة الزهراء (ع) .

ثم أركبوا الإمام (ع) على بعير أعجف ، فلم يتمالك الركوب من شدة الضعف فأخبروا ابن سعد فقال : قيدوا رجليه من تحت بطن الناقة !!

ففعلوا ذلك وساروا بهم على تلك الحالة [1] .

---

[1] – معالي السبطين : ج ٢ ص ٩١ – ص ٩٢

مرور السبايا على مصارع القتلى

حسب ما ورد في بعض الروايات أن النسوة من أهل البيت (ع) طلبن من الموكّلين بهن أن يمروا بهن على مصارع القتلى ليجددن العهد بالنظر إلى قتلاهن وليودعنهم الوداع الأخير ، فمروا بهم على مصارع القتلى ، ولما وقعت أنظارهن على الأجساد المقطعة مطروحة على الرمضاء بينهم سيد شباب أهل الجنة بكين ولطمن الخدود .

وأما زينب (ع) فجعلت تحدُّ النظر من جسم أخيها الحسين (ع) وهي تنادي بصوت حزين وقلب كئيب :

" يا مُحَمَّداه !! صلّى عليك مَليكُ السماء ، هذا حُسينٌ بالعَراء ، مُرَمَّلٌ بالدِماء ، مُقطَّعُ الأعضاء ، مَحْزوزُ الرَّأسِ من القَفا ، مَسلوبُ العَمامةِ والرِداء ، يا مُحَمَّداه ، وبَناتُكَ سَبايا ، وذُرِّيَّتُكَ مُقَتَّلةٌ تَسْفي عليهم ريحُ الصَبا ، بأبي مَنْ عَسكرُهُ في يوم الاثنين نُهْبا ، بأبي مَنْ فسطاطُه مُقَطَّعُ العُرى ، بأبي مَنْ لا هو غائب فيُرتَجى ، ولا هو مريض فيُداوى ، بأبي المهمومُ حتى قَضى ، بأبي العطشانُ حتى مَضى ، بأبي من شَيْبَتُه تَقْطُرُ بالدِماء .... "[1] .

ثم يقول الراوي :" فأبكَتْ والله كُلَّ عَدُوٍّ وَصَديقٍ حَتّى جَرَتْ دُمُوعُ الخَيلِ على حَوافِرِها "[2] .

العلاّمة ضياء الدين يقول :

فَوَالله مَا أنْسَى الحُسَينَ مُلَطَّخاً وبين يَدَيـهِ زَينَبُ وهي تَنْدبُ

---

[1] – مقتل الحسين (للسيد محمد تقي آل بحر العلوم) : ص ٤٦٣ – ص ٤٦٤ ، نفس المهموم : ص ٢١٠

[2] – الكبريت الأحمر : ص ١١٩ و ص ٣٧٦ ، مقتل الحسين (للخوارزمي) : ج ٢ ص ٣٩ ، أعيان الشيعة : ج ٧ ص ١٣٨ ، مقتل الحسين (للسيد محمد تقي آل بحر العلوم) : ص ٤٦٤

أخِي يا أخِي أنتَ ابن أمّي علَى الثّرَى   لَعَمْرُكَ هذا فِي العَجائِبِ أعْجَبُ
أخِي كَيفَ لا أبْكِي دَمـاً بِمَدامِعِي   وجُثْمانُكَ المَجْروحُ بالدَمِ تَنْحَبُ [1]

" إلهي تقبل منا هذا القربان "

وقفت زينب (ع) على جسد أخيها بخشوع وتأمل وبسطت يديها تحت الجثمان المقدس والمقطع إربا إربا ورفعته نحو السماء وقالت :

" إلَهي تَقَبَّلْ مِنَّا هَذَا القُرْبَان " !! [2]

وفي رواية أخرى أنها قالت : " اللهم تَقَبَّلْ مِنَّا هَذَا القَلِيلَ من القُرْبَان " [3].

وورد في ناسخ التواريخ أنها قالت : " إلَهي ، تَقَبَّلْ هـذا قَلِيلَ مِنَ القُربانِ مِنَّا أهلَ البَيت " .

هذا التعبير الذي ورد على لسان العقيلة زينب (ع) إن دل على شيء فإنما يدل على عظيم مقام الشكر والثناء على قدَر الله وقضائه ، والإقرار بالعجز وتصغير النفس أمام عظمة الخالق وجلاله ، وتلك من صفات المتقين الذي قال في وصفهم إمام المتقين أمير المؤمنين عليه أفضل صلوات المصلين : " عَظُمَ الخَالِقُ في أنْفُسِهِم ، فَصَغُرَ مَا دونَهُ في أعْيُنِهِم " !! [4]

على الرغم من الظروف القاسية التي أحاطت بزينب (ع) وعلى الرغم من بكائها المستمر الذي لم يتوقف ، وإن كان بكاؤها ونحيبها أحد أسباب النهضة والثورة بعد مقتل أخيها الحسين (ع) إلا أنها لم تنس دورها الذي أنيطت به فكان جُلُّ اهتمامها ونشاطها هو توسيع

---

[1] - الخصائص الزينبية : ص ٢٢٠

[2] - مقتل الحسين (للمقرم) : ص ٣٧٩

[3] - الكبريت الأحمر : ص ٣٧٦

[4] - نهج البلاغة : الخطبة ١٩٣

دائرة التبليغ عن رسالة الشهداء وبيان سمو أهدافهم من ثورتهم ضد البغاة الظالمين ، وأرغمت بدعائها هذا أنوف المعتدين المستكبرين حينما قالت بلسان حالها :
نحن قدمنا هذه الضحايا من أهل البيت الكرام إلى الساحة القدسية لا غير ، وعلى الرغم من عظمة الحسين (ع) ومكانته الرفيعة عند ربه إلا أنه صغير في ذات الله وعظمته ، فالعظيم بالعَرَض لابد أن يفنى في العظيم بالذات ، ولابد أن نستصغر أنفسنا وإيثارنا في ذات الله في سبيل نيل الأهداف الإلهية السامية .

مواساة زينب (ع) للإمام السجاد (ع)

حينما ينظر الإنسان إلى ساحة المعركة وقد امتلأت بجثث الزواكي من آل طه والمخلصين من شيعة الحسين (ع) مجزّرين على الثرى بلا رؤوس والدماء تسيل منهم يتوسطهم سبط الرسول الكريم سيد شباب أهل الجنة ، تنتابه حالة من الدهشة والألم والحسرة والجزع ، وتبكي عيناه دما على ما فعله أهل الجور والبغي على نسل العترة الطاهرة الزكية ، وكيف بحال زينب (ع) والإمام زين العابدين (ع) الذين هما ظاهرا ومعنويا أقرب الناس إلى الحسين (ع) .

قالوا : لما نظر الإمام زين العابدين (ع) إلى أبيه والقتلى من أهل بيته ، عظم عليه ذلك المنظر المؤلم واشتد قلقه وعظم عليه الحزن والمصاب وكادت روحه أن تخرج ، فلما تبينت ذلك منه عمته العقيلة زينب ابنة علي (ع) التفتت إليه – وهي تصبّره – قائلة :
" مَا لِي أراكَ تَجودُ بِنَفْسِكَ يا بَقِيَّةَ جَدّي وأبِي وإخْوَتِي !! "
فقال : " وكَيفَ لا أجْزَعُ وأهلَعِ وقد أرى سيّدي وإخوتي وعمومتي وبني عمي وأهلي مُضَرّجين بدمائهم ، مُرَمّلين بالعَراء ، مسلّبين لا يُكَفّنون ولا يُوارَون ، ولا يَعرجُ إليهم أحد ، ولا يَقرَبُهم بشر ، كأنهم أهلُ بيتٍ من الدَيْلَمِ والخَزَر !! "

فقالت زينب (ع) : " لا يجزعنّك ما ترى ، فوالله إنّ ذلك لَعَهْدٌ مِن رَسول الله (ص) إلى جَدِّكَ وأبيك وعمّك ، ولقد أخَذَ الله ميثاقَ أناسٍ من هذه الأمّةِ لا تَعْرِفُهم فَراعنةُ أهلِ الأرضِ وهم معروفون في أهلِ السماوات أنهم يَجْمعون هذه الأعضاء المُتفرّقةِ وهذه الجُسوم المُضَرَّجةِ فيُوارونها ، وينصِبون بهذا الطفِّ عَلَماً لقبرِ أبيك سيِّدِ الشهداء ، لا يُدرَس أثرُه ولا يُمحَى رسمُه على كُرور الليالي والأيام ، وليَجتَهِدَنَّ أئمةُ الكفرِ وأشياعُ الضلالِ في محوِه وتَطميسِه ، فلا يَزدادُ أثرُه إلا ظهوراً وأمرُه إلا عُلُوّاً ..... "[1].

ثم ذكرت له حديث أم أيمن الذي سمعته من رسول الله (ص)[2].

وبهذا الحديث جعلت السيدة زينب (ع) تواسي وتصبّر ابن أخيها الإمام زين العابدين عليه أفضل صلوات المصلين .

توديع زينب (ع) الأجساد الطاهرة

كان أعداء الله يسعون لحمل أهل بيت الرسالة سبايا وأسارى إلى الكوفة بأسرع ما يمكن وذلك لنيل الجوائز التي وعدهم بها ابن زياد ، ولكن أهل البيت (ع) لم يطيقوا فراق أجساد أحبتهم وأعزتهم وتركهم مطروحين على الثرى ، وكان زجر بن قيس من الجلاوزة القساة والغلاظ ، فكان يضرب بنات الزهراء (ع) بالسوط ويصرخ في وجوههن بأن يسرعوا في ركوب الجمال[3].

---

[1] – مقتل الحسين (للسيد محمد تقي آل بحر العلوم) : ص ٤٦٤ – ص ٤٦٥ (عن كامل الزيارات لابن قولويه القمي : باب ٨٨ فضل كربلاء وزيارة الحسين (ع)) ، بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١٧٩ – ص ١٨٠

[2] – ذكرنا هذا الحديث في باب الروايات التي وردت عن السيدة زينب (ع)

[3] – مقتل الحسين (للمقرم) : ص ٣٠٩

ولم تر زينب (ع) بُدّاً من فراق أخيها (ع) ، فأخذت تبكي وقلبها يتفطر من الألم والحزن ، وقالت من على ظهر الراحلة :

" أوَدِّعُكَ الله عزَّ وجلَّ يا ابن أمّي ، يا شقيقَ روحِي ، فإنَّ فِراقي هذا لَيسَ عن ضَجَرٍ ولا عن مَلامَةٍ ، ولكن يا ابن أمي كما تَرَى يا نورَ بَصَري ، فاقْرَأ جَدِّي وأبِي وأمِّي وأخِي منّي السَّلام ، ثم أخبِرْهُم بما جَرَى عَلَينا من هَؤلاء اللِئام "[1] .

لما أرادت الزكية الطاهرة زينب الحوراء (ع) أن تركب ، عند ذلك تذكرت يوم خروجها من مكة معززة مكرمة يركبها أبو الفضل العباس (ع) على محملها المجلل وهي في غاية العزة والشموخ مصونة في خدرها إذ أحاط بها إخوتها وبنوها وبنو عمومتها ، فكانت أنوارهم المتلألئة حجابا لها فوق حجابها وسترا على سترها ، فتنعم بالنظر إليهم والتحدث معهم ، ولكن أسفي على زينب (ع) في هذا اليوم المشؤوم وهي تنظر إلى تلك الفتية من بني هاشم ضحايا مرملين بالعراء وتنظر إلى قمر عشيرتها مقطع الأوصال يحملها جلاوزة بني أمية سبية وقد اسود متنها من ضرب السياط ، هنالك شعرت زينب (ع) بألم الفراق وجراح الغربة وهي تسار في جمع من الثكالى واليتامى إلى الكوفة !!

ولله در قائل :

حَسرُ قَلْبِي لَهُنَّ إذْ سِرْنَ أسْرَى ... حاسِراتٍ مِن بعدِ صَونِ خَيالِها

صَادياتٍ[2] غَرثَى[3] وأعْنَاقُها ... في السَّيرِ مَلْوِيَّةٌ لحامي حِماها

إنْ تَبَاكَينَ ما لَهُنَّ رحيمٌ ... أو تَنَادَين لا يُجابُ نِداها

والعَليلُ السَّجَّادُ في الأسْرِ يَسْري ... لِسِباها وذُلِّها وعَناها

ورؤوسُ الهُدَى على السمرِ لاحَتْ ... فاقَ ضوءُ البُدور لَمْعُ سَناها

---

[1] - منتخب الطريحي (نقلا عن رياحين الشريعة : ج ٣ ص ١١٠)

[2] - صاديات : عطاشى

[3] - غرثى : جائعات

حُمل عيال الحسين (ع) ونساؤه ومعهم زينب الكبرى (ع) على أحلاس أقتاب الجمال بلا وطاء ولا حجاب مكشوفات الوجوه بين الأعداء وهن مخدرات الرسالة وحرائر النبوة يساقون كما يساق سبي الترك والروم .

أهل البيت (ع) على أعتاب الكوفة

خرجت قافلة العترة الطاهرة أسرى من أرض كربلاء متجهة إلى الكوفة يوم الحادي عشر من المحرم يحملهم أربعين جملا ، ولما وصل عسكر عبيد الله بن زياد إلى الكوفة غربت الشمس ، فأخبروا ابن زياد بذلك فأمرهم أن يبقوهم خارج الكوفة وأن يؤجل دخولهم إلى يوم غد حتى يتمكن عملاء الحكم الأموي وجلاوزته أن يظهروا للناس أفراحهم وانتصاراتهم بقتل الحسين (ع) وأهل بيته وسبي نسائه !!

نزل طوائف منهم من الحرسة والموكلين على السبايا والرؤوس المطهرة في خارج الكوفة وضربوا الخيام والفساطيط لأنفسهم في ناحية وأنزلوا السبايا وأهل بيت رسول الله (ص) في ناحية أخرى ، فلما مضت ساعة من الليل خرجت جماعة من أهل الكوفة ومعهم الأواني والموائد المملوءة باللحوم المطبوخة وسائر الأطعمة من المطبوخات وغيرها ، فجاءوا بها إلى الحرسة والموكلين ، وأطفال أهل البيت (ع) في ذلك الوقت في شدة البكاء والجزع من ضر الجوع ، وزاد جزعهم لما شموا رائحة المطبوخات ، فجاءت فضة إلى زينب الطاهرة وقالت : يا سيدتي ، إن رسول الله (ص) قال لي : إن لك ثلاث دعوات مستجابة ، فمضت دعوتان منها وبقيت الثالثة ، فاذني لي أن أدعو الله تعالى يفرجنا في شأن الأطفال !! فرخصتها فجاءت فضة إلى ناحية فيها تل صغير ، فصلّت فيه ركعتين لاستجابة الدعاء ، ثم دعت ، فبينما هي في أثناء دعوتها فإذا قد نزلت من السماء قصعة مملوءة باللحم والمرق وفوقها قرصان من الخبز وكانت نفحات المسك والعنبر والزعفران تفوح من تلك القصعة ؛ فكان غذاء أهل البيت والسجاد (ع) والنساء والأطفال من تلك القصعة ومن هذين القرصين

فكانوا كلما يحتاجون إلى الغذاء يأكلون منها ويشبعون ، ثم كانت القصعة بحالها (أي مملوءة باللحم والمرق) كأنها لم ينقص منها شيء أصلا وكذا القرصان ، فكانت هذه الآية الساطعة والنعمة الإلهية والمائدة السماوية موجودة عند أهل البيت (ع) إلى اليوم الذي وردوا المدينة وبعد ذلك اليوم فُقِدت وارتفعت !![1]

دخول زينب (ع) وأهل البيت الكوفة

كان يوم الثاني عشر من المحرم وقد أمر عبيد الله بن زياد – ديكتاتور الكوفة العنيد – بتزيين المدينة ورفع رايات النصر وخروج أهلها في الشوارع لكي يتفرجوا على حصاد فعلهم المشؤوم من قتل ريحانة رسول رب العالمين وسبي كرائم سيدة نساء العالمين وأسر حجة الله على الخلق أجمعين وقد أوهموا الناس بأنهم فئة ضالة ومن الخوارج ، وكان زبانية بني أمية وأتباعهم يدقون الطبول وينفخون في الأبواق ويهنئون بعضهم بعضا معلنين بذلك فرحهم وسرورهم بتلك الانتصارات الزائفة ، ولكن هذه المظاهر من الفرح والسرور كانت مشوبة بالحذر والخوف الشديدين ، ولهذا أمر ابن زياد بعشرة آلاف فارس لكي يملأوا شوارع وزقاق الكوفة خوفا من الناس حينما يرون أهل البيت من نساء وأطفال وصبية أسرى وسبايا وفي حالة من الجوع والضعف فتحركهم الحمية ويثورون ضد حكومة بني أمية الجائرة .

كانت الكوفة مقرا لخلافة أمير المؤمنين (ع) ، وقضت ابنته العقيلة زينب الكبرى (ع) ما يقارب الخمس سنوات من عمرها الشريف مع والدها في الكوفة كانت فيها معلّمة لنساء الكوفة تفسر لهن آيات القرآن الكريم وتبين لهن أحكام الدين القويم ، فنالت نساء الكوفة بذلك الشرف العظيم ، وكان دارها (ع) ملاذا للفقراء والمساكين وملجأ للسائلين والمحرومين .

---

[1] – معالي السبطين : ج ٢ ص ٩٦ (نقلا عن الأسرار للمرحوم الدربندي)

كانت زينب الكبرى (ع) في أيام خلافة أبيها (ع) في الكوفة محاطة بهالات العزة والجلال ، ولكن اليوم تدخلها أسيرة تُحمل على بعير بلا وطاء ولا غطاء ، محاطة بالهموم والآلام قد أثقلت كاهلها المصائب والأحزان ، تدخل مدينة مضطربة ومخدوعة بخداع أهل الجور والباطل ، تلك المدينة التي بايع أهلها ابن عمها مسلم بن عقيل (ع) - سفير الحسين (ع) - ثم لم يلبثوا أن نكثوا البيعة فقتلوه ، تلك المدينة التي كتب أهلها إلى الإمام الحسين (ع) يبايعونه ويستقدمونه إلى الكوفة ، واليوم يدخلها ولكن برأس على القنا والجسم مطروح بكربلاء وعياله وأهل بيته سبايا !![1]

الحديث هنا كثير ولكننا نقتصر برواية نقلها العلامة المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) ورواها مسلم الجصّاص يبين لنا فيها ما جرى على أهل البيت حين ورودهم الكوفة :

رواية مسلم الجصّاص في كيفية ورود أهل البيت (ع) إلى الكوفة

قال العلامة المجلسي (رض) في البحار : رأيت في الكتب المعتبرة روى مرسلا عن مسلم الجصاص قال :

دعاني ابن زياد لإصلاح دار الإمارة في الكوفة ، فبينما أنا أجصص الأبواب وإذا أنا بالزعقات قد ارتفعت من جنبات الكوفة ، فأقبلت على خادم كان يعمل معنا فقلت : ما لي أرى الكوفة تضج بأهلها ؟! قال : الساعة أتوا برأس خارجي خرج على يزيد !! فقلت : من هذا الخارجي ؟! فقال : الحسين بن علي (ع) .

---

[1] - حسب ما ورد في بعض الروايات أن عدد أفراد أهل البيت الذين دخلوا الكوفة أسرى كان ٢٥ نفرا ، منهم ٢٠ امرأة والإمام السجاد (ع) وولده الباقر (ع) الذي كان عمره آنذاك أربع سنوات ، وثلاثة من أولاد الإمام الحسن (ع) وهم : الحسن المثنى وزيد وعمر .

قال : فتركت الخادم حتى خرج ولطمت على وجهي حتى خشيت على عيني أن تذهبا وغسلت يدي من الجص وخرجت من ظهر القصر وأتيت إلى الكناس ، فبينما أنا واقف والناس يتوقعون وصول السبايا والرؤوس إذ قد أقبلت نحو أربعين شقة [1] تُحمل على أربعين جملا فيها الحرم والنساء وأولاد فاطمة (ع) ، وإذا بعلي بن الحسين (ع) على بعير بغير وطاء وأوداجه تشخب دما وهو مع ذلك يبكي ويقول :

يا أمّةَ السوءِ لا سُقْيا لِرَبعِكُمُ	يا أمّةً لم تُراعي جَدَّنا فينا
لو أنّنا وَرَسولُ الله يجمَعُنا	يومَ القيامَةِ ما كنتُم تَقولونا
تُسَيِّرونا عَلَى الأقتابِ عَارِيةً	كأنّنا لم نُشيد فيكم دينا
تَصْفِقونَ عَلَينا كَفَّكُم فَرَحاً	وأنتم في فِجاجِ الأرضِ تَسْبونا
ألَيس جَدّي رَسول الله وَيلَكُمُ	أهْدَى البَرِيّةَ مِن سُبُلِ المُضِلّينا
يا وَقعَةَ الطَفِّ قَدْ أورثْتِني حُزناً	والله يَهْتِكُ أستارَ المُسيئينا

قال : وصار أهل الكوفة يناولون الأطفال الذين على المحامل بعض الخبز والتمر والجوز فصاحت بهن زينب (ع) [2] : " يا أهل الكوفة ، إن الصدقة علينا حرام !! " [3]

وصارت تأخذ ذلك من أيدي الأطفال وأفواههم وترمي به الأرض .

قال : كل ذلك والناس يبكون على ما أصابهم .

ثم أن زينب (ع) أخرجت رأسها من المحمل وقالت : " صَهْ يَا أهْلَ الكوفَة ، تَقتُلُنا رِجالُكُم وتَبكينا نِساؤكم !! فالحاكِمُ بيننا وبينكم الله يوم فَصْلِ القَضاء " [4] .

---

[1] - شقة : محمل

[2] - ورد في متن هذه الرواية " أم كلثوم " بدلا عن زينب ، ولكن كما أوردنا سابقا أن أم كلثوم إنما هي كنية زينب الكبرى (ع)

[3] - الصدقات الواجبة مثل الزكاة والصدقة بالنذر محرم على بني هاشم

[4] - بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١١٤

هذا العلو في الكلمة تنم عن فطنة زينب (ع) في الرد على غدر أهل الكوفة ، فهي لم تقع تحت تأثير هذه الفقاقيع الجوفاء من الدموع السطحية الكاذبة ، ولم تجعل هذه الدموع وجها للمصالحة مع قطرة طاهرة من دماء الشهداء الأبرار .

كان أهل الغدر والنفاق يتوهمون أن هذه الأحاسيس المزيفة والمشاعر الكاذبة قد تغطي غدرهم ونفاقهم ، ولكن العقيلة زينب الكبرى (ع) كشفت بوقد ذكائها مكرهم وخداعهم ، ووجهت إليهم أشد اللوم والتوبيخ لعلهم يتفكرون .

مجلس عزاء تقيمه زينب (ع) في الكوفة

لم يكمل مسلم الجصاص حديثه ويقول :

فبينما هي تخاطبهن إذا بضجة قد ارتفعت وإذا هم قد أتوا بالرؤوس يقدمهم رأس الحسين (ع) وهو رأس زهري قمري أشبه الخلق برسول الله (ص) ولحيته كسواد السبج قد اتصل بها الخضاب ووجهه دائرة قمر طالع والريح تلعب بها يمينا وشمالا ، فالتفتت زينب (ع) فرأت رأس أخيها فنطحت جبينها بمقدم المحمل حتى رأينا الدم يخرج من تحت قناعها وأومأت إليه بحرقة وجعلت تقول :

يَـا هِـلالاً لَمَّـا اسْـتَتَمَّ كَمَـالا	غَالَـهُ خَسْـفُهُ فَأبْدَى غُرُوبَـا
مَا تَوَهَّمْتُ يَا شَـقِيقَ فُـؤادِي	كَـانَ هَـذا مُقَـدَّراً مَكْتُـوبَـا
يَـا أخِـي فَاطِمُ الصَّغِيرَةُ [1] كَلِّمْهَـا	فَقَـدْ كَادَ قَلْبُـهَا أن يَـذوبَـا
يَـا أخِـي قَلْبُـكَ الشَّفِيقُ عَلَيْنَـا	مَـا لَـهُ قَـدْ قَسَـا وصَـارَ صَلِيبَـا
يَـا أخِـي لَوْ تَـرَى عَلِيّاً لَدَى الأسْـرِ	مَـعَ اليُتْـمِ لا يُطِيـقُ وجُـوبَـا
كُلَّمَـا أوجَعُـوهُ بِالضَّرْبِ نَـادَاكَ	بِـذُلٍّ يَغِيضُ دَمْعَـاً سَكُوبَـا

---

[1] ـ يحتمل البعض أن فاطمة الصغرى هنا تعني بها رقية (ع)

يـا أخِي ضُمّـهُ إليْكَ وقـرّبْـــهُ وَسَـكِّنْ فُـؤادَهُ المَـرْعـوبـا
مـا أذلُّ اليُتْـمِ حين يُنــادي بـأبيـهِ ولا يَـــراهُ مُجيبـا [1]

تحليل

١- زينب الكبرى (ع) بقراءتها هذه الأبيات في رثاء أخيها الحسين (ع) في جموع أهل الكوفة قد أسست أول مجلس عزاء لأخيها سيد الشهداء أبي عبدالله الحسين (ع) ، وعلى هذا تمكنت من فضح الظالمين وإفشاء خططهم الشيطانية ، وبينت لأهل الكوفة هوية الشهداء التي حاول أعداء الله ورسوله إخفاءها بالمكر والحيلة والخداع .

٢- أن زينب (ع) كما أشارت في الأبيات السابقة أنها كانت تعلم (كما أخبرها جدها وأبيها وأمها عليهم صلوات الله أجمعين) ما سيجري عليها من المصائب والأهوال في كربلاء ، ولكنها لم تكن تعلم أن أهل البغي والجور وجلاوزة النظام الأموي الحقير كانوا من الدناءة والانحطاط وسوء السيرة بأن يأتوا برؤوس الشهداء من أهل بيتها الكرام ويطوفون بها أمام أعين الأطفال والنساء .

٣- تشير زينب الكبرى (ع) في هذه الأبيات عن حال علي بن الحسين السجاد (ع) وما لاقاه من التعذيب والإهانة من العتاة الظالمين ، وتطلب من أخيها الحسين (ع) أن ينظر إلى ولده نظرة رحمة ولطف ويسكن آلامه وأوجاعه .

٤- وتشير أيضا إلى حال اليتامى والأطفال على الخصوص يتيمة الحسين (ع) والتي لم تنفك وهي تنادي : وا أبتاه !!

---

[1] - بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١١٥

استطاعت زينب الكبرى (ع) من أول وهلة ومن أول كلمة نطقت بها في جموع أهل الكوفة أن تفضح بني أمية وأتباعهم الخونة وتكشف جرائمهم الدنيئة على الملأ ، فأبدلت أفراح أهل الكوفة حزنا وعزاء وأخرجتهم من ظلمات الجهل والغفلة وأثارت فيهم الحمية والغيرة على أهل بيت الرسالة وزرعت في نفوسهم بذور الثورة ضد النظام الأموي الدموي ، وأعلنت للعالم أجمع أنه لابد من الوقوف في وجه الطواغيت الظالمين لإحقاق الحق وإزهاق الباطل .

وعلى هذا لم يكن بكاء زينب (ع) بكاء مذلة وانكسار بل كان بكاء ثورة ونهضة لتحقيق أهداف الشهداء السامية في إعلاء كلمة الحق وتثبيت الولاية الحقة التي خص الله تبارك وتعالى بها أهل البيت (ع) .

أرادت زينب (ع) أن تبدد سحب الظلام والجهل التي أراد بنو أمية أن يخفوا من ورائها نور الحسين (ع) الزاهر وضياءه الباهر :

إن يقتلوك فلا عن فَقْدِ مَعرِفَةٍ فالشمسُ مَعروفةٌ بالعَينِ والأثرِ
قد كنتَ في مَشرقِ الأرض ومغربِها كالحمدِ لم تُغْنِ عنها سائرُ السورِ

على هذا عبّرت السيدة زينب (ع) عن الحسين (ع) بالهلال الذي لم يستكمل نوره الظاهري فنوره الباطني قد وصل إلى أوج كماله وحد تمامه ، هذا النور الإلهي الذي نهض وثار ضد الظلم والبغي أرادوا طمسه وإخفاءه وراء سحب النظام الأموي المظلم بالعار والشنار ، فأرادت زينب الكبرى (ع) أن تستثير حفائظ الناس حتى لا يستبدلوا النور بالظلمة والقيادة الإلهية بالطاغوت الشيطاني .

فالمفهوم الحقيقي والسر الباطني لبكاء عقيلة بني هاشم زينب الكبرى (ع) ، ورثائها لسيد الشهداء(ع) هو الصرخة الثورية وشعارات الولاية الحقيقية المصحوبة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ودوي تلك الصرخة والشعارات سيبقى إلى أبد الدهر يسمعها حزب الرحمن فيجملونها راية ضد حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون .

خطبة زينب (ع) في جموع أهل الكوفة

إشارة

كانت نهضة السيدة زينب الكبرى (ع) استمرارا لنهضة أبي الأحرار الإمـام الحسين (ع) وذلك لتحقيق المقاصد العليا من تلك الثورة المباركة ، فلم تستند زينب الكبرى (ع) في نهضتها على البكاء والنحيب وطرح بعض الشعارات ، بل جاهدت بكل ثقلها من الشجاعة المحمدية والبلاغة العلوية والفصاحة الفاطمية في محاربة الظلم بالحق والصدق والإيمان واليقين ، وقرنت حقائق الشعارات بواقع العمل فتقدمت بخطوات من الجرأة ورباطة جأش تفك بها عقد المواقف المحرجة وتنير بها العقبات المظلمة .

بدأ أهل الكوفة رجالا ونساء ينتبهون من سباتهم وغفلتهم ففتحوا أعينهم على الجرائم الوحشية والمفجعة التي ارتكبها النظام الأموي الفاسد في حق إمام الهدى وعلم التقى وسبط سيد الورى أبي عبدالله الحسين (ع) وأهل بيته النجباء الأطهار .

انتبه الغافلون واستبصر الجاهلون فقامت الضجة الكبرى وطغت أحزان أهل البيت (ع) على أفراح بني أمية فأقيمت المآتم وعلت الأصوات بالبكاء والعويل .

يقول حذيم بن شريك الأسدي [1] : " وَنَظَرْتُ إلَى زَيْنَب بِنتِ عَلِيٍّ عليه السلام يَوْمَئِذٍ وَلَمْ أرَ واللهِ خَفِرَةً [2] قَطُّ أنْطَقَ مِنها كَأنَّما تَفْرُغُ عن لِسانِ أميرِ المُؤمنينَ عَلِيّ بن أبي طالِب (ع) وَقَدْ أومَأتْ إلى النّاسِ أنْ اسْكُتوا ، فَارتَدَّتِ الأنفاسُ وسَكَنَتِ الأجْراس " !! [3]

حارت الألباب والعقول فكلّت الألسن عن وصف المنقول ، امرأة جار عليها الدهر الخؤون فأخرجها من خدرها المصون ، تقف أمام أناس قد غدروا بأبيها وإخوتها وأهل بيتها وتتصدى لأهل الكذب والنفاق وأهل الجفاء الأشقياء بهذه القوة والعظمة والهيبة والوقار وبإشارة منها ترتد الأنفاس وتسكن الأجراس !!

وذلك لا يوجد إلا في آل محمد (ص) الذين آتاهم الله تبارك وتعالى من مخزون علمه ما لا يؤتيه غيرهم وأودع قلوبهم ينابيع الحكمة ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

متن خطبة زينب الكبرى (ع) في جموع أهل الكوفة

يقول حذيم بن شريك الأسدي ثم قالت – السيدة زينب (ع) – [4] :

---

[1] – الشيخ الطوسي في رجاله (ص ٨٨) يذكر حذيم بن شريك كواحد من أصحاب الإمام السجاد (ع) ، وفي بعض الروايات التي وردت في بعض الكتب المعتبرة مثل الاحتجاج للطبرسي : ج ١ ص ٢٩ وبحار الأنوار للعلامة المجلسي : ج ٤٥ ص ١٠٨ ورد اسم بشير بن خزيم الأسدي بدلا عن حذيم بن شريك الأسدي

[2] – خفرة : شديدة الحياء ، أو الستيرة بالجلباب وهو ما يستر الإنسان من الرأس إلى القدم

[3] – بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١٠٨

[4] – حسب ما ورد في كثير من الروايات في الكتب المعتبرة أن هذه الخطبة منسوبة إلى زينب الكبرى (ع) (لهوف ابن طاووس : ص ١٣٠ ، احتجاج الطبرسي : ج ١ ص ٢٩– ص ٣٠ ، بحار الأنوار للعلامة المجلسي : ج ٤٥ ص ١٠٨ –ص ١٠٩ وغيرها) ، وهناك القلة الذين ينسبون هذه الخطبة إلى أم كلثوم ، والحقيقة أنه كما

" الحَمدُ لله والصلاةُ على أبي محمد وآله الطيبين الأخيار ، أما بعد ، يا أهلَ الكوفة ، يا أهلَ الخَتْلِ [1] والغَدْرِ [2] ، أتبكون !! فلا رَقَأت الدمْعَة ، ولا هَدَأت الرَّنَّة (فلا رَقَأت العَبْرَة ولا هَدَأت الزَفْرَة) ، إنّما مَثَلُكم كمثلِ التي نَقَضَت غَزْلَها [3] من بعدِ قوةٍ أنكاثاً [4] ، تتّخِذون أيْمانَكم دَخَلاً بينكم ، ألا وهل فيكم إلا الصَلَف [5] النَطَف [6] والصَدْرَ الشَنَف [7] ومَلْقَ الإماء وغَمْزَ الأعداء وكَمَرْعَى على دِمْنَة [8] أو كَفِضَّةٍ على مَلْحودة [9] ، ألا ساء ما قَدَّمَت لكم أنفسُكم أنْ سَخِطَ الله عليكم وفي العذابِ أنتم خالدون ، أتبكون وتَنْتَحِبون !! إي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً ، فلقد ذهبتم

أشرنا سابقا أن " أم كلثوم " هي كنية زينب الكبرى (ع) ، ويقول المحقق الفهيم السيد عبدالرزاق المقرم أن الخطبة التي مطلعها : " يا أهل الكوفة سوءة لكم خذلتم حسينا .... " هي إكمال لخطبة زينب (ع) (مقتل الحسين للمقرم : ص ٣٩٢) ، وعلى كل حال فالمعنية في الروايات التي يكتنفها الشك في المنسوبة إليها هي أم كلثوم الكبرى وهي زينب (ع) وليس أختها وهي أم كلثوم الصغرى (ع)

[1] – الختل : الخداع ، وفي احتجاج الطبرسي " الختر " أي الغدر

[2] – في بعض الروايات : " الخذل "

[3] – إشارة إلى قوله تعالى : " ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة " (سورة النحل آية ٩٢) ، وهي امرأة حمقاء من قريش اسمها ريطة بنت عمر كانت تغزل مع جواريها إلى انتصاف النهار ثم تأمرهن أن ينقضن ما غزلن ولا يزال ذلك دأبها ، وهو مثل ضربه ا... وشبه فيه لناقض العهد

[4] – أنكاثا : جمع نكث وهو الغزل من الصوف والشعر يبرم ثم ينكث وينقض ليغزل ثانية

[5] – الصلف : مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبرا

[6] – النطف : التلطخ بالعيب ، وفي الاحتجاج [illegible] ولا عنه النطف

[7] – الشنف : البغض والتنكر

[8] – الدمنة : ما تدمنه الإبل والغنم بأبوالها وأبعارها أي تلبده في مرابضها فربما نبت فيه النبات شبههم تارة بذلك النبات في دناءة أصلهم وعدم الانتفاع بهم مع حسن ظاهرهم وخبث باطنهم

[9] – أي الفضة التي تزين بها القبور في أنهم كالأموات زينوا أنفسهم بلباس الأحياء ولا ينتفع بهم الأحياء ولا يرجى منهم الكرم والوفاء

بعارِها [١] وشنارِها [٢] ولن تَرْحَضوها بِغَسْلٍ بعدَها أبداً وأنّى ترحَضونَ قَتْلَ سَليلِ النُّبُوّة ومعدِنِ الرسالةِ وسَيِّدِ شبابِ أهْلِ الجَنّةِ ومَلاذِ خِيَرَتِكُم ومَفْزَعِ نازِلَتِكم ومَنارِ حُجَّتِكم ومِدْرَةِ [٣] سِنَّتِكم [٤] ، الا ساءَ ما تَزِرون وبُعداً لكم وسُحقاً ، فلقد خابَ السَّعْيُ وتَبَّتِ الأيدي وخَسِرَتِ الصَفْقَةُ وبُؤْتُمْ بِغَضَبٍ مِن الله وضُرِبَت عليكم الذِلّةُ والمَسْكَنَةُ ، وَيلكم يا أهل الكوفة !! أتدرون أيَّ كَبِدٍ لرسولِ الله فَرَيتُم [٥] !! وأيَّ دَمٍ له سَفَكتُم !! وأيَّ كَريمةٍ له أبرَزتُم !! وأيَّ حُرْمَةٍ له انتَهَكتُم !! ولقد جِئتُمْ بِها صَلْعاءَ [٦] عَنْقاءَ [٧] فَقْماءَ [٨] خَرْقاءَ [٩] شوهاءَ كَطِلاعِ [١٠] الأرضِ ومِلْءِ السَماءِ ، أتَعجبون إنْ قَطَرَت السَماءُ دَماً ولَعَذابُ الآخِرَةِ أخْزَى وأنتم لا تُنصَرون ، فلا يَسْتَخِفَنَّكم المَهَلُ فإنّه لا يَحْفِزُهُ البِدارُ ولا يَخافُ فَوتَ الثارِ وإنَّ رَبَّكم لَبِالمِرْصاد " [١١] .

---

[١] – الضمير يرجع إلى الأمة أو الأزمنة

[٢] – الشنار : العيب

[٣] – مدرة : زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم والذي يرجعون إلى رأيه

[٤] – السِنّة : القحط

[٥] – فريتم : قطعتم ، وفي بعض النسخ " فرثتم " والفرث : تفتيت الكبد بالغم والأذى

[٦] – صلعاء : الداهية القبيحة والأمر الشديد والسوءة الشنيعة البارزة المكشوفة

[٧] – عنقاء : داهية ، وفي بعض النسخ " عنفاء " من العنف

[٨] – فقماء : من قولهم تفاقم الأمر أي عظم

[٩] – خرقاء : الخرق ضد الرفق

[١٠] – طلاع : ملء

[١١] – الاحتجاج (للطبرسي) : ج ٢ ص ٢٩ – ص ٣٠ ، اللهوف (لابن طاووس) : ص ١٤٦ – ص١٤٨ ، بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١٠٨ –ص ١٠٩ ، اللهوف (لابن طاووس) : ص ١٤٦ – ص ١٤٨ ، نفس المهموم (للقمي) : ص ٢١٥ ، مع اختلافات في بعض الألفاظ

آثار خطبة زينب (ع) على أهل الكوفة

كان لخطبة السيدة زينب (ع) التأنيبية وقع شديد على قلوب أهل الكوفة ، يقول الراوي : فوالله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى يبكون وقد وضعوا أيديهم في أفواههم ورأيت شيخا واقفا إلى جنبي يبكي وقد اخضلت لحيته وهو يقول : بأبي أنتم وأمي ، كهولكم خير الكهول وشبابكم خير شبان ونساؤكم خير نساء ونسلكم خير نسل لا يخزى ولا يبزى [1] .

ثم أخذت زينب (ع) تؤنب أهل الكوفة على فعلتهم الشنيعة ولسان حالها يقول :

مَاذا تَقولون إنْ قَالَ النَبِيُّ لَكُم ... مَـاذا فَعَلْتُم وأنْتُم آخِرُ الأمَمِ
بِعِتْرَتِي وأهْلِ بَيْتِي بَعْدَ مُفْتَقَدِي ... مِنْهُم أسَـارَى وقَتْلَى ضُرِّجُوا بِدَمِ
مَا كانَ ذاكَ جَزائي إذْ نصحتُ لكم ... أنْ تَخْلِفُوني بِسوءٍ في ذوي رَحِمي
إنّي لأخْشَى عليكم أنْ يَحِلَّ بِـكُم ... مِثْلُ العَذابِ الذي أودَى عَلَى إرَمِ

ثم ولَّت عنهم وقد ضجوا بالبكاء والعويل ودعت النساء بالويل والثبور ، يقول الراوي : فلم يُرَ باكية وباكٍ أكثر من ذلك اليوم .

فقال علي بن الحسين زين العابدين (ع) لعمته :
" يا عَمَّة اسكتي ، فَفِي البَاقي من الماضي اعتِبار ، وأنتِ بِحَمْدِ الله عالمةٌ غَيرُ مُعَلَّمَةٍ وَفَهِمَةٌ غَيرُ مُفَهَّمَةٍ ، إنَّ البكاءَ والحنينَ لا يَرُدَّانِ مَنْ قَد أبادَهُ الدَهْر " .

فسكتت ، ثم نزل (ع) وضرب فسطاطه وأنزل نساءه ودخل الفسطاط [2] .

---

[1] ـ بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١٠٩ – ص ١١٠

[2] ـ نفس المهموم (للقمي) : ص ٢١٥ وص ٢١٧ ، الاحتجاج (للطبرسي) : ج ١ ص ٣١ ، بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١٦٤

خطبة أخرى لزينب الكبرى (ع) في الكوفة

نسبت خطبة إلى أم كلثوم (ع) ويعتقد كثير من المحققين أنها إكمال لخطبة زينب (ع) الأولى في الكوفة (كما أشرنا سابقا أن " أم كلثوم " هي كنية لزينب الكبرى (ع) ، وأختها أم كلثوم الصغرى (ع)) ، وفيها قالت زينب الكبرى (ع) :

" صَهْ يا أهلَ الكوفة !! تَقْتُلُنا رِجالُكم وتَبكينا نِساؤكم !! فالحاكمُ بَيننا وبينكم الله يومَ فَصْلِ القَضاء ، يا أهلَ الكوفة سَوْأةً لكم ، ما لكم خَذَلْتُم حُسيناً وقَتَلتُموه وانْتَهَبْتُم أموالَه وورِثْتُموه وسَبَيْتُم نساءَه ونَكَبتموه ، فتبًا لكم وسُحقاً ، ويلكم أتدرون أيُّ دَواةٍ دَهَتْكُم وأيُّ وِزْرٍ على ظُهورِكُم حَمَلتُم وأيُّ دماءٍ سَفَكتُموها وأيُّ كَريمةٍ أصَبتموها وأيُّ صَبِيَةٍ سَلَبْتُموها وأيُّ أموالٍ انْتَهَبْتُموها !! قَتَلْتُم خَيرَ الرجالاتِ بعدَ النَبيِّ ونُزِعَتِ الرَحمةُ من قُلوبِكم ، ألا إن حِزْبَ الله هُمُ المُفلِحون وحزبَ الشيطانِ هم الخاسرون "[1] .

نتيجة

نستفيد من متون الخطب التي ألقتها العقيلة زينب الكبرى (ع) في جموع أهل الكوفة مطالب كثيرة من جملتها :

١ - أعلنت للملأ العام أن الادعاءات والإشاعات التي روَّجها بنو أمية وحزبهم الملعون بين الناس بأن الحسين (ع) وأصحابه قد قتلوا لأنهم كانوا من الخوارج إنما هي ادعاءات

---

[1] - مقتل الحسين (للمقرم) : ص ٣٩٢ ، مقتل الحسين (للسيد محمد تقي آل بحر العلوم) : ص ٤٠٢ ، بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١١٢ (نقلا عن اللهوف لابن طاووس) ، مع اختلافات في بعض الألفاظ

مشوهة وأكاذيب باطلة ، فعرف الناس حقائق الأمور وأن الحسين (ع) وأصحابه إنما قتلوا في سبيل إعلاء كلمة الحق والحفاظ على الشريعة المحمدية .

٢- الكلمات التأنيبية اللاذعة التي ألقتها السيدة زينب الكبرى (ع) في خطبتها على مسامع أهل الكوفة كان لها وقع شديد وأثر عميق في توعية الغافلين وتنوير عقول الجاهلين .

٣- إبلاغ رسالة الشهداء الأحرار وبيان سمو أهدافهم وعلو مقاصدهم في رفع راية الإسلام وحفظ كيانه والثورة في وجه الطواغيت ولو كان ذلك ببذل الأرواح دونها رخيصة .

٤- جلاء غشاوة الغفلة عن أعين أهل الكوفة ومعرفة الخطيئة الكبرى التي ارتكبوها في حق الله وحق رسوله وآل بيته الأطهار ، فكانت هذه الاعترافات بالذنب أرضية خصبة للثورة ضد البغاة والطغاة .

٥- علم أهل الكوفة أن العذاب الإلهي واقع لا محالة على من باع آخرته الأبدية بدنياه الفانية ، ومن لم يتب منهم فقد باء بغضب من الله وعذاب شديد .

٦- عرّفت زينب (ع) أهل الكوفة بأنهم أهل الغدر والنفاق وأصحاب الظاهر الحسن والباطن النتن ، وبينت للعالم أجمع أنه يجب على الإنسان الحذر من اتباع المضللين وأهل الحيل والمكر والخداع .

موقف زينب (ع) العظيم أمام طاغوت العراق

كان عبيدالله بن زياد واليا ليزيد على العراق ، وكل ما جرى على أهل البيت في واقعة الطف إنما كان بأمر مباشر من هذا المجرم اللعين .

جلس ابن زياد في قصره الذي امتلأت جوانبه بمظاهر الزينة ومعالم البهجة وأذن للناس إذنا عاما في الدخول عليه ، وجيء برأس الحسين (ع) المقدس ووضع بين يديه ، ثم

أدخل آل بيت رسول الله (ص) وفي طليعتهم الإمام زين العابدين (ع) ودخلت سيدة الطف زينب الكبرى (ع) في جملتهم وانحازت إلى جهة من القصر وجلست وهي متنكرة وعليها أرذل ثيابها حتى لا يعرفها أحد وقد حف بها إماؤها وجواريها غير أن هيبتها وجلالها كانت أعظم من أن تتنكر ، فخصها عبيدالله بن زياد بالسؤال وقال : من هذه التي انحازت فجلست ناحية ومعها نساؤها ؟! [1] فلم تجبه زينب (ع) استخفافا به وتحقيرا لأمره ، فأعاد السؤال ثانية وثالثة ، فقالت بعض إمائها : هذه زينب بنت علي (ع) !! [2]

فاقبل عليها ابن زياد وقال لها : الحَمدُ لله الذي فَضَحَكم وقَتَلكم وأكْذَبَ أُحدوثتكم .
فقالت زينب (ع) : الحَمْدُ لله الذي أكْرَمَنا بِنَبِيِّهِ مُحَمَّد (ص) وطَهَّرَنا من الرِجْسِ تَطْهيرا إنّما يَفْتَضِحُ الفاسِقُ ويَكَذِّبُ الفاجِرُ وهو غيرُنا !!
فقال ابن زياد : كيف رأيتِ صُنْعَ الله بأخيكِ وأهْلِ بَيتِكِ ؟!
قالت : مَا رَأيتُ إلاّ جَميلاً ، هَؤلاءِ قومٌ كَتَبَ الله عَلَيهِمُ القَتْل فَبَرَزوا إلى مَضاجِعِهِم وسَيَجْمَعُ الله بَينكَ وبَينهم فَتُحاجُّ وتُخاصَم فانظر لِمَن يكونُ الفَلَجُ يومئذ ، ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ يا ابنَ مَرْجانَة !! [3]

(قال ابن مخنف في مقتله : ثم قال ابن زياد : كَيفَ رأيتِ صُنعَ الله بكِ وبأخيكِ إذ أرادَ أن يأخذَ الخلافةَ من يزيد فخيَّبَ أملَه وقطعَ رجاه وأمْكَنَنا الله تعالى منه ؟!
فقالت له العقيلة زينب (ع) : وَيلَكَ يا ابنَ مَرجانة ، إنْ كانَ أخي طَلَبَ الخِلافة

---

[1] – وفي بعض الكتب :قال : من هذه المتنكرة ؟!

[2] – وفي بعض الكتب قيل : هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول ا...(ص) (إرشاد المفيد ص٢٧٣)

[3] – ذكرت السيدة زينب (ع) هنا أم ابن زياد وكانت امرأة سوء ، وابن زياد ابن زنا ، وكانت مرجانة معروفة بالفجور والزنا حتى أن أمير المؤمنين علي (ع) قال لميثم التمار : " ليأخذنك الزنيم ابن الأمة الفاجرة عبيد ا... بن زياد " (سفينة البحار : ج ٣ ص ٥٧٧) ، وقبل دخول الإمام الحسين (ع) كربلاء بعشرة أيام وبأمر من عبيد ا... ابن زياد ألقي القبض على ميثم التمار والذي كان من أصحاب علي (ع) المخلصين ثم أعدم .

فميراثُه من أبيه وجدّه ، وأمّا أنتَ فاستعِد جَواباً لِنفسِك إذا كانَ القاضي الله والخصْمُ مُحَمّد والسِجنُ جَهَنّم !!)

فغضب ابن زياد وكأنه همَّ بها فقال له عمرو بن حريث : إنها امرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها ولا تذم على خطابها .

فرتد عنها ثم قال لها : لقد شَفَى الله قَلْبِي من طاغِيَتِك الحسين والعُصاةِ المَرَدَةِ من أهلِ بيتِك .

فرَقّت زينب (ع) وبكت وقالت : " لَعَمْرِي لَقَد قَتَلْتَ كَهْلِي وقَطَعْتَ فَرْعِي واجْتَثَثْتَ أصْلي ، فإنْ كان هذا شِفاؤك فقد اشتَفيت " .

فقال ابن زياد : هذه سَجاعَةٌ ولعمري لقد كان أبوها شاعِراً سَجّاعاً .

فقالت : يا ابنَ زِياد ، ما لِلْمَرأةِ والسّجاعة !! إنْ لِي عن السّجاعةِ لَشُغلاً ، وإني لأعجبُ مِمّن يشتَفِي بِقَتْلِ أئمتِهِ وهو يعلمُ أنّهم مُنتقِمون منه في آخرتِه !! [1]

ونقل السيد المقرم : لقد أفصحت زينب بنت علي (ع) وهي أسنُّ من حُمِل إلى ابن زياد وأبلغت وأخذت من الحجة حاجتها .

فقال لها ابن زياد : إن تكوني بلغت من الحجة حاجتك فقد كان أبوك خطيبا شاعرا .

فقالت : ما للنساء والشعر !! [2] .

لما جرى بين الخبيث وبين زينب (ع) من الكلام ، غار علي بن الحسين (ع) على عمته فصاح : يا ابنَ زياد ، إلَى كَم تُهْتِكُ عَمّتي بين مَنْ يعرفُها ومَنْ لا يعرفُها !! [3]

ثم التفت ابن زياد إلى علي بن الحسين (ع) فقال : من أنت ؟!

---

[1] - بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١١٥ - ص ١١٦ ، معالي السبطين : ج ٢ ص ١١١ - ص ١١٢ ، أعلام الورى : ص ٢٤٧ ، كامل ابن أثير : ج ٤ ص ٨٢

[2] - مقتل الحسين (للمقرم) (نقلا عن الكامل في التاريخ للمبرد : ج ٣ ص ١٤٥) : ص ٣٢٥

[3] - زينب الكبرى (للعلامة المحقق الشيخ جعفر النقدي) : ص ١١٢

قال : أنا عليّ بن الحسين (ع) !!

فقال ابن زياد : أليس الله قد قتل علي بن الحسين ؟!

فقال (ع) : قد كانَ لي أخٌ أكبر مني يسمى علياً ، قتلَه الناسُ بأسيافِهم .

فقال ابن زياد : بل الله قتله .

فقال علي بن الحسين (ع) : الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها !! [1]

فقال له ابن زياد : أولك جرأة على جوابي وبقية للرد علي !!

فأمر غلمانه أن يضربوا عنقه ، فأتته الجلاوزة فتعلقت به زينب (ع) وقالت : يَا ابنَ زِياد حَسْبُكَ من دمائِنا ، إنّكَ لم تُبقِ منّا أحداً ، فإنْ كنتَ عَزَمْتَ على قتلِه فاقتلْني معه !!

واعتنقته زينب (ع) وقالت : والله لا افارِقُهُ فإنْ قَتَلْتَه فاقْتُلْني مَعَه .

فنظر ابن زياد إليها وإليه ساعة ثم قال : عجبا للرحم والله لا أظنها ودّت أني أقتلها معه ، دعوه فإني أراه لما به مشغولا [2] .

فقال علي بن الحسين (ع) لعمته : اسْكُتي يا عَمّة حَتى أكَلِّمَه .

ثم أقبل عليه وقال (ع) : أبِالقَتْلِ تُهَدِّدُني يا ابنَ زِياد ، أمَا عَلِمْتَ أنَّ القتلَ لنا عادَة وكرامتَنا الشهادَة !!

ثم أمر ابن زياد بعلي بن الحسين (ع) ومن معه من الأسارى فحملوا إلى دار جنب المسجد الأعظم [3] .

على هذا وقفت زينب الكبرى (ع) بشموخها وهيبتها التي ورثتها من جدها وأبيها وأمها وأخويها أمام طاغية العراق عبيد الله ابن زياد الملعون ، وأرغمت أنفه في تراب المهانة

---

[1] - سورة الزمر : آية ٤٢

[2] - ارشاد المفيد : ص ٢٧٤ ، أعلام الورى : ص ٢٤٩ ، معالي السبطين : ج ٢ ص ١١٢ - ص ١١٣ ، بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١١٧ - ص ١١٨

[3] - اللهوف (للسيد ابن طاووس) : ص ١٦٣ ، أعلام الورى : ص ٢٤٨ ، بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١١٨

والذلة ، وبشجاعتها المعهودة دافعت عن حجة الله على خلقه أجمعين زين العابدين عليه أفضل صلوات المصلين .

ومن فوادح الأمور التي تعرضت لها زينب الكبرى (ع) حينما رأت ابن زياد لعنه الله قد وضع رأس أبي عبدالله الحسين المقدس بين يديه في طشت وجعل اللعين ينظر إليه ويتبسم ويستهزئ وهو ينكت بقضيبه موضعا طالما قبّله رسول الله (ص) وهو فمه الشريف وثغره المبارك ويقول : يا حسين ، لقد كنت حسن المضحك !!

رأت العقيلة زينب (ع) كل ذلك وصبرت لله فلم تهزها هذه المشاهد المؤلمة والمناظر المفجعة ولم تثبطها عن الاستمرار في خطها ومنهجها التي قُدّر لها .

زينب (ع) في سجن الكوفة

بعث عبيد الله بن زياد رسولا إلى يزيد بن معاوية لعنهما الله يخبره بقتل الحسين (ع) وأهل بيته وسبي بناته وأخواته وصبيته وينتظر أمره فيهم .

ولما كان البريد بين الكوفة والشام يستغرق اثني عشر يوما ذهابا وإيابا أمر ابن زياد بسجن الإمام السجاد (ع) والسيدة زينب (ع) ومن معهم في سجن في الكوفة وأمر بالتضييق عليهم حتى قيل أنه كتب رقعة ربط فيها حجرا ورماه في السجن المحبوس فيه آل محمد (ص) وفيها : " خرج البريد إلى يزيد بأمركم في يوم كذا ويعود في كذا ، فإذا سمعتم التكبير فأوصوا وإلا فهو الأمان "[1] .

---

[1] – مقتل الحسين (للمقرم) : ص ٣٤٤

لما وصل كتاب ابن زياد إلى يزيد بن معاوية ووقف عليه أعاد الجواب إليه يأمره فيه بحمل رأس الحسين (ع) ورؤوس من قُتل معه وحمل أثقاله ونسائه وعياله إلى الشام [1] .

نعم هذا هو شان الدهر الخؤون مع أولياء الله وأحبائه ، إذ كانت زينب الكبرى (ع) ولخمس سنوات مباركات ملكة العالم الإسلامي في الكوفة إلى جنب أبيها العظيم سيد الوصيين وإمام المتقين علي (ع) محاطة بهالات القدسية والعظمة ، واليوم تدخل على ابن زياد اللعين أسيرة ثم تسجن في ناحية من الكوفة وغدا تُسيَّر إلى الطاغية يزيد ابن معاوية !!

مكثت زينب (ع) والإمام السجاد (ع) وباقي الأسارى في سجن جنب مسجد الكوفة الأعظم لمدة اثنا عشر يوما ، ولما لم ترغب العقيلة زينب (ع) بدخول النساء والأجانب على أهل بيت العصمة والطهارة حتى لا تنال أهلها الكرام أية إهانة أو شماتة قالت بصريح القول :

" لا يَدْخُلَنَّ علينا اليومَ عَرَبِيَّةٌ إلاَّ أمُّ وَلَدٍ أو مَمْلوكَةٍ فإنَّهُنَّ سُبينَ كما سُبينا " !! [2]

يقول المرحوم العلاّمة الجزائري : أمر ابن زياد أن يحمل أهل البيت (ع) إلى خربة جنب مسجد الكوفة الأعظم ، والبعض يقول أنه أمر بسجنهم والتضييق عليهم ، ثم يعقّب العلاّمة ويقول : إذا كان ابن زياد قد أمر بحملهم إلى الخربة بجنب المسجد الأعظم فهذا ليس أقل استخفافا بمقام أهل البيت (ع) من السجن ، فمن ناحية أن قربهم من المسجد كان يسهل على المأمورين مراقبتهم وبالتالي قطع الاتصال بينهم وبين الناس ، ومن ناحية أخرى أن ابن زياد حينما يتجه إلى المسجد لصلاة الجماعة يتباهى بقدرته وسطوته وبطشه وبهذا الاعتقاد يحاول أن يضعف من معنويات أهل البيت (ع) [3] .

---

[1] - كامل بن أثير : ج ٤ ص ٥٥ ، معالي السبطين : ج ٢ ص ١١٥

[2] - اللهوف (للسيد ابن طاووس) : ص ١٦٣ ، مقتل الحسين (للمقرم) : ص ٤٠٧

[3] - الخصائص الزينبية : ص ٢٨٨ - ص ٢٨٩

زينب (ع) في طريقها إلى الشام

امتثل ابن زياد لأمر مولاه يزيد بن معاوية ، فأمر بنساء الحسين (ع) وصبيانه فجهزوا وأمر بعلي بن الحسين (ع) فغل بغل في عنقه ، واختار من أصحابه أربعة وهم شبث بن ربعي وزجر بن قيس (أو زحر بن قيس) ومخفر بن ثعلبة العايذي وشمر بن ذي الجوشن ، ما ولدت النساء أشر منهم ولا ألأم منهم ، وأرسل معهم جماعة ممن ارتضاهم وكان عددهم يقارب الألف والخمسين فارسا (حسب قول أبي مخنف في مقتله) ، فسلم إليهم الرؤوس والسبايا والأسرى من أهل البيت (ع) وساروا بهم إلى دمشق شام الشؤم كما يسار سبايا الكفار تصهرهم الشمس ويتصفح وجوههم أهل الأقطار [1] .

عظمت المصيبة على أهل البيت (ع) واشتدت بهم الآلام والأحزان ، فلقد كان المسير من الكوفة إلى الشام مسير شهر للإبل ذوات القوة والصبر ، ولكن غلائظ القلوب وضعاف النفوس أرهقوا قوتها وصبرها فحملوا عليها فقطعت المسافة في ما يقارب العشرة أيام !! [2]

ساروا بالسبايا ليلا ونهارا ، وكان شمر بن ذي الجوشن أميرا لهذا الركب ، وكان كلما ارتفع صوت إحداهن بالبكاء والنحيب انهال عليها ضربا بالسياط .

وأما زينب الكبرى (ع) فعلاوة على ما لاقته من ظلم وتعذيب من تلك العصابة الباغية ، وما كانت تشعر به من التعب والإرهاق ، إلا أنها كانت على الدوام تتفقد الأطفال والنساء ، حتى قيل أن سكينة بنت الحسين (ع) حينما رفعت صوتها بالبكاء على أبيها وقد تعبت وأعيت من

---

[1] – مقتل الحسين (للمقرم) : ص ٤٣١ ، مقتل أبي مخنف : ص ١١٠ ، تاريخ الطبري : ج ٣ ص ٢٦٤

[2] – حسب قول المؤرخين أن وصول أهل البيت (ع) إلى الشام كان في الأول من شهر صفر عام ٦١ للهجرة (نفس المهموم : ص ٢٣٩)، ولما كانت إقامة أهل البيت (ع) في الكوفة أربعة أيام (من ١٢ إلى ١٥ محرم حسب قول البعض) ، فهذا يعني أن مسيرهم من الكوفة إلى الشام استغرق ستة عشر يوما ، أما إذا كانت إقامتهم في سجن الكوفة اثني عشر يوما فهذا يعني أن مسيرهم من الكوفة إلى الشام كان في ستة أيام !!

طول السفر والمسير في الطريق ، حذرها الظالم شمر بن ذي الجوشن من البكاء ولكنها لم تملك نفسها أن تسكت عن البكاء فجذبها الملعون ورمى بها في الصحراء ومضى يتابع سيره وكان الوقت ليلا ، فجعلت تسرع وراء الإبل وتستغيث ، فلما سمعت زينب (ع) صراخها واستغاثتها ألقت بنفسها عن ظهر راحلتها تبحث عن ابنة أخيها ، فوقف الركب قليلا حتى جاءت بها العقيلة وأركبتها معها [1] .

وذُكرت رواية في كتاب مصباح الحرمين أنه حينما رمى الحادي الظالم بسكينة على الأرض جعلت تمشي حافية في سواد الليل تقوم تارة وتقعد تارة تستغيث بلله وبأبيها وتارة تنادي : عمتاه !! ولما لم تر أثرا من القافلة خرت مغشية ، فعند ذلك اقتلع الرمح الذي كان عليه رأس الحسين (ع) من يد حامله وانشقت الأرض ونزل الرمح في الأرض إلى نصفه وثبت فيها كالمسمار في الحائط ، وكلما اجتهد الحامل أن يقلعها لم يتمكن ، واجتمع خلق كثير وكلما اجتهدوا لم يستطيعوا ، فأخبروا بذلك عمر بن سعد فقال اسألوا علي بن الحسين عن ذلك ، وراجَعوا إليه ، فلما سألوا الإمام قال (ع) : قولوا لعمتي زينب تتفقد الأطفال ، فلربما قد ضاع منهم طفل !! فلما قيل لزينب (ع) جعلت تتفقد الأطفال وتنادي بأسمائهم ، فلما نادت : بنية سكينة ، فلم تجبها !! فرمت زينب (ع) بنفسها من على ظهر الناقة وجعلت تنادي : وا غربتاه ، وا ضيعتاه ، وا رجالاه ، وا حسيناه !! بنية سكينة في أي أرض طرحوك وفي أي واد ضيعوك !! فرجعت إلى وراء القافلة وهي تعدو في البراري حافية والشوك يدخل في رجليها وتصرخ وتنادي ، وإذا بسواد قد ظهر ، فمشت نحوه لتسأله فإذا هي امرأة جالسة وفي حجرها رأس اليتيمة وهي تبكي !!

فقالت الحوراء زينب (ع) : يا هذي !! من أنت التي تنعطفين على اليتامى ؟!

قالت : بنية زينب !! أنا أمك الزهراء !! أظننت أني أغفل عن أيتام ولدي !! [2]

---

[1] ـ المقيد في ذكرى السبط الشهيد (للسيد عبدالحسين العاملي) : ص ١٤٥

[2] ـ معالي السبطين : ج ٢ ص ١٣٦ ـ ص ١٣٧

مرور زينب (ع) وأهل البيت على منازل بين الكوفة والشام

مر موكب السبايا والأسرى على ما يقارب الخمسة عشر منزلا بين الكوفة والشام ، وهذه المنازل هي كالتالي :

١ - تكريت ٢- الموصل ٣- حرّان ٤- دعوات ٥- قُنسرين ٦- سَيبور ٧- حِمْص ٨- بعلبك ٩- قصر بني مقاتل ١٠- حماه ١١- حلَب ١٢- نصيبين ١٣- عسقلان ١٤- دير قسيسين ١٥ - دير راهب [1] .

كان أغلب أهل هذه المنازل من أعداء أهل البيت (ع) وأتباع يزيد بن معاوية ، فقد زينوا الشوارع والطرقات بأنواع الزينة وعمت مظاهر الفرح واللهو فيها ،وكانوا ينادون : هذا رأس الخارجي !! فكانت زينب (ع) تسمع ذلك كله فتزداد همّاً وكرباً .

ولمزيد من التفاصيل نتطرق إلى بعض المواقف المؤلمة التي مرت بها العقيلة زينب (ع) حين مرورها على هذه المنازل :

١ - عن الشيخ المفيد (ره) قال : لما رحلوا بالسبايا والرؤوس إلى دمشق وعدل بهم الطريق إلى قصر بني مقاتل ، وكان ذلك اليوم يوما شديد الحر وكانت القربة التي معهم مزقت وأريق ماؤها فاشتد بهم العطش ، وأمر ابن سعد عدة من قومه في طلب الماء وأمر بفسطاط فجلس هو وأصحابه لعنهم الله ورموا بالسبايا والأطفال على وجه الأرض تصهرهم الشمس ، فأتت زينب (ع) إلى ظل جمل هناك وفي حضنها علي بن الحسين (ع) وقد أشرف على

---

[1] - وقائع الأيام : ص ٢٩١ ، وفي بعض المقاتل كانت هناك منازل أخرى مثل القادسية ومعرة النعمان ....

الهلاك من شدة العطش وبيدها مروحة تروحه بها من الحر وهي تقول : " يَعِزُّ عَلَيَّ أنْ أراكَ بهذا الحالِ يا ابنَ أخِي " !![1]

٢- عن ياقوت الحموي في معجم البلدان أن في قرب حلب جبلا اسمه جوشن وفي قبلة الجبل مشهد يسمى بمشهد السِقْط لأنه لما عبروا بسبي الحسين (ع) ونسائه كانت زوجة الحسين (ع) حاملا بولد اسمه محسن ، وأسقطت هناك[2] .

وكانت زينب (ع) وهي المتكفلة باليتامى والثكالى ناظرة لهذا المشهد المؤلم .

٣- قال أبو مخنف في مقتله : ثم إنهم نزلوا نصيبين وشهروا السبايا والرؤوس ، فلما رأت زينب (ع) إلى ذلك الحال الشنيع وازدحام الناس على الركب للفرجة قالت :

أتُشهِرونا في البَرِيَّـةِ عَنْـوَةً	ووالـدُنـا أوحَـى إليـهِ جَليـلُ
كَفَـرْتُم بِـرَبِّ العَـرْشِ ثُمَّ نَبِيِّـه	كَأنْ لَمْ يَجِئْكُم في الزمـانِ رَسـولُ
لَحَـاكُمُ إلَـهِ العَـرْشِ يا شَرَّ أمَّـةٍ	لَكُمْ في لَظَى يَومَ المَعـادِ عَويـلُ[3]

٤- وساروا بالسبايا والأسارى إلى أن وصلوا إلى مدينة عسقلان وأميره يعقوب العسقلاني وكان في حرب الحسين (ع) ، فلما وصل العسكر مع الرأس والنساء أمر أن يزينوا البلد ويضربوا الطنبور والعود ، فلما أدخلوا الرأس والنساء كان هناك رجل غريب عن البلد اسمه زرير الخزاعي وكان واقفا فسأل الناس عن سبب الفرح والسرور فقالوا (ما مضمونه) أن هناك رجل خارجي يدّعي الخلافة خرج على يزيد فقُتل وأصحابه ، ولما سأل عنه قالوا هو الحسين أبوه أمير المؤمنين علي وأمه فاطمة بنت رسول الله (ص) !! فلما سمع زرير ذلك اسودت الدنيا في عينيه وضاقت الأرض عليه ، فجاء قريبا من السبايا وهو يبكي فقال للإمام زين العابدين (ع) : يا سيدي هل لك حاجة فإني لك بشرط الخدمة !! فقال (ع) :

---

[1] - الدمعة الساكبة (للحائري) : ص ٢٩١ ، معالي السبطين : ج ٢ ص ١٣٥

[2] - الدمعة الساكبة : ص ٢٩٧ ، نفس المهموم : ص ٢٣٩ ، معالي السبطين : ج ٢ ص ١٣٤

[3] - معالي السبطين : ج ٢ ص ١٣٠ - ص ١٣١ ، مقتل أبي مخنف : ص ١١٥

قل للذي هو حامل رأس الحسين (ع) أن يتقدم على النساء لتشتغل النظارة بالرأس عن النظر إلى النساء .

فمضى إلى حامل الرأس وأعطاه خمسين مثقالا من الذهب والفضة حتى اعتزل وتقدم به فاستراحت النساء من مدّ النظر إليهن [1] .

٥- كان لتلاوة رأس الحسين (ع) المطهر آيات من القرآن الكريم وهو مرفوع على القنا في منزل " حرّان " وخُطب زينب الكبرى (ع) الأثر البالغ في إسلام رجل يهودي من تلك البلدة واسمه يحيى ، هذاالرجل الذي حركت ضميره ووجدانه مظلومية أهل البيت (ع) ، فثار ضد عسكر الظالمين وشد عليهم بسيفه فقتل منهم خمسة ، ثم تكاثروا عليه فقتلوه ، وله مزار باسم " مقبرة يحيى الشهيد " عند باب " حران " ، يزوره شيعة آل محمد (ص) [2] .

٦- قال أبو مخنف : لما نزلوا القادسية [3] أنشات زينب (ع) :

مَاتَتْ رِجالِي وأفْنَى الدَهْرُ ساداتي	وزادَنِي حَسَــراتٍ بَعْدَ لَوعَــاتِ
صَالوا اللِئامَ عَلَينا بَعْدَما عَلِمـوا	إنّـا بَناتُ رَسـولٍ بِالهُدى آتِــي
يُسَيِّرونا عَلَى الأقْتـابِ عَارِيـةً	كـأنَّنـا بَينَهُمْ بَعْضُ الغَنِيمـاتِ
يَعِـزُّ عَلَيكَ رَسـول الله ما صَنَعـوا	بِأهْــلِ بَيْتِكَ يـا خيرَ البَـرِيّـات
كَفَـرْتُمْ بِرَسـولِ الله وَيلَكُـمْ	أهْداكُمْ مِنْ سُلوكٍ في الضَلالاتِ [4]

كشفت السيدة زينب (ع) بهذه الأبيات بعض المطالب من جملتها :

١ - إعرابها عن أليم المصاب الذي أصابها وأهل البيت (ع) إثر الفاجعة الكبرى التي حلت بسبط الرسول الأعظم وعياله وأصحابه .

---

[1] - الدمعة الساكبة : ص ٣٠٢ ، معالي السبطين : ج ٢ ص ١٢٨

[2] - منتهى الآمال : ج ١ ص ٣٠٤ - ص ٣٠٥

[3] - في بعض المقاتل أنه أول منزل نزله أهل البيت (ع) في طريقهم بين الكوفة والشام .

[4] - معالي السبطين : ج ٢ ص ١٢١ ، مقتل أبي مخنف : ص ١١٠

٢- تحميل كل من شارك في قتل الحسين (ع) وأصحابه المسؤولية في أعمالهم الوحشية واللاإنسانية ، ووصفتهم بأرذل الصفات وأحقرها .

٣- كشف النقاب عن الجريمة النكراء التي ارتكبها الظالمون في حق بنات الرسالة ومخدرات النبوة ، إذ حملوهن على ما كُنَّ فيه من ضعف ووهن على أقتاب عارية بلا وطاء ولا غطاء .

٤- بيان أن الحرمة التي انتهكوها واعتدوا عليها إنما هي حرمة رسول الله (ص) والمقتول هو سبط الرسول الأعظم وسيد شباب أهل الجنة ، وعلى هذا المقياس فالاعتداء كان على ذات الرسول الأكرم (ص) ، أليس هو القائل : " حسين مني وأنا من حسين " !! فبئسما خلفوه في عترته الطاهرة من بعده .

٥- وصف جريمتهم بالكفر برسول الله (ص) والذي يستوجب مقت الله وغضبه وعذابه وسخطه .

ويجدر بالذكر أن بعض المنازل والبلاد التي مر عليها سبايا أهل البيت (ع) ، كالموصل وسيبور وقنسرين وحماة وحمص كان أهلها من محبي آل البيت (ع) ، فرفضوا استقبال عسكر يزيد وأغلقوا الأبواب وجعلوا يلعنون القوم ويرمونهم بالحجارة بل قاتلوهم قتالا شديدا .

على سبيل المثال لما مرت السيدة زينب (ع) (أم كلثوم الكبرى) ومن معها على بلدة حماة وعرفت أن أهلها أغلقوا الأبواب في وجوه القوم ومنعوهم من دخول البلدة احتجاجا على فعلتهم النكراء ، سألت عن اسم البلدة فقالوا لها تسمى " حماة " فقالت : " حَمَاهَا الله مِنْ كلِّ ظالِم " [1] .

---

[1] - منتهى الآمال : ج ١ ص ٣٠٥

زينب الكبرى (ع) في الشام – مركز السلطة الأموية

في اليوم الأول من صفر عام ٦١ للهجرة أقبلوا برأس الحسين (ع) والأسرى والسبايا من أهل البيت (ع) إلى دمشق الشام وأوقفوهم على باب " الساعات " لثلاث ساعات تنكيلا بهم وإذلالا لهم وقد خرج الناس بالدفوف والبوقات وزينوا المدينة بشتى أشكال الزينة ورفعوا الرايات وهم في فرح وسرور [1] بهذا الفتح العظيم .

لقد وصلت البشرية الطامعة والنفوس الدنيئة في حكومة يزيد بن معاوية إلى مستوى من الانحدار والانحطاط أن يصيح في أهل بيت العصمة والطهارة صائح : " يا أهْلَ الشام هؤلاء سَبايَا أهلِ بيتِ المَلْعون " !! [2] (والعياذ بالله) .

همج رعاع قد ملأ يزيد وزبانيته مسامعهم بالكذب والزور أن الحسين (ع) خارجي تمرد على حاكمه ونال عقابه ، فامتلأت قلوبهم حقدا وضغينة على أهل بيت الوحي والرسالة !!

وللشام فضائع كثيرة ومحن لا حصر لها حتى رُوِي أنه حينما سئل الإمام السجاد (ع) عن أشد مصيبة أصابتهم في الأسر قال (ع) : " الشام !! الشام !! الشام !! " [3] .

روي عن الإمام السجاد (ع) أنه قال لنعمان بن منذر المدائني : " أصابتنا في الشام سبعة مصائب لم نصب بمثلها من بدء أسرنا إلى نهايته " ثم بيَّن له تلك المصائب نوردها ملخصا :

١– أحاط بنا جلاوزة يزيد شاهرين سيوفهم في وجوهنا وساقونا بكعوب رماحهم وأوقفونا على باب الشام ساعات طوال والناس حولنا يضربون بالدفوف وهم في بهجة وسرور .

---

[1] – مقتل الحسين (للمقرم) : ص ٣٤٨ ، مقتل الخوارزمي : ج ٢ ص ٦١

[2] – معالي السبطين : ج ٢ ص ١٥٠

[3] – عنوان الكلام (فشاركي) : ص ١١٨ ، مقتل الحسين (للخوارزمي) : ج ٢ ص ٦٠

٢- خلت قلوبهم من الرحمة بأن حملوا الرؤوس على الرماح في أوساط المحامل أمام أعين عماتي زينب وأم كلثوم بغيا منهم وكفرا .

٣- كانت نساء الشام تصب علينا من فوق السطوح الماء الحار وترمينا بالنار حتى احترقت عمامتي واحترق رأسي .

٤- كانوا يسيرون بنا من طلوع الشمس إلى غروبها في الأسواق ليتفرج علينا أهل الشام ويقولون : اقتلوا هؤلاء القوم الذين لم يحفظوا للإسلام حرمة !!

٥- أوثقونا بالحبال وساروا بنا إلى جنب بيوت اليهود والنصارى وهم يقولون : هؤلاء أبناء الذين قتلوا آباءكم (يوم خيبر وغزوة الخندق) ، فثار اليهود والنصارى علينا ورمونا بالعصي والأحجار ونثروا علينا التراب .

٦- أخذونا إلى سوق النخاسين ليبيعونا بيع الإماء والعبيد ولكن الله حال بينهم وبين ما كانوا يبتغون .

٧- أمر بنا يزيد إلى محبس لا يكننا من حر ولا برد ليس له سقف والشمس تصهرنا ولا نرى الهواء حتى تقشرت وجوهنا ونساؤنا لم تشبع بطونهن ولم تكسَ رؤوسهن !![1]

لقد كان للتعتيم الإعلامي الأموي الأثر البالغ في قلوب الناس وعقولهم ، فقد ورد أنه لما أوقفوا السبي على درج المسجد الجامع جاء شيخ ودنا من نساء الحسين (ع) وعياله وقال : الحمدلله الذي قتلكم وأهلككم وأراح البلاد من رجالكم وأمكن أمير المؤمنين منكم !!
هنا علم الإمام (ع) بطهارة نفس هذا الشيخ وصفاء سريرته فأراد أن يرشده إلى سواء السبيل فقال الإمام علي بن الحسين (ع) : يا شيخ هل قرأت القرآن ؟!
قال : نعم .
فقال (ع) : هل عرفت هذه الآية : " قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى " ؟!

---

[1] - تذكرة الشهداء : ص ٤١٢

قال الشيخ : قد قرأت .

قال (ع) : نحن القربى يا شيخ !! هل قرأت : " واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى " ؟!

قال : نعم .

قال (ع) : نحن القربى يا شيخ !! هل قرأت هذه الآية : " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " ؟!

قال : قد قرأت .

قال الإمام (ع) : نحن أهل البيت الذين خصصنا بآية التطهير يا شيخ !!

فبقي الشيخ ساكتا نادما على ما تكلم به وقال : بالله إنكم هم ؟!!

فقال علي (ع) : تالله إنا لنحن هم من غير شك ، وحق جدنا رسول الله إنا لنحن هم .

فبكى الشيخ ورمى عمامته ورفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم إني أبرأ إليك من عدو آل محمد (ص) من الجن والإنس .

ثم قال : هل لي من توبة ؟! قال (ع) : نعم ، إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا ، قال : أنا تائب .

فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ فأمر بقتله [1] .

المواجهة العنيفة بين زينب (ع) وشمر بن ذي الجوشن

قال سهل بن سعد الساعدي : دخل الناس من باب الخيزران ودخلت في جماعتهم ، وإذا قد أقبل ثمانية عشر رأسا والسبايا على المطايا بغير وطاء والرأس الشريف على رمح بيد شمر بن ذي الجوشن لعنه الله وهو يقول :

---

[1] - بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١٢٩ ، اللهوف (للسيد ابن طاووس) : ص ١٠٠

أنـا صَـاحِـبُ الرُّمْـحِ الطَّـويلِ   أنـا قـاتِـلُ الـديـنِ الأصـيـلِ
أنـا قـتـلْـتُ ابنَ سَـيِّـدِ الوَصِيِّيـنِ   وأتَيْتُ بِرَأْسِهِ إلى يَزيد أميرِ المُؤمنينِ

وعلى الرغم من الظروف البالغة في القسوة والشدة إلا أن زينب (ع) ردت عليه بشجاعة لا نظير لها وقالت :

" كَذِبْتَ يا لَعين ابن اللَّعين ، ألا لَعْنَةُ الله على القوم الظالمين ، يا وَيلك تَفْتَخِرُ عندَ يزيد الملعونِ ابنِ الملعونِ بقتلِ مَنْ ناغاهُ في المَهْدِ جبرئيلُ وميكائيل ، ومَنْ اسمُـهُ مَكتوبٌ على سُرادقِ عَرْشِ رَبُّ العالمين ، ومَنْ خَتَمَ الله بِجَدِّهِ المُرْسَلين ، وقَمَعَ بأبيهِ المُشركين !! فَمِنْ أينَ مثلُ جَدِّي محمدٍ المصطفى وأبي عليٍّ المرتضى وأمي فاطمة الزهراء صَلَوات الله عليهم أجمعين !! "[1] .

فأقبل عليها خولي لعنه الله وقال : تأبين السجاعة وأنت بنت السجّاع ؟!![2]

لقد أحاط جلاوزة بني أمية أهل البيت (ع) بأنواع التنكيل والتعذيب وأساليب بالغة في القسوة والدناءة يقصدون بذلك إذاقتهم مرارة الذل والهوان .

دخول عقيلة بني هاشم (ع) مجلس يزيد

وفي منتخب التواريخ : قال علي بن الحسين (ع) : " لَمَّا وَفَدْنا إلى يَزيد بنِ مُعاوِيَة ، أتَوا بِحِبالٍ ورَبَقونا كَالأغْنام ، وكانَ الحَبْلُ في عُنُقي وعُنُقِ أمِّ كَلثوم وكتفِ زَينب وسكينة والبنات وكُلَّما قَصَّرْنا عن المشْي ضَرَبونا حَتَّى أوقَفونا بَيْنَ يَدَي يَزيد "[3] .

---

[1] ـ معالي السبطين : ج ٢ ص ١٤١ ، الدمعة الساكبة : ج ٥ ص ٨٢ ، مع اختلاف في بعض الألفاظ

[2] ـ الدمعة الساكبة : ج ٥ ص ٨٢ (وفي بعض الروايات وردت كلمة الشجاعة بدلا عن السجاعة)

[3] ـ معالي السبطين : ج ٢ ص ١٥٩

وقال السيد ابن طاووس في اللهوف : ثم أدخل ثقل الحسين (ع) ونساؤه ومن تخلف من أهل بيته على يزيد بن معاوية وهم مقرنون بالحبال فلما وقفوا بين يديه وهم على تلك الحالة قال علي بن الحسين (ع) :

" ما ظَنُّكَ بِجَدِّنا رَسولِ الله لَو يَرانا عَلَى مِثْلِ هذه الحالَة ؟! " .

فبكى الحاضرون ، وأمر يزيد بالحبال فقطعت [1] .

أطائبُ بيضٌ كالشموسِ وجوهُها	بِظُهرِ شُموسٍ في مسيرٍ قِلالِ
ذَراري رَسولِ الله شُدَّ وثاقُهُم	كَنَحْوِ أُسارَى أوثِقَتْ بِحِبالِ
تَذِلُّ مَياتيمَ الحُسينِ مُعانِداً	وقَدْ كانَ للأيتامِ خَيرَ ثِمالِ
وكَيفَ إذا اسْتَعْدَى عَلَيكَ مُحَمَّدٌ	لَدَى حاكِمٍ ذي نِقْمَةٍ ونَكالِ
وبَطشٍ شَديدٍ وانتِقامٍ وسَطْوَةٍ	وسَلْطَنَةٍ فِي عِزَّةٍ وجَلالِ
عَلَيكَ إلى يَومِ الجَزاءِ وبَعْدَهُ	مِنَ الله لَعْنٌ دائِمٌ مُتَتالِ [2]

دعا يزيد برأس الحسين (ع) ووضعه أمامه في طست من ذهب [3] وللرأس الشريف طيب قد فاح على كل طيب ، وأجلس النساء خلفة لئلا ينظرن إليه ، فلما رأت زينب (ع) ذلك هوت إلى جيبها فشقته ثم نادت بصوت حزين يقرح القلوب : " يا حُسَيناه ، يا حَبيبَ رَسولِ الله يا ابنَ مَكَّةَ ومِنَى يا ابن فاطمةَ الزهراء سَيدة النساء يا ابنَ بنتِ المصطفى " .

يقول الراوي : فأبكت والله كل من كان في المجلس ويزيد عليه لعائن الله ساكت [4] .

---

[1] ـ مقتل الحسين (للمقرم) : ص ٣٥٠ ، اللهوف (للسيد ابن طاووس) : ص ١٠١ ، وتذكرة الخواص : ص ٤٩

[2] ـ بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ٢٧١ (أبيات من أشعار محمد رفيع الجيلي)

[3] ـ مقتل الحسين (للمقرم) : ص ٣٥٤

[4] ـ معالي السبطين : ج ٢ ص ١٥٥ ، الاحتجاج (للطبرسي) : ج ٢ ص ٣٤ ـ ص ٣٥

موقف زينب (ع) من الرجل الشامي

لقد أبدى يزيد بن معاوية ما كان يضمره من النفاق والكفر بالله ورسوله حينما جعل ينشد بأبيات عبدالله الزبعري [1] وهو ينكت ثنايا أبي عبدالله الحسين (ع) بالقضيب ويقول :

لَيْتَ أشياخِي بِبَدْرٍ شَهِدوا وَقْعَةَ الخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الأسَل
لأهَلّوا واسْتَهَلّوا فَرَحاً ثُمّ قالوا يَا يَزيد لا تُشَل
قَدْ قَتَلْنا القَرْمَ من سَاداتِهِم وعَدَلْناهُ بِبَدْرٍ فاعْتَدَل

ثم أنه زاد في القصيدة بقوله لعنه الله :

لَسْتُ مِنْ خِنْدَفٍ [2] إنْ لَمْ أنْتَقِمْ مِنْ بَنِي أحْمَدَ مَا كانَ فَعَل
لَعِبَتْ هَاشِمُ بِالمُلْكِ فَلا خَبَرٌ جَاءَ وَلا وَحْيٌ نَزَل [3]

وهل يشك أحد بعد ذلك في كفر يزيد بالمبدأ والعقيدة ووجوب اللعنة عليه !! [4]

لولا هذا الشقاق والنفاق والكفر والإلحاد لما تجرأ ذلك الرجل الشامي أن يطلب من يزيد ليهبه إحدى بنات رسول الله (ص) جارية !!

قالت فاطمة بنت الحسين (ع) : فلما جلسنا بين يدي يزيد رق لنا ، فقام إليه رجل من أهل الشام أحمر ، فقال : " يا أميرَ المؤمنين ، هَبْ لِي هذه الجارِيَة " – يعنيني – وكنت

---

[1] – عبدا... الزبعري هو ذلك المشرك الذي هجا رسول ا... (ص) في أشعاره ويذكر قتلى بني أمية يوم بدر ، وأنشد أشعارا بعد معركة أحد وشهادة حمزة (ع))

[2] – خندف هو الجد الثالث عشر ليزيد بن معاوية من أبيه .

[3] – الدمعة الساكبة : ج ٥ ص ١٠٦ ؛ بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١٣٣

[4] – لا يسعنا في هذا المجال طرح الأدلة القاطعة في كفر يزيد بن معاوية ، ولمزيد من التفاصيل راجع كتاب الدمعة الساكبة ج ٥ ص ٩٦ – ص ١٠٢

جارية وضيئة ، فأرعدت وظننت أن ذلك جائز لهم ، فأخذت بثياب عمتي زينب (ع) وقلت : " أوتِمْتُ وأستَخْدَم !! " ، فقالت زينب (ع) : " لا ولا كرامةَ لهذا الفاسِق " ، وكانت تعلم أن ذلك لا يكون ، فقالت للشامي : " كَذِبْتَ واللهِ ولَؤُمْتَ ، ما ذاكَ لَكَ ولا لَه " !!

فغضب يزيد وقال : " كذبت والله ، إنَّ ذَلِكَ لي ولو شِئْتُ أنْ أفْعَلَ لَفَعَلْت " !!

فقالت : " كَلاَّ واللهِ ما جَعَلَ اللهِ ذلك لَكَ إلاَّ أنْ تَخْرُجَ عَنْ مِلَّتِنا وتَدينَ بِغيرِ دينِنا " .

فاستطار يزيد غضبا وقال : " إيايَ تَستقبلينَ بهذا !! إنَّما خَرَجَ مِنَ الدينِ أبوكِ وأخوكِ " .

فقالت زينب (ع) : " بدينِ اللهِ ودينِ أبي ودينِ أخي اهتديتَ أنتَ وجدُّكَ وأبوكَ إنْ كُنتَ مسلماً " !!

قال : " كَذِبْتِ يا عَدُوَّةَ الله " .

قالت : " أنتَ أميرٌ تشتِمُ ظالماً وتقهرُ بسلطانِك " .

فكأنه استحيى وسكت ، فعاد الشامي وقال : هب لي هذه الجارية .

فقال له يزيد : " اعزب وَهَبَ اللهُ لَكَ حتفاً قاضياً "[1] .

دفاع زينب (ع) عن السجاد (ع) في مجلس يزيد

لما أدخل نساء الحسين (ع) والرأس بين يدي يزيد لعنه الله ، جعلت فاطمة وسكينة تتطاولان لتنظرا إلى الرأس ، وجعل يزيد يستره عنهما ، فلما رأينه صحن وأعلن البكاء فبكت لبكائهما نساء يزيد وبنات معاوية فولولن وأعولن ، (وفي منتخب التواريخ) فلاذتا بعمتهما زينب (ع) وقالتا : " يا عمتاه ، إن يزيداً ينكتُ ثنايا أبينا بقضيبه " !!

---

[1] - معالي السبطين : ج ٢ ص ١٦٣-ص ١٦٤ ، إرشاد المفيد :ص ٢٧٧ ،أعلام الورى (للطبرسي) :ص ٢٤٩ ، الاحتجاج (للطبرسي) : ج ٢ ص ٣٨ ، مع اختلاف في بعض الألفاظ .

فقامت زينب (ع) وشقت جيبها ونادت بلسان الحال :

أتَضرِبُها شَلَّتْ يَمينُكَ إنَّها   وُجوهٌ لِوَجْهِ الله طالَ سُجودُها [1]

وفي خبر نادت : " يا يزيد ارفعْ قضيبَك عن ثنايا طالما قَبَّلَهما رسول الله (ص) " .
والتفتت إلى أخيها الحسين (ع) تخاطب الرأس : " عزَّ عليَّ يا أخي ما يَجْري عليك " .

وفي هذا المجلس التفت يزيد إلى علي بن الحسين (ع) وقال له : كيف رأيت يا علي بن الحسين ؟!

قال (ع) : " رأيتُ ما قضاهُ الله عزَّ وجَلَّ قبلَ أن يَخْلُقَ السَماواتِ والأرض " .
فقال اللعين : الحمدلله الذي قتل أباك .
فقال علي بن الحسين (ع) : " لعنةُ الله عَلَى مَنْ قَتَلَ أبي " .
فغضب يزيد وأمر بضرب عنقه ، فقال علي بن الحسين (ع) : " فإذا قتلتني فبناتُ رسولِ الله مَنْ يردُّهُم إلى مَنازِلهم وليس لهم مَحْرَمٌ غيري ؟! "

وعن مقاتل الطالبيين : أن يزيد لعنه الله عزم على قتل علي بن الحسين (ع) فقام رجل شامي وقال : ائذن لي حتى أضرب عنقه .
فلما سمعت زينب (ع) بذلك ألقت بنفسها عليه وقالت : " يا يزيد ، حسبُكَ من دمائنا ما سَفَكْتَ " ، فقال زين العابدين (ع) : " إذا عزَمْتَ على قَتْلي فابعثْ مَنْ يَرُدُّ هؤلاء النسوةِ إلى المدينة " ، فرقَّ له وعفى عنه [2] .

وفي بعض نسخ كتاب أبي مخنف أن زينب (ع) صاحت في وجه يزيد وقالت :

---

[1] – معالي السبطين : ج ٢ ص ١٥٦

[2] – معالي السبطين : ج ٢ ص ١٥٩ – ص ١٦٠ ، الدمعة الساكبة : ج ٥ ص ١٠٥

" ويلك يا يزيد ، ما كفاك ما فعلت بنا وقد أرويت الأرض من دم أهل البيت عليهم السلام وقد بقي هذا الطفل ، أتريد أن تقطع نسل رسول الله صلى الله عليه وآله !! " [1] .

فصاحت النساء ينادين : " وا غوثاه !! يا جَبّارَ السماء !! ويا باسطَ البَطْحاء !! "
هنالك خاف يزيد الفتنة ، فانصرف عن قتل علي بن الحسين (ع) [2] .

خطبة العقيلة زينب (ع) في مجلس يزيد

اختلف المؤرخون في تحديد الموقف الذي أشعل الشرارة الأولى في قلب عقيلة بني هاشم وعلى أثره ألقت خطبتها الغراء في مجلس يزيد ، وهنالك ثلاثة أقوال مختلفة :

١ - قول يزيد بن معاوية لعنه الله لفاطمة بنت الحسين (ع) أن له الحق أن يسبيها لمّا طلبها ذلك الرجل الشامي : " إنّ ذَلِكَ لي ولو شِئْتُ أنْ أفْعَلَ لَفَعَلْتُ " !! ، مما أثار غضب بنت علي (ع) فألقت عليه تلك الخطبة النارية فقلبت مجلس يزيد رأسا على عقب .

٢ - حينما جعلت فاطمة وسكينة بنات الحسين (ع) تتطاولان للنظر إلى الرأس الشريف الذي وضع بين يدي الفاجر يزيد وهو ينكت ثنايا أبي عبدالله الحسين (ع) بقضيب في يده فبكتا حينما رأتا هذا المشهد ، هنالك بدأت زينب الكبرى (ع) بخطبتها أمام يزيد لعنه الله .

٣ - حينما دعا يزيد لعنه الله بقضيب خيزران فجعل ينكت به ثنايا الحسين (ع) ، ثم جعل يتمثل بأبيات عبدالله بن الزبعري (ومنها البيت الذي تعرضت لذكره عقيلة الطالبيين في

---

[1] - الدمعة الساكبة : ج ٥ ص ١١٦

[2] - الطراز المذهب : ص ٢٨٣ - ص ٢٨٤

خطبتها التي سنوردها فيما بعد) ، هنالك قامت زينب الكبرى (ع) وألقت خطبتها المشهورة في مجلس يزيد لعنه الله .

ودخلت سيدة الطف وعقيلة الهاشميين بنت أمير المؤمنين (ع) ميدان المعركة مع يزيد بكل ثقلها من البلاغة والفصاحة ، وضربت أمير الجور والفساد ضربة قاضية فبددت زيف هيبته وهشاشة جبروته .

متن خطبة زينب الكبرى (ع) في مجلس يزيد

" الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين [1] ، صدق الله سبحانه كذلك يقول : " ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون " [2] ، أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أن بنا على الله هوانا وبك عليه كرامة وأن ذلك لعظم خطرك عنده فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان مسرورا حيث رأيت الدنيا لك مستوثقة والأمور متسقة وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا ؟!! فمهلا مهلا ، أنسيت قول الله عز وجل : " ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب أليم " ؟! [3] ، أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن ، تحدو [4] بهن الأعداء من بلد إلى بلد ، ويستشرفهن [5] أهل المناهل

---

[1] – وردت في بعض الروايات (والصلاة على جدي سيد المرسلين)

[2] – سورة الروم : آية ١٠

[3] – سورة آل عمران : آية ١٧٨

[4] – تحدو : تسوق بهن سوقا شديدا

[5] – يستشرف الشيء : يرفع بصره ينظر إليه

والمناقل [1] ويتصفح وجوههن القريب والبعيد والدني والشريف ، ليس معهن من رجالهن ولي ولا من حماتهن حمي ، وكيف ترتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء ونبت لحمه من دماء الشهداء ، وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن والإحن [2] والأضغان ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم :

لأهلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا تشل

منتحيا على ثنايا أبي عبدالله سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتك ، وكيف لا تقول ذلك وقد نكأتَ [3] القرحة واستأصلتَ الشأفة [4] بإراقتك دماء ذرية محمد صلى الله عليه وآله ونجوم الأرض من آل عبدالمطلب ، وتهتف بأشياخك زعمت أنك تناديهم ، فلتردن وشيكا موردهم ولتودن أنك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت .

اللهم خذ لنا بحقنا وانتقم ممن ظلمنا واحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا.

فوالله ما فريت إلا جلدك ، وما حززت إلا لحمك ولتردن على رسول الله صل الله عليه وآله بما تحملت من سفك دماء ذريته وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته حيث يجمع الله شملهم ويلم شعثهم ويأخذ لهم بحقهم : " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون " [5] .

---

[1] – منقل : طريق في الجبل ، والمنقلة : مرحلة من مراحل السفر

[2] – الإحن : جمع إحنة وهي الحقد

[3] – نكأت : قشرت

[4] – الشأفة : قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب ، وإذا قطعت مات صاحبها

[5] – سورة آل عمران : آية ١٦٩

وحسبك بالله حاكما وبمحمد صلى الله عليه وآله خصيما وبجبرئيل ظهيرا ، وسيعلم من سوّل لك ومكنك من رقاب المسلمين ، " بئس للظالمين بدلا "[1] ، وأيكم " شر مكانا وأضعف جندا "[2] ، ولئن جرّت عليّ الدواهي مخاطبتك إني لأستصغر قدرك وأستعظم تقريعك وأستكثر توبيخك ، لكن العيون عبرى والصدور حرّى .

ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء ، فهذه الأيدي تنطف[3] من دمائنا والأفواه تتحلب من لحومنا ، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل[4] وتعفرها أمهات الفراعل[5] ، ولئن اتخذتنا مغنما لتجدنا وشيكا مغرما حين لا تجد إلا ما قدمت ، وما ربك بظلاّمٍ للعبيد ، فإلى الله المشتكى وعليه المعوّل .

فكِدْ كَيدَكَ واسْعَ سَعْيَكَ وناصِبْ جُهْدَكَ ، والله لا تَمْحو ذِكْرَنا ولا تُميتُ وَحْيَنا ولا تُدْرِكُ أمَدَنا ، ولا يَرْحَضُ عَنْكَ عارُها ، وَهَلْ رَأيُكَ إلاّ فَنَد[6] وأيّامُكَ إلاّ عَدَد وجَمْعُكَ إلاّ بَدَد ، يَومَ يُنادي المُنادي : " ألا لعنة الله على الظالمين "[7]

فالحَمْدُ لله الذي خَتَمَ لأوّلنا بالسَعادَةِ والمَغْفِرَة ولآخِرِنا بِالشَهادَةِ والرَحْمَة ، ونَسألُ الله أن يُكْمِلَ لهم الثوابَ ويوجِبَ لهم المزيدَ ويُحْسِنَ علينا الخِلافَة إنّه رحيمٌ ودود وحَسْبُنا الله ونِعْمَ الوَكيل "[8] .

---

[1] – سورة الكهف : آية ٥٠

[2] – سورة مريم : آية ٧٥

[3] – تنطف : بالكسر أو الضم أي تقطر

[4] – العواسل : الذئاب السريعة العدو

[5] – الفراعل : جمع فُرعل أي ولد الضبع

[6] – فند : الكذب وضعف الرأي

[7] – سورة هود : آية ١٨

[8] – الدمعة الساكبة : ج ٥ ص ١٠٦ – ص ١٠٨ ، بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١٣٣ – ص ١٣٥ اللهوف (للسيد ابن طاووس) : ص ١٨١ ، الطراز المذهب : ص ٣٨٦ – ص ٣٨٨ ، الاحتجاج (للطبرسي) : ج ٢ ص ٣٤ – ص ٣٥

أضواء على خطبة زينب (ع) في مجلس يزيد

تعتبر خطبة العقيلة زينب الكبرى (ع) في مجلس يزيد وثيقة تاريخية تفصح عن صراع الباطل مع الحق والظلام مع النور .

وعلى الرغم من تلك الظروف القاسية من القمع والإرهاب والمواقف الدنيئة من الشماتة والإذلال والأجواء السيئة من السبي والأسر ، إلا أن الصدِّيقة الصغرى زينب الكبرى (ع) وقفت وقفة الأبطال في ساحة الصراع متحدية رموز البغي والطغيان تدافع عن حق الرسالة والإمامة والولاية بكل ما تملك من قوى نفسية وروحية أعدتها وهيأتها لتلك المواجهة الصعبة بينها وبين الطاغية الظالم الملعون ابن الملعون يزيد بن معاوية .

لقد أعد يزيد مجلسه بكامل هيبته ليستعرض جبروته ويظهر انتصاره ويثبت حكمه ، وهو يظن أنه بقتل ريحانة الرسول وسبي حرائر النبوة وأسْر ثقل الإمامة قد تمكّن منهم وخمد نار ثورتهم ، ولكن تلك السيدة الجليلة التي ساقها الدهر لتقف موثقة بالحبال أمام الحاكم الجائر قلبت موازينه رأسا على عقب .

وفيما يلي نشير إلى أبرز ما ورد في هذه الخطبة الحامية البليغة :

١ – نظرة إلى حقيقة الواقعة :

كان يزيد ينظر إلى نتائج واقعة الطف حسب رؤيته المادية البحتة والبعيدة عن حقائق الأمور القائمة على المبادئ والقيم ، فكان يرى أن الانتصار الذي أحرزه في تلك الواقعة والتي انتهت بقتل سبط الرسول وانتهاك حرمته كان كافيا لإثبات أحقيته في الخلافة ومشروعيته في إمرة المسلمين ، ولكن العقيلة زينب (ع) أكدت أن هذه القوة والقدرة لم

تكن إلا ظنا منه لا أكثر حينما قالت له : (أظَنَنْتَ يَا يَزيد حَيْثُ أخَذْتَ عَلَينا أقْطارَ الأرضِ وآفاقَ السَماء) ، وأنها زائلة فانية حينما قالت : (مَهْلا مَهْلا ، لا تَطِشْ جَهْلا) وقولها : (وَهَلْ رأيُكَ إلا فَنَد وأيامُك إلا عَدَد وجَمْعُكَ إلا بَدَد) !! وكشفت عن زيف هذا الانتصار الذي لم يكن إلا في سخط الله عز وجل ، وأن الله تبارك وتعالى إنما يسوقهم بالاستدراج إلى زيادة الإثم لكي لا يبقى لهم حظ في الآخرة ومن ورائهم عذاب أليم ، فتُذَكِّره بالآية الكريمة : " ... إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ... " ، وأن الحسين (ع) وأصحابه الشهداء هم الأحياء والخالدون عند ربهم : " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون " .

٢- الصراع بين الهداية والضلالة :

كانت تلك الواقعة مظهرا للصراع الدائم بين الحق والباطل والعدل والجور والهداية والضلالة : (العَجَبُ كلُّ العَجَب لِقَتْلِ حِزْبِ الله النُجَباءِ بِحِزْبِ الشيطانِ الطُلَقاء) ، فأدانت العقيلة الهاشمية تلك الجرائم الوحشية التي ارتكبت بحق أهل البيت (ع) من قتل وسبي : (وَلَتَرِدَنَّ على رَسولِ الله بِما تَحَمَّلْتَ مِنْ سَفْكِ دِماءِ ذُرِّيَتِه وانْتَهَكْتَ مِن حُرْمَتِهِ فِي ذُرِّيَتِهِ وَلُحْمَتِه) ، وقطعت زينب (ع) الشك باليقين في كفر يزيد قائلة : (أنَسيتَ قولَ الله تعالى " ولا يحسبن الذين كفروا ... ") !!

٣- المقابلة بين أهل البيت النجباء وأبناء الطلقاء :

لم يدخر يزيد وأتباعه جهدا في تعبئة الجماهير ضد أهل بيت الوحي والرسالة وجنَّد جنوده لطمس حقائق الأمور وإخفائها عن أعين البسطاء والجهلاء وبنى مجلسه على هذا الأساس ، ولكن الحوراء الطاهرة (ع) هدمت كل ما بناه وأسقطته في الحضيض الأسفل من الذل

والاحتقار ، وأعلنت أن القيادة الإلهية انحصرت في أهل البيت الأطهار (ع) ، فكانوا هم القادة والسادة على أهل الأرض جميعا ، وتمثل ذلك في مختصر قولها : (وحِينَ صَفَا لَكَ مُلْكُنا وسُلْطانُنا) ، وأخذت تخاطب يزيد والأمة حاضرة معتزة بأمجاد أسرتها وآلها حيث تقول : (ذُرِّيَّة مُحَمَّدٍ ونُجوم الأرْضِ مِن آلِ عَبْدِالمُطَّلِب) ، وبينت للحاضرين أن تلك (الجُثَث الطَّواهِرِ الزَّواكِي) المرملة بأرض الطفوف لم تكن إلا جثث ذراري رسول الله يتوسطهم (سَيِّد شَبابِ أهْلِ الجَنَّة) !!

وفي المقابل تعرضت زينب (ع) إلى أسلاف يزيد المشركين منهم والمنافقين الذين كان يفخر بهم وبأفعالهم حينما جعل يقول : (ليت أشياخي ببدر شهدوا) ، فتوعدته زينب (ع) تنبئه بالنار التي أعدها الله للكافرين وبئس المصير : (وَتَهْتِفُ بِأشْياخِكَ زَعَمْتَ أنَّكَ تُناديهم فَلَتَرِدَنَّ مَوْرِدَهُم) ، وتذكره بأجداده ، فذاك جده أبو سفيان وهو من الطلقاء الذين أسلموا كرها ، فتناديه بنسبه وهي تقول : (أمِنَ العَدْلِ يا ابْنَ الطُّلَقاء) ، وتلك جدته هند آكلة الأكباد حقدا على رسول الله وذويه ، فلا غرابة أن يخرج من تلك الأصلاب الخبيثة والأرحام النتنة ولد فاسق فاجر مثل يزيد : (وكيف تُرْتَجَى مُراقَبَةُ مَنْ لَفَظَ فوهُ أكْبادَ الأزْكِياءِ وَنَبَتَ لَحْمَهُ مِنْ دِماءِ الشُّهَداء) !!

٤- جرأة وشجاعة

على الرغم من قسوة الظروف وجفائها وجور الحكومة الأموية وبطشها ، إلا أن زينب الكبرى بنت علي (ع) أظهرت جرأة وشجاعة لا مثيل لهما في تاريخ البشرية إلا في العترة الطاهرة حين وقفت أمام ذلك الحاكم الجائر المتجبر تحقره وتستخف به وهي أعلى شأنا وأرفع مقاما من أن تكلمه فتقول : (وَلَئِنْ جَرَّت عليَّ الدَّواهي مُخاطَبَتَكَ إنِّي لأسْتَصْغِرُ قَدْرَكَ وأسْتَعْظِمُ تَقْريعَكَ وأسْتَكْثِرُ تَوبيخَكَ) ، فلم تقم له وزنا ولم تثبت له قدرا .

٥- العدالة الإلهية :

رضيت زينب الكبرى (ع) بقدر الله وقضائه فصبرت على بلائه مؤمنة بعدالته ، فكانت ترى الأمور بعين الآخرة واثقة بعدل الله تبارك وتعالى : (وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ) ، وكانت تتوعد يزيد بسوء العاقبة وبئس المصير : (وَحَسْبُكَ بِاللهِ حاكماً وبمحمّدٍ خصيماً وبجبرئيل ظهيراً) وأنه لاحق بآبائه وأجداده المشركين والمنافقين : (وَتَهْتِفُ بِأَشياخِكَ زَعَمْتَ أَنَّكَ تُناديهم فَلَتَرِدَنَّ وَشيكاً مَورِدَهم) ، وداعية عليه : (اللهم خُذْ لنا بِحَقِّنا وانْتَقِمْ مِمَّنْ ظَلَمَنا واحْلُلْ غَضَبَكَ بِمَنْ سَفَكَ دماءَنا) .

٦- نتيجة الواقعة :

وفي ختام كلامها حكمت العقيلة الهاشمية على يزيد بالهزيمة النكراء والخسارة الأبدية : (لا يَرْحَضُ عَنْكَ عارُها) ، واللعنة الدائمة من رب العالمين : (يَوْمَ يُنادي المُنادي : ألا لعنةُ الله على الظالِمين) ، وأنه قد جنى على نفسه بما كسبت يداه : (حينَ لا تَجِدُ إلاّ ما قَدَّمَتْ يَداكَ) ، (فَوَاللهِ ما فَرَيْتَ إلا جِلْدَكَ ولا حَزَزْتَ إلا لَحْمَكَ) .
وأما أهل بيتها فهم في سعادة أبدية سرمدية : (الحَمْدُ لله رَبِّ العالَمين الذي خَتَمَ لأوَّلِنا بالسَّعادَةِ والمَغْفِرَةِ ولآخِرِنا بالشهادَةِ والرَّحْمَة) ، وتعلن ليزيد الذي جند كل قواه لطمس أنوار أهل البيت (ع) بأن عمله كان هباء منثورا : (فَوَاللهِ لا تَمْحو ذِكْرَنا ولا تُميتُ وَحْيَنا) ، ومهما حاول هو وأسلافه السابقين وأتباعه اللاحقين من إطفاء نور الحق المبين في آل رسول الله الطاهرين فالله متم نوره ولو كره الكافرون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

نعم ، وقع ما لم يكن يزيد يتوقعه ، لقد هزت زينب الكبرى (ع) المجلس بخطبتها الغراء هزا عنيفا حطمت به أحلامه وأبادت أوهامه ، فلم يجد بداً إلا أن يجيبها بقوله :

يا صيحة تحمد من صوائح ما أهون النوح على النوائح

كانت لخطبة زينب الكبرى (ع) وخطبة علي بن الحسين السجاد (ع) في مجلس يزيد بن معاوية الأثر العميق في نفوس أهل الشام ، فأيقظتهم من سباتهم ورقدتهم ، وعطلوا الأسواق وجددوا العزاء وأظهروا المصيبة لأهل العباء ، وقالوا : والله ما علمنا أنه رأس الحسين عليه السلام وإنما قيل أنه رأس خارجي خرج بأرض العراق !!

فلما سمع يزيد بذلك استعمل لهم الأجزاء من القرآن وفرّقها في المسجد ، فكانوا إذا صلوا وفرغوا من صلاتهم وضعوها بين أيديهم ليشتغلوا بها عن ذكر الحسين بن علي (ع) ، فلم يشغلهم عن ذكره شيئا [1] .

ثم أن يزيد لعنه الله كان قد أمر بصلب رأس الحسين (ع) على منارة جامع دمشق أربعين يوما وسائر الرؤوس على أبواب المساجد وأبواب البلد ، ولكن بعد تلك الخطب والاحتجاجات للعقيلة زينب (ع) والإمام السجاد (ع) استنكر الناس فعل يزيد ووقعت بينهم دمدمة وزمزمة عظيمة فخاف يزيد خوفا شديدا وغلبت عليه الخشية بحيث أمر برد رأس الحسين (ع) ورؤوس أصحابه إلى قصره واحترام الرأس [2] .

زينب الكبرى (ع) وأهل البيت في خربة الشام

قال الصدوق في الأمالي : ثم أن يزيد لعنه الله أمر بنساء الحسين (ع) فحبسن مع علي بن الحسين (ع) في محبس لا يكنُّهم من حرٍ ولا قرٍ حتى . تقشرت وجوههم [3] .

---

[1] ـ الدمعة الساكبة : ج ٥ ص ١٤٥

[2] ـ معالي السبطين : ج ٢ ص ١٨١

[3] ـ معالي السبطين : ج ٢ ص ١٦٦

وقال السيد ابن طاووس في اللهوف : ثم أمر بهم يزيد إلى منزل لا يكنهم من حر ولا برد فأقاموا به حتى تقشرت وجوههم وكانوا مدة إقامتهم ينوحون على الحسين (ع) [4] .

وفي بعض الأيام خرج السجاد (ع) من الخربة يتروّح ، فلقيه المنهال بن عمرو وقال له : كيف أمسيت يا ابن رسول الله ؟! قال (ع) : " أمْسَينا كَمَثَلِ بَنِي إسْرائيلَ في آلِ فِرْعَون يُذَبِّحونَ أبْناءَهُم ويَسْتَحْيونَ نِساءَهُم ، أمْسَت العربُ تفتخرُ على العَجَمِ بأنّ محمداً منها ، وأمْسَت قُريشٌ تفتخرُ على سائرِ العَرَبِ بأنّ محمداً منها ، وأمْسَينا مَعْشَرَ أهلِ بيتِهِ مَقتولين مُشَرّدين ، فإنّا لله وإنّا إليهِ راجِعون " [1] .

ثم قال (ع) : " يا مِنْهال ، الحَبْسُ الذي نحن فيه لَيس لَهُ سَقْفٌ والشَمْسُ تَصْهَرُنا ولا نَرَى الهَواءَ فَأفِرُّ منه سُوَيعَةً لِضَعْفِ بَدَني وأرْجِعُ إلى عَمّاتي وأخَواتي خَشْيَةً عَلَى النِساء " [2] .

قال المنهال : وبينما يكلمني إذ امرأة خرجت خلفه تقول له : " إلى أينَ يَا نِعْمَ الخَلَف ؟! " ، فتركني وأسرع إليها ، فسألت عنها قيل : هذه عمته زينب [3] .

نعم ، كانت السيدة زينب (ع) تهتم بالإمام زين العابدين (ع) أشد الاهتمام وترعاه ببصرها ولا تغفل عنه لحظة واحدة .

وأما قول زينب (ع) في السجاد (ع) : " يا نِعْمَ الخَلَف " تريد بذلك ترسيخ مفهوم الإمامة والولاية والمحافظة على هذا المقام الرفيع الذي حاول يزيد وزبانيته طمسها وإخفاءها .

---

[4] – معالي السبطين : ج ٢ ص ١٦٦

[1] – مثير الأحزان (لابن نما) : ص ٥٨ ، مقتل الحسين (للخوارزمي) : ج ٢ ص ٧٢ ، مقتل الحسين (للمقرم) : ص ٣٦٠

[2] – معالي السبطين : ج ٢ ص ١٦٧

[3] – الأنوار النعمانية : ص ٣٤٠

زينب (ع) ومصيبة رقية بنت الحسين (ع) في الخربة

ورد في كتاب (بحر المصائب – المجلد الثاني) : حينما أرسل ابن زياد السبايا من آل الرسول (ص) إلى الشام ، أمر يزيد أن يوقفوا أهل البيت (ع) على باب الشام [1] حتى يتم تزيين البلد بأنواع الزينة .

يقول حارث الشامي وهو أحد حرسة يزيد : في الليلة الأولى من دخول أهل البيت (ع) خربة الشام وبينما كان الحرسة نيام رأيت طفلة صغيرة من أسارى كربلاء تنظر يمينا وشمالا ، ولما رأت عسكر يزيد نيام وقد أنهكهم تعب الطريق وكان رأس الحسين (ع) معلقا على فرع شجرة ، تقدمت الطفلة إلى الرأس وكانت تقدم خطوة وتؤخر أخرى إلى أن جاءت ووقفت تحت تلك الشجرة ، فأخذت تكلم أباها وهي تبكي ، وفجأة رأيت الرأس قد هبط من علو الشجرة إلى أن استقر أمام الطفلة ، فجعلت الطفلة – واسمها رقية – تقول :

" السلام عليك يا أبتاه !! وا مصيبتاه بعد فراقك !! وا غربتاه بعد شهادتك !!

ثم رأيت الرأس يكلم الطفلة ويقول لها : " ابنتي ، لقد آن لمصائبك أن تنتهي ، ستأتينا عما قريب ، فاصبري على البلاء لكي تنالي الأجر ومقام الشفاعة " !!

يقول حارث الشامي : كان بيتي قريبا من تلك الخربة ، وانتظرت لكي أرى هل يتحقق ما قاله الرأس لتلك الطفلة وتلتحق بأبيها !! وفي ليلة من الليالي ارتفعت أصوات أهل البيت بالبكاء والنحيب ، ولما سألت عن ذلك قيل : أن رقية بنت الحسين (ع) قد ماتت !!

وروى البهائي في كامله ملخصا أن نساء أهل البيت (ع) أخفين عن الأطفال شهادة آبائهم وكان الحال على ذلك حتى أمر يزيد أن يدخلن داره وكان للحسين طفلة صغيرة لها أربع

---

[1] – يقول البهائي في كامله : أوقفوا أهل البيت (ع) على باب الشام ثلاثة أيام حتى يزينوا البلد بكل حلي وزينة ، ثم استقبلتهم من أهل الشام زهاء خمسمائة ألف من الرجال والنساء مع الدفوف وخرج الأمراء مع الطبول يرقصون ويضربون بالدفوف وقد تزين أهل الشام بأنواع الثياب والكحل والخضاب .

سنوات قامت ليلتها من منامها وقالت : أين أبي الحسين ؟! إني رأيته في المنام مضطربا شديدا !! فلما سمعت النسوة ذلك بكين وبكى معهن سائر الأطفال وارتفع العويل فانتبه يزيد من نومه وقال : ما الخبر ؟! فقصوا عليه القصة فأمر لعنه الله بأن يذهبوا برأس أبيها إليها فأتوا بالرأس الشريف وجعلوه في حجرها ، فقالت ما هذا ؟! قالوا لها : هذا رأس أبيك !! فصرخت الصبية وصاحت ومرضت وماتت في أيامها بالشام .

وأمر يزيد بغسلها وكفنها ودفنها [1] ، وفي رواية أن العقيلة زينب (ع) هي التي قامت بتجهيزها ولفها في ثوب ودفنها في جانب تلك الحظيرة الخربة .

وجاء في الكتاب المذكور (بحر المصائب) أنه حينما أتوا برأس الحسين (ع) ووضعوه بين يدي رقية (ع) قالت : " أبتاه ، أوفِ بعهدك وخذني معك " !! ، هنالك أوفى أبو عبدالله الحسين (ع) بعهده وأخذ ابنته إلى جواره في الرفيق الأعلى [2] .

هذه الفادحة الكبرى وقعت في مرآى من السيدة زينب (ع) ، تنظر إلى عزيزة أخيها وهي طفلة صغيرة تتألم في فراق أبيها ويشتد بكاؤها فتأخذها في حجرها وتسليها ، ولكنها ما لبثت أن رأت في منامها أبيها ففزعت تطلبه ، فلم تهدأ إلا وكانت بجوار أبيها (ع) !!

ورد في بعض الروايات : بينما كانت الغسالة تغسل البدن الطاهر لرقية (ع) توقفت عن الغسل ونادت : من هي راعية الأسرى ؟! قالت زينب (ع) : ماذا تريدين ؟! فقالت الغسالة : إني أرى أن بدن هذه الطفلة الصغيرة مسودا ، فأي داء كانت مبتلية به ؟! قالت زينب (ع) : إنها لم تكن مبتلاة بداء ولكن اسود متنها من أثر الضرب بالسياط !! [3]

---

[1] – معالي السبطين : ج ٢ ص ١٧٠

[2] – رياض القدس : ج ٢ ص ٣٢٥

[3] – الوقائع والحوادث : ج ٥ ص ٨١

اختلف المؤرخون في مدة إقامة أهل البيت (ع) في خربة الشام ، ولكن حسب ما جاء من الأخبار أن دخول أهل البيت (ع) الشام كان في الأول من شهر صفر ووفاة السيدة رقية بنت الحسين (ع) كان في الخامس من الشهر المذكور ، وعلى هذا نستنتج أن رقية (ع) أقامت في تلك الخربة أربعة أيام .

مجالس العزاء في الشام

كانت زينب (ع) ببصيرتها النافذة وإرادتها الصلبة تغتنم كل فرصة لبيان الأبعاد الحقيقية لمأساة أهل البيت (ع) ومظلوميتهم مما أثار تعاطف الجماهير معهم وسخطهم واستنكارهم على حكومة يزيد الجائرة .

وفي خبر أن زينب (ع) أرسلت إلى يزيد تسأله الإذن أن يقمن المأتم على الحسين (ع) فأجاز ذلك وأنزلهن في دار الحجارة ، وأقمن المأتم هناك سبعة أيام ، يجتمع عندهن في كل يوم جماعة كثيرة لا تحصى من النساء ، فقصد الناس أن يهجموا على يزيد في داره ويقتلوه ، فاطلع على ذلك مروان وقال ليزيد : لا يصلح لك توقف أهل بيت الحسين في الشام ، فأعد لهم الجهاز وابعث بهم إلى الحجاز [1] .

إن من يتأمل أفعال يزيد وأقواله وإعلانه الكفر والإلحاد يراه راضيا بقتل الحسين (ع) وسبي حريم رسول الله (ص) ، ولما عرف الناس هوية الأسرى والسبايا وأنهم من العترة الطاهرة وأن الرأس الشريف هو رأس سبط رسول الله (ص) كرهوا فعل يزيد واستنكروه ، بل لعنوه وسبوه ولما بلغ ذلك يزيد ندم على قتل الحسين (ع) بل نسب قتله إلى ابن زياد ولعنه بفعله ذلك .

---

[1] - معالي السبطين : ج ٢ ص ١٨٤

سخط هند على زوجها يزيد

لما قتل الحسين (ع) وأتوا بنسائه وبناته وأخواته إلى الشام ، قامت هند زوجة يزيد [1] – ولم يكن لها علم بقتل الحسين (ع) – ولبست أفخر ثيابها ، فلما رأتها الطاهرة زينب (ع) التفتت إلى أختها أم كلثوم (ع) وقالت لها : أخية ، هذي خادمتنا هند بنت عبدالله !!

فسكتت أم كلثوم (ع) ، ثم قالت هند : أخية من أي البلاد أنتم ؟!

فقالت لها زينب (ع) : من بلاد المدينة .

ثم قالت هند : أخية أريد أن أسألك عن بيت في المدينة .

قالت لها زينب (ع) : اسألي ما بدا لك .

قالت : أريد أن أسألك عن دار علي بن أبي طالب .

قالت لها الطاهرة زينب (ع) : وأين لك معرفة بدار علي (ع) ؟!

فبكت وقالت : إني كنت خادمة عندهم .

قالت زينب (ع) : وعن أيما تسألين ؟!

قالت : أسألك عن الحسين وإخوته وأولاده وأسألك عن سيدتي زينب وأختها أم كلثوم وعن بقية مخدرات فاطمة الزهراء .

---

[1] – يروى أن هند بنت عبدا... بن عامر بن كريز لما قتل أبوها بقيت عند أمير المؤمنين (ع) ولما قبض أمير المؤمنين بقيت في دار الحسن (ع) فسمع بها معاوية فأخذها من الحسن وزوجها من ولده يزيد ، وفي خبر أنها كانت تحت الحسين (ع) فطلقها وتزوجها يزيد .

فبكت عند ذلك زينب (ع) بكاء شديدا وقالت لها : يا هند ، أما إن سألت عن دار علي (ع) فقد خلفناها تنعى أهلها ، وأما إن سألت عن الحسين (ع) فهذا رأسه بين يدي يزيد ، وأما إن سألت عن العباس وعن بقية أولاد علي (ع) فقد خلفناهم على الأرض مجزرين كالأضاحي بلا رؤوس ، وإن سألت عن زين العابدين (ع) فها هو عليل نحيل لا يطيق النهوض من كثرة المرض والأسقام ، وإن سألت عن زينب فأنا زينب بنت علي وهذي أم كلثوم وهؤلاء بقية مخدرات فاطمة الزهراء !!

فلما سمعت هند كلام زينب (ع) رقت وبكت ونادت : وا إماماه !! وا سيداه !! وا حسيناه !! ليتني كنت قبل هذا اليوم عمياء ولا أنظر إلى بنات فاطمة الزهراء على هذه الحالة !!

ثم تناولت حجرا وضربت به رأسها فسال الدم على وجهها ومقنعتها وغشي عليها ، فلما أفاقت من غشيتها أتت إليها الطاهرة زينب (ع) وقالت لها : يا هند قومي واذهبي إلى دارك لأنني أخشى عليك من بعلك .

فقالت : والله لا أذهب حتى أنوح على سيدي ومولاي أبي عبدالله وحتى أدخلك وسائر النساء الهاشميات معي داري .

فقامت وحسرت رأسها وشقت الثياب وهتكت الستر وخرجت حافية إلى يزيد وهو في مجلس عام وقالت : يا يزيد !! أأنت أمرت رأس الحسين (ع) يشال على الرمح عند باب الدار ؟!

فوثب إليها يزيد وغطاها وقال : نعم فاعولي يا هند وابكي على ابن بنت رسول الله وصريخة قريش ، فقد عجّل عليه ابن زياد لعنه الله فقتله قتله الله .

فلما رأت هند أن يزيد غطاها ، قالت : وَيلَكَ يا يَزيد !! أخَذَتْكَ الحَمِيَّةُ عَلَيَّ !! فَلِمَ لا أخَذَتْكَ الحَمِيَّةُ عَلَى بَناتِ فاطِمَة الزَهْراء !! هَتَكْتَ سُتورَهُنَّ وأبْدَيْتَ وُجوهَهُنَّ وأنْزَلْتَهُنَّ في دارٍ خَرِبَة !! والله لا أدْخُلُ حَرَمَكَ حَتَّى أُدْخِلَهُنَّ مَعي .

وأمر يزيد بهم إلى منزله وأنزلهم في داره الخاصة ، فلما دخلت النسوة استقبلتهن نساء آل أبي سفيان وقبّلن أيدي بنات رسول الله وأرجلهن ، ونُحن وبكين وألقين ما عليهن من الثياب والحلي وأقمن المأتم ثلاثة أيام [1] .

تجهيز المحامل وخروج أهل البيت (ع) من الشام

في منتخب التواريخ : لما كان اليوم الثامن من الأيام التي ناحوا فيها على الحسين (ع) دعاهن يزيد وعرض عليهن المقام ، فأبين وأردن الرجوع إلى المدينة ، فأحضر لهن المحامل وزينها وأمر بالأنطاع الإبريسم وصب عليها الأموال [2] ، ولما أراد أن يجهزهم قال للنعمان بن بشير صاحب رسول الله (ص) : جهز هؤلاء النسوة بما يصلحهم وابعث معهم رجلا من أهل الشام أمينا صالحا وابعث معهم خيلا وأعوانا ، ثم كساهم وحباهم وفرض لهم الأرزاق ، ثم أوصى بهم الرسول أن يسيروا بهم في الليل ويرفقوا بهم [3] .

ولكن السيدة زينب (ع) بحدة ذكائها ونفاذ بصيرتها وحسن تدبيرها رأت أن هذه اللفتة من يزيد بن معاوية من تزيين المحامل والهوادج ليست إلا لصرف الأنظار عن لب القضية وتلويث النهضة بزيف المظاهر الخداعة ، هنالك صاحت زينب (ع) وقد أحاطتها الهيبة والجلال وقالت :

---

[1] – معالي السبطين : ج ٢ ص ١٧٣ – ص ١٧٥

[2] – الدمعة الساكبة : ج ٥ ص ١٥٤

[3] – معالي السبطين : ج ٢ ص ١٨٩ ، ورد سابقا (في الفصل الأول بباب إنفاق زينب (ع) وإحسانها على الفقراء والمساكين) ذكر قصة الرجل الشامي الذي أرسل مع أهل البيت (ع) ومعاملته الطيبة وملاطفته بأهل البيت (ع) حتى أدخلهم المدينة ، وكيفية رد الجميل من زينب (ع) وأختها فاطمة بنت علي لهذا الرسول ، فتحاشيا للتكرار راجع .

" اجْعَلوها سَوداءَ حَتّى يَعْلَمَ الناسُ إنّا في مُصيبَةٍ وَعَزاءٍ لِقَتْلِ أولادِ الزَهْراء "[1].

مرور أهل البيت (ع) بكربلاء

خرج موكب النور والولاية من الشام يحمل معه بنات الرسالة والوحي يتقدمهم فخر الساجدين وزين العابدين (ع) مخلفين وراءهم مدينة كئيبة تموج في الظلمات .

مر الموكب على منازل كثيرة في طريقهم إلى المدينة ، وفي كل منزل من تلك المنازل كانت زينب (ع) تقيم المأتم والعزاء على أخيها الحسين (ع) ، وتغتنم كل فرصة تعرب فيها عن أليم المصاب إثر الفاجعة الكبرى التي حلت بأهل بيت الرسول (ص)[2].

كان من المقرر أن يرحل أهل البيت (ع) من الشام إلى المدينة ، ولكن الإمام السجاد (ع) والسيدة زينب (ع) عزما على أن يمر الركب على كربلاء تجديدا للعهد لزيارة أبي عبدالله الحسين (ع) وإحياء لذكراهم الخالدة .

يقول السيد ابن طاووس في اللهوف على أهل الطفوف : لما رجع أهل بيت الحسين (ع) ونساؤه وعياله من الشام وبلغوا العراق قالوا للدليل مرّ بنا على طريق كربلاء ، فوصلوا إلى موضع المصرع فوجدوا جابر بن عبدالله الأنصاري (رض) وجماعة من بني هاشم ورجالا من آل رسول الله (ص) قد وردوا لزيارة قبر الحسين (ع) ، فوافوا في وقت واحد ، وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم وأقاموا المآتم المقرحة للأكباد واجتمع إليهم نساء ذلك السواد فأقاموا على ذلك أياما[3] ، فخرجت زينب (ع) في الجمع وأهوت إلى جيبها فشقته ونادت بصوت حزين

---

[1] – الخصائص الزينبية : ص ٢٩٦

[2] – الخصائص الزينبية : ص ٢٩٦

[3] – معالي السبطين : ج ٢ ص ١٩٠ ، وفي الدمعة الساكبة أنهم أقاموا المآتم ثلاثة أيام .

يقرح القلوب : " وا أخاه !! وا حُسَيناه !! وا حَبيبَ رَسولِ الله !! وا ابْنَ مَكّةَ وَمِنًى !! وا ابْنَ فَاطِمَةَ الزَّهْراء !! وا ابْنَ عَلِيٍّ المُرْتَضَى !! آه ثم آه !!

ووقعت مغشيا عليها ، واجتمعن النساء فرششن عليها الماء حتى أفاقت كأني بها تقول بلسان الحال :

يَا نَازِلِينَ بِكَرْبَلا هَلْ عِنْدَكُم	خَبَرٌ بِقَتْلانَا وَمَا أعْلامُهَا
مَا حَالُ جُثّةِ مَيّتٍ فِي أرْضِكُم	بَقِيَت ثَلاثاً لا يُزارُ مَقَامُهَا
بِالله هَلْ رُفِعَتْ جَنَازَتُهُ وَهَلْ	صَلّى صَلاةَ المَيّتِينَ إمَامُهَا
بِالله هَلْ وارَيْتُموها فِي الثّرَى	وَهَلْ اسْتَقَرّتْ فِي اللّحُودِ رِمَامُهَا
يَا جُثّةً مَا شُيّعَتْ يَوماً وَلا	نَحْوَ القُبورِ سَعَتْ بِهَا أقْدامُهَا [1]

قضت زينب (ع) ثلاثة أيام بلياليها في كربلاء ترثي أخاها الحسين (ع) وتجدد أحزانها وتشكو له حالها وما جرى عليها وعلى أهل بيته بعد فراقه .

ولله در القائل عن لسانهم :

فَنَاحَ لِسانُ حالِ بَنَاتِ طَهَ	وَهُنَّ مِنَ الكَآبَةِ يَرْتَمِينَا
فَقَدْنَا هَهُنَا رَوْحاً وَرُوحاً	وَرَيْحاناً وَزَيْتُوناً وَتِينَا
فَقَدْنَا هَهُنَا قَمَراً مُضِيئاً	بِنُورِ هُدَاهُ يَهْدِي التَّائِهِينَا [2]

لم يجد السجاد (ع) بداً من الرحيل من كربلاء إلى المدينة بعدما أقام فيها ثلاثة أيام ، لأنه رأى عماته ونساءه وصبيته لاهثات الليل والنهار يقمن من قبر ويجلسن عند آخر [3] .

---

[1] – معالي السبطين : ج ٢ ص ١٩٧ – ص ١٩٨ نقلا عن الدمعة الساكبة

[2] – معالي السبطين : ج ٢ ص ١٩٩ ، ويعني بالقمر المضيء الحسين (ع) الذي إذا جلس في البيت المظلم يهتدي الناس بنور جبينه ، ونور الحسين من نور عظمة ا... وجلاله وشعاع كبريائه وبهائه ، والتين كما فسر هو الحسن (ع) والزيتون هو الحسين (ع) ، وإن لم يكن الحسن حاضرا بالطف لكن حضر من أولاده أربعة .

[3] – مقتل الحسين (للمقرم) : ص ٣٧٢

نعم ، إن مأساة كربلاء والأحداث التي أعقبتها لم تكن وليدة الصدفة بالنسبة للعقيلة زينب الكبرى (ع) ، بل كانت على علم مسبق وإدراك عميق لهذه الواقعة الأليمة ، فأعدت نفسها الطاهرة لقبول ما يجري عليها من حكم الله وقضائه ، ونظرت إليه بعين الاطمئنان واليقين وعلمت أن ابتلاءها بمصائب كربلاء إنما هي نعمة من الله خصها بها دون غيرها ، فكانت الشاكرة لنعمائه والحامدة لآلائه متقربة إليه بقبول بلائه ، وتجاوزت كل العقبات التي حاولت أن تعيقها عن إتمام دورها البطولي بقلب ملؤه العرفان والإخلاص واليقين تشارك أخاها الحسين (ع) جنبا إلى جنب في نهضته المقدسة ضد تيار الظلم والجور حتى تبلغ شعاراته السامية غايتها .

دخول زينب (ع) وأهل البيت إلى المدينة

انفصل أهل البيت (ع) من كربلاء طالبين المدينة وعلى رأسهم الإمام السجاد (ع) والسيدة زينب (ع) ، وكلما اقتربوا من المدينة المنورة زاد حزنهم واشتد بكاؤهم .

لقد خرجت زينب (ع) من المدينة معززة مكرمة بصحبة سيد شباب أهل الجنة وإخوته وبنيه وبني عمومته ، واليوم تدخلها قد أحيطت بجمع من الأرامل واليتامى .

قال بشير بن حذلم : لما قربنا من المدينة نزل علي بن الحسين (ع) وحط رحله وضرب فسطاطه وأنزل نساءه ، وقال : يا بشير رحم الله أباك لقد كان شاعرا ، فهل تقدر على شيء منه ؟! قلت : بلى يا ابن رسول الله إني لشاعر ، فقال (ع) : ادخل المدينة وانع أباعبدالله (ع) .

قال بشير : فركبت فرسي حتى دخلت المدينة فلما بلغت مسجد النبي (ص) رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت :

يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ بِهَا	قُتِلَ الحُسَيْنُ فَأَدْمُعِي مِدْرَار
الجِسْمُ مِنْهُ بِكَرْبَلاءِ مُضَرَّجٌ	وَالرَّأسُ مِنْهُ عَلَى القَنَا يُدَار

ثم قلت : هذا علي بن الحسين (ع) مع عماته وأخواته قد حلوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم وأنا رسوله إليكم أعرفكم بمكانه .

قال : فما بقيت في المدينة مخدرة ولا محجبة إلا برزن من خدورهن مكشوفة شعورهن مخمشة وجوههن ضاربات خدودهن يدعون بالويل والثبور [1] .

وأما زينب (ع) (أم كلثوم الكبرى) [2] حين لمحت ببصرها أعتاب المدينة اغتمت وحزنت وجعلت تبكي وتنوح وأنشأت أبياتا من الشعر (ما يقارب الأربعين بيتا) من جملتها :

مدينة جدنا لا تقبلينا	فبالحسرات والأحزان جينا
ألا فاخبر رسول الله عنا	بأنا قد فجعنا في أبينا
خرجنا منك بالأهلين جمعا	رجعنا لا رجال ولا بنينا
وكنا في الخروج بجمع شمل	رجعنا حاسرين مسلبينا
وكنا في أمان الله جهرا	رجعنا بالقطيعة خائفينا
ومولانا الحسين لنا أنيس	رجعنا والحسين به رهينا
فنحن الضائعات بلا كفيل	ونحن النائحات على أخينا
ألا يا جدنا قتلوا حسينا	ولم يرعوا جناب الله فينا
ألا يا جدنا بلغت عدانا	مناها واشتفى الأعداء فينا
لقد هتكوا النساء وحملوها	على الأقتاب قهرا أجمعينا [3]

[1] – الدمعة الساكبة : ج ٥ ص ١٥٨

[2] – مقتل الحسين (للمقرم) : ص ٤٧٢ ، وكما ذكرنا سابقا أن في كثير من الموارد التي ذكر فيها اسم أم كلثوم فالمعنية هي زينب (ع) زكنيتها ام كلثوم ، وفي هذا المورد أيضا يقول العالم المحقق السيد عبدالرزاق المقرم أن هذه الأشعار منسوبة إلى السيدة زينب (ع)

[3] – نفس المهموم : ص ٢٧٥

نحيب زينب (ع) عند دخول المدينة

ورد أن زينب (ع) حينما وصلت إلى المدينة أخرجت رأسها من المحمل ونادت في النساء والأطفال : " انزلوا من الهوادج ، فإني أرى الروضة المنورة لجدي رسول الله (ص) " .

ثم ناحت وبكت بكاء شديدا حتى كادت نفسها تخرج ، فأقبل الناس من كل ناحية يندبون ويلطمون ، وارتفعت الأصوات بالبكاء ، وضجت تلك البقعة ضجة شديدة كأن الأرض زلزلت تحت أقدامهم .

ثم مالت ببصرها إلى كربلاء وأخذت تكلم أخاها الحسين (ع) وتقول : " أخي حسين !! هؤلاء جدك وأمك وأخوك وأهل بيتك ينتظرون قدومك !! يا نور عيني !! قُتلت وأورثتنا الأحزان الطويلة ، فيا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا "[1] .

زينب (ع) عند قبر جدها رسول الله (ص)

ولما اقتربت فخر المخدرات زينب (ع) من المسجد النبوي الشريف ووقع طرفها على قبر رسول الله (ص) صرخت وبكت وأخذت بعضادتي باب المسجد ونادت : " يَا جَدّاه !! إنّي

---

[1] ـ رياحين الشريعة : ج ٣ ص ٢٠٤

نَاعِيَةً إِلَيكَ أخي الحُسين (ع) " [1] ، وهي مع ذلك لا تجف لها عبرة ولا تفتر من البكاء والنحيب وكلما نظرت إلى علي بن الحسين (ع) تجدد حزنها وزاد وجدها [2] .

ولم تبرح مكانها بالقرب من قبر جدها رسول الله (ص) وهي تنوح وتقول :

إن كنت أوصيت بالقربى بخير جزاء — فإنهم قطعوا القربى وما وصلوا

حتى أبادوهم قتلى على ظمأ — من بارد الماء ما ذاقوا وما وصلوا [3]

ملاقاة زينب (ع) بأم البنين

يروى أنه حينما دخل أهل البيت (ع) المدينة أقبلت أم البينن – أم العباس بن علي (ع) – إلى زينب (ع) وقالت : يا ابنة أمير المؤمنين (ع) ، أين أولادي ؟!

فقالت زينب (ع) : قد قتلوا جميعا .

فقالت أم البنين : أرواحهم لروح الحسين فداء ، أين ولدي الحسين ؟!

فقالت زينب (ع) : قتلوه عطشانا !!

لما سمعت أم البنين ذلك ضربت بيديها على رأسها وجعلت تصرخ وتنادي: " وا حسيناه !!

ثم قالت لها زينب (ع) : أتيتك بذكرى من ولدك العباس (ع) .

فقالت أم البنين : وما هي ؟!

فأخرجت زينب (ع) ترس أبي الفضل العباس والملطخ بدمه الزاكي من تحت إزارها ، ولما رأت أم البنين ذلك تفطر قلبها حزنا ولم تتحمل فوقعت مغشيا عليها [4] .

---

[1] – طبقا لبعض الروايات أنها (ع) قالت : " إني ناعية إليك ولدك الحسين " الخصائص الزينبية : ص ٢٩٧

[2] – نفس المهموم : ص ٢٧٥ ، الدمعة الساكبة : ج ٥ ص ١٦١ ، بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ١٩٨ ، معالي السبطين : ج ٢ ص ٢٠٩

[3] – تذكرة الشهداء (للملا حبيب ا... الكاشاني) : ص ٤٤٢

[4] – تذكرة الشهداء : ص ٤٤٣

زينب (ع) تذكر مصيبة رقية بنت الحسين (ع) في المدينة

يروى أنه حينما رجعت زينب الكبرى (ع) إلى المدينة ، أقبلت إليها نساء المدينة يعزونها ، وأخذت زينب (ع) تبين لهم الوقائع المؤلمة التي ألمت بأهل البيت (ع) في كربلاء والكوفة والشام ، وهن يبكين وينحن ، إلى أن وصلت إلى ذكر مصيبة رقية (ع) فقالت :
" وأما مصيبة وفاة رقية في خربة الشام فقد احدودب لها ظهري وشاب رأسي " .
فلما سمعت النساء ذلك زاد بكاؤهن ونحيبهن [1] .

حديث زينب (ع) عند قبر أمها الزهراء (ع)

يروى أن زينب (ع) أقبلت ومن معها إلى قبر أمها فاطمة الزهراء (ع) (أي حدود موضع قبرها (ع)) وبكوا هنالك بكاء عاليا وكأنه يوم المحشر ، وأخذت زينب (ع) تنادي : أماه !! أماه !! حتى خرت مغشيا عليها ، ولما أفاقت قالت : " أماه !! لقد ضربوني بالسياط حتى جرحوا متني " ، ثم قالت : " لقد أتيتك بقميص الحسين " [2] .

ويروى أيضا أنها (ع) أقبلت إلى قبر أمها فاطمة الزهراء (ع) ورمت بنفسها على القبر وغشي عليها فلما أفاقت قامت وهي تقول :

أفاطم ما لقيت من عداك	ولا قيراط مما لقينا
أفاطم لو نظرت إلى السبايا	بناتك في البلاد مشتتينا

---

[1] ـ ناسخ التواريخ : ص ٥٠٢

[2] ـ مقتبس من مقتل الحسين (لأبي مخنف) : ص ٢٠٦ ، يقول ابن طاووس في اللهوف : وجد في ذلك القميص مائة وبضع عشر ما بين رمية وطعنة وضربة)

أفاطم لو نظرت إلى اليتامى ولو أبصرت زين العابدينا
فلو دامت حياتك لم تزالي إلى يوم القيامة تندبينا [1]

كانت السيدة زينب الكبرى (ع) هي المبادرة في إقامة مجالس العزاء لأخيها الحسين (ع) ، وبهذا تمكنت من استثارة عواطف الناس ضد بني أمية والظالمين لأهل البيت (ع) .

إقامة مجالس العزاء في المدينة

على الرغم أنه بعد واقعة الطف كان أهل المدينة وعلى الخصوص بني هاشم في عزاء دائم على أبي عبدالله الحسين (ع) ، إلا أن بعد دخول أهل البيت (ع) المدينة أقام الرجال والنساء خمسة عشر يوما عزاء رسميا وشعبيا يندبون فيه الحسين (ع) وأهل بيته [2] .

قضت زينب (ع) باقي أيام حياتها في البكاء والنحيب وإقامة المآتم على أخيها الحسين (ع) لا ترقأ لها دمعة ولا تهدأ لها زفرة ، وكرست كل طاقاتها في أداء دورها الرسالي في تأجيج الثورة ضد الحكم الأموي الظالم ، وبيان عمق المأساة وهول المصيبة التي أصيب بها قربى رسول الله (ص) .

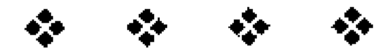
وعلى الرغم أن زينب (ع) لم تتجاوز السادسة والخمسين من عمرها إلا أنه من عظم الفاجعة وقسوة الأحداث التي شهدتها احدودب ظهرها من الحزن وشاب رأسها من الغم .

يذكر السيد الشريف يحيى بن الحسن المعروف بالعبيدلي النسابة : أن السيدة زينب (ع) وهي في المدينة كانت تؤلب الناس على القيام بأخذ ثأر الحسين (ع) ، فكتب والي المدينة

---

[1] ـ معالي السبطين : ج ٢ ص ٢١٠ (المذكورة هي ام كلثوم وهي كنية زينب (ع))
[2] ـ الدمعة الساكبة : ج ٥ ص ١٦٢ نقلا عن مقتل الحسين (لأبي مخنف)

عمرو بن سعيد الأشدق إلى يزيد يعلمه بالخبر ، فكتب إليه يزيد أن فرّق بينها وبين الناس ، فأمرها الوالي بالخروج من المدينة ، فأبعدت إلى مصر [1] .



[1] ـ أخبار الزينبيات (للعبيدلي) : ص ١٤

الفصل الرابع

مرقد زينب الكبرى

عليها السلام

وبعض كراماتها

وفاة السيدة زينب الكبرى (ع)

وحان الأجل الموعود للقاء رب الملك والملكوت ، فأسلمت روحها الطاهرة لبارئها راضية بقضائه مرضية بجزيل عطائه منعمة بجنة لقائه والحشر مع أحبائه وأوليائه ، عرجت روحها الزكية من دناءة الدنيا الفانية إلى سعادة الآخرة الأبدية بعد أن تجرعت غصص الآلام والأحزان صابرة محتسبة .

اختلف المؤرخون في تحديد يوم وفاة سيدتنا العقيلة زينب الكبرى (ع) ، وحسب تتبعنا للروايات والأخبار الواردة يمكن ترجيح أحد القولين التاليين :

١ – القول المعروف بين أغلب المؤرخين أنها لم تعش بعد استشهاد أخيها الحسين (ع) أكثر من سنة ونصف السنة وتاريخ وفاتها هو النصف من شهر رجب عام ٦٢ من الهجرة [1] .

٢ – هناك قول آخر أنها توفت يوم الخامس عشر من رجب عام ٦٥ من الهجرة ، أي أنها عاشت بعد أخيها الحسين (ع) أربع سنوات وستة أشهر وخمسة أيام [2] .

وهناك أقوال أخرى منها :

أنها توفت يوم الأحد الخامس من رجب عام ٦٢ من الهجرة .

وقول آخر أن بعد رجوع أهل البيت (ع) من الشام إلى المدينة بأربعة أشهر توفت السيدة أم كلثوم (ع) وبعد وفاة السيدة أم كلثوم (ع) بثمانين يوما توفت السيدة زينب (ع) [3] .

---

[1] – أخبار الزينبيات (للعبيدلي المتوفى عام ٢٧٧ هـ) : ص ٣٠ (طبع محمد جواد المرعشي)

[2] – مع بطلة كربلاء (محمد جواد مغنية) : ص ٢٣٨ (طبعة ١٩٧٣)

[3] – رياحين الشريعة : ج ٣ ص ٣٣

ويمكن مطابقة القول الأخير مع القول الأول مع العلم بعدم تحديد تاريخ دخول أهل البيت (ع) المدينة .

وإذا قبلنا بالقول الأول (النصف من رجب عام ٦٢ هـ) وإذا كان يوم مولدها (ع) في السنة السادسة من الهجرة ، على هذا يكون عمرها عند وفاتها ٥٦ عاما وبضع شهور ، وعمرها حينما كانت في كربلاء ٥٥ عاما .

بكاء صاحب الزمان (عج) والملائكة في ذكرى وفاة زينب (ع)

ورد في كتاب (الخصائص الزينبية) للمرحوم آية الله السيد نور الله الجزائري (المتوفى عام ١٣٨٤ هجرية) : أن العالم الحكيم والمحدث الخبير الشيخ محمد باقر القاليني - صاحب الكبريت الأحمر - ذكر في كتابه (الكشكول) :

كنت في النجف الأشرف مشغولا بتحصيل العلوم الحوزوية ، رأيت سيدا زاهدا ورعا ولكنه كان أميا لا يعرف القراءة والكتابة ، كان يوما من الأيام يزور أمير المؤمنين علي (ع) في حرمه الشريف ، فرأى بين الزائرين رجلا تركيا جالسا في جانب من الحرم المطهر يتلو القرآن ، تأثر هذا السيد الجليل من هذا المشهد وقال في نفسه : هل يليق بك أن ترى هذا الرجل التركي يتلو القرآن وهو كتاب جدك رسول الله (ص) وأنت محروم من ذلك !!

فجعل السيد شطرا من يومه في سقاية زوار الحرم الشريف لكسب العيش وشطرا آخر لتحصيل العلوم الدينية ، وبمرور الزمان وصل إلى حد من التعليم أنه كان يشارك في درس الخارج لآية الله العظمى الميرزا محمد حسن الشيرازي (المتوفى سنة ١٣١٢ هجرية) ، ويعتقد أنه وصل إلى مرحلة الاجتهاد .

هذا السيد الجليل نقل لي هذه الرواية :

رأيت في عالم الرؤيا صاحب الأمر وولي العصر (عج) وكان مكتئبا حزينا ، تشرفت بمحضره وسلمت عليه ثم قلت له : سيدي !! لم هذا البكاء والحزن ؟! فقال (ع) : اليوم ذكرى وفاة

عمتي زينب (ع) ، والملائكة في مثل هذا اليوم من كل عام يقيمون العزاء في السماوات ويقرأون خطبتها التي ألقتها في جموع أهل الكوفة ويبكون ، ولا يفترون عن البكاء حتى أذهب إليهم وأسكنهم[1] .

وعلى هذا ، فمن الجدير أن يذكر المؤمنون مصائب سيدة الطف زينب الكبرى (ع) في يوم وفاتها (الرابع عشر أو الخامس عشر من رجب) ، ويشاركون الملائكة وإمام العصر والزمان (عج) أحزانهم بإقامة المآتم ومجالس العزاء .

أين دفنت السيدة زينب الكبرى (ع) ؟!

اختلف المؤرخون حول مرقد السيدة زينب الكبرى (ع) على ثلاثة أقوال :

١ – في مقبرة البقيع في المدينة المنورة

٢– في مدينة القاهرة بمصر

٣– في قرية راوية بغوطة دمشق (تبعد سبعة كيلومترات جنوب شرقي دمشق) ، وهي الآن متصلة بدمشق العاصمة ، ولها فيها مشهدا ملكوتيا مجللا يقصده آلاف الزائرين من جميع أقطار العالم .

اختلفت آراء المحققين والباحثين في مرقد السيدة زينب الكبرى (ع) ، ولكن ثبت للكاتب بعد التحقيق وتتبع الروايات والقرائن والمصادر أن المرقد المطهر للسيدة زينب الكبرى (ع) في الشام ولا اعتبار في القولين الأولين .

ولا يخفى على القاريء الكريم أن البحث في هذا المجال طويل ، ولكن نقدم له ما قيل في ذلك بصورة مختصرة :

---

[1] – مقتبس من الخصائص الزينبية : ص ٢١١ – ص ٢١٢

مرقد السيدة زينب (ع) في المدينة

يعتقد البعض أن السيدة زينب (ع) بعد فاجعة كربلاء دخلت المدينة المنورة ولم تخرج منها إلى أن توفت فيها ودفنت في مقبرة البقيع ، ولا يرون أن هناك دليل مقنع وقاطع بخروجها من المدينة ، وذهب إلى هذا الرأي العلامة السيد محسن الأمين (ره) وذلك بالاستناد إلى بعض الأدلة .

مرقد السيدة زينب (ع) في مصر

ومن جملة الذين يؤيدون هذا القول السيد العبيدلي وابن طولون وابن عساكر والشعراني والشبلنجي والشيخ جعفر النقدي .

وكما أشرنا سابقا أن السيدة زينب (ع) بعد رجوعها من الشام إلى المدينة كانت تؤلب الناس على القيام بأخذ ثأر الحسين (ع) ، فكتب والي المدينة عمرو بن سعيد الأشدق إلى يزيد يعلمه بالخبر ، فكتب إليه يزيد أن فرّق بينها وبين الناس ، فأمرها الوالي بالخروج من المدينة إلى حيث شاءت ، فأبت الخروج من المدينة وقالت : " قد علم الله ما صار إلينا قتل خيرنا ، وسقنا كما تساق الأنعام وحملنا على الأقتاب ، فوالله لا أخرج وإن أهرقت دماؤنا " ، فقالت لها زينب بنت عقيل : " يا ابنة عماه ، قد صدقنا الله وعده وأورثنا الأرض نتبوأ منها حيث نشاء ، فطيبي نفسا وقري عينا وسيجزي الله الظالمين ، أتريدين بعد هذا هوانا ، ارحلي إلى بلد آمن " .

ثم اجتمع عليها نساء بني هاشم وتلطفن معها في الكلام فاختارت مصر ، وخرج معها من نساء بني هاشم فاطمة وسكينة بنات الحسين (ع) ، فاستقبلها الوالي مسلمة بن مخلد الأنصاري في جماعة معه ، فأنزلها داره بالحمراء ، فأقامت به أحد عشر شهرا وخمسة عشر يوما وتوفيت عشية يوم الأحد لخمسة عشر يوما مضين من رجب سنة اثنين وستين من

الهجرة [1] ، ولها الآن في القاهرة مشهد عظيم يسمى بـ " مشهد السيدة " يميل إليه الزائرون المحبون لأهل البيت (ع) .

وينقل العلامة العبيدلي بسند مرفوع (أي عدم ذكر رواة الحديث) عن رقية بنت عقبة بن رافع أنها قالت : كنت من المستقبلين للسيدة زينب (ع) في مصر ، واستقبلها أيضا مسلمة بن مخلد وعبد الله بن حارث وأبو عميرة المزني ، وجاءها مسلمة بن مخلد ليعزيها بمصابها في كربلاء ، فبكت زينب (ع) وبكى مسلمة وبكى الحاضرون لبكائهما ، ثم جعلت زينب (ع) تقول : " هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون " [2] ، ثم أنزلها مسلمة داره بالحمراء ، وبعد أحد عشر شهرا وخمسة عشر يوما توفيت زينب (ع) ، فصلى عليها مسلمة بن مخلد في جماعة معه في المسجد الجامع ، ثم أرجعها إلى الدار في الحمراء ، وحسب وصية زينب (ع) دفنت بجانب دار مسلمة [3] .

مرقد السيدة زينب (ع) في الشام

ولهذا القول ذهب جل المؤرخين وأغلب علماء الشيعة الإمامية [4] .

---

[1] ـ أخبار الزينبيات (للعبيدلي) : ص ١١٨ – ص ١١٩ ، السيدة زينب (الشرقاوي) : ص ٨٨ مع اختلاف في بعض الألفاظ

[2] ـ سورة يس : آية ٥٢

[3] ـ أخبار الزينبيات (للعبيدلي) : ص ١٢٠ – ص ١٢١

[4] وعلى سبيل المثال لا الحصر الشيخ حسن اليزدي الحائري في كتابه (أنوار الشهادة) ، والميرزا حسن خان المراغي في كتابه (الخيرات الحسان) والسيد جعفر بحر العلوم في كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية) والسيد حسن الصدر الكاظمي في كتابه (نزهة أهل الحرمين) والشيخ محمد حرز الدين النجفي في كتابه (معارف الرجال) والعلامة السيد عبدالحسين شرف الدين الموسوي في كتاب (عقيلة الوحي) والشيخ هاشم الخراساني في كتاب (منتخب التواريخ) والسيد عبدالجواد كليدار في كتاب (تاريخ كربلاء) السيد إبراهيم الموسوي الزنجاني في كتاب (عقائد الإمامية الإثنا عشرية) والسيد جواد شبر في كتاب (أدب الطف)

ينقل العلامة السيد جعفر بحر العلوم عن المحدث الخبير الميرزا حسين النوري (أستاذ المحدث الكبير الشيخ عباس القمي) : أنه لما أصابت المجاعة أهل المدينة جاءت مع زوجها عبد الله بن جعفر إلى الشام وأقاموا في قرية راوية بغوطة دمشق ليقوم عبد الله بن جعفر فيما كان له من القرى والمزارع خارج الشام حتى تنقضي المجاعة ، وبعد فترة من الزمان مرضت العقيلة زينب (ع) وتوفت على أثر مرضها ودفنت في تلك المزرعة التي كان يملكها زوجها وهي الآن مكان مرقدها المطهر المعروف في الشام .

والمحدث القمي ينقل عين الرواية عن أستاذه الميرزا حسين النوري [1] .

ومن جملة المؤيدين لهذا الرأي العلامة محمد حسين السابقي في كتابه (مرقد العقيلة زينب) ، وذلك بعد طرح الأدلة الجامعة والقاطعة بأن مرقد السيدة زينب (ع) المطهر في الشام .

نتيجة وتحليل

بعد البحث في الروايات والتنقيب في الآثار وتقصي الحقائق التاريخية يتضح لنا أن السيدة زينب (ع) لم تدفن في المدينة ولا في مصر ، وأما بيان ذلك :

١- الرد على القول بدفنها في المدينة :

أولا : أولئك الذين يذهبون بالقول أن المرقد الشريف للسيدة زينب (ع) في المدينة يستدلون بأنه قد ثبت دخولها إلى المدينة ولم يثبت بدليل قاطع خروجها ، فاستصحابا حكموا على أنها دفنت في المدينة [1] .

---

[1] - هدية الزائرين : ص ٣٥٣ ، مراقد أهل البيت في الشام (للسيد أحمد الفهري) : ص ٧٥ - ص ٧٦ ، الطراز المذهب (نقلا عن ناسخ التواريخ) : ج ٢ ص ٥٧٢

العالم المحقق المرحوم محمد جواد مغنية بعد التحقيق في هذا الأمر يقول :

" ومال إلى ذلك المرحوم السيد محسن الأمين في كتابه (أعيان الشيعة ج ٣٣) مستدلا بأنه قد ثبت دخولها إلى المدينة ولم يثبت خروجها ، فنُبقي ما كان على ما كان ، وكأنه عليه الرحمة يتمسك بالاستصحاب لإثبات دفنها في المدينة ، وبديهة أن الأخذ بالاستصحاب هنا لا يعتمد على أساس ، لأن موضوع الاستصحاب إن نعلم بوجود الشيء ثم نشك في ارتفاعه بحيث يكون المعلوم هو المشكوك بالذات ، كما لو فرضنا أن علمنا بدفن الجثمان الشريف في المدينة قطعا ، ثم شككنا بأنه هل نقل إلى بلد آخر أم بقي حيث كان !! فنستصحب ، ونبقي ما كان على ما كان لاتحاد الموضوع ، أما إذا علمنا بدخولها إلى المدينة ثم شككنا في محل قبرها فلا يمكن الاستصحاب بحال ، لأن الدخول إلى المدينة شيء والقبر شيء آخر ، وإثبات اللازم باستصحاب الملزوم باطل كما تقرر في علم الأصول "[2] .

ثانيا : لو كان قبر السيدة زينب (ع) في المدينة وهي عقيلة بني هاشم وكريمة بيت الوحي ، لبقي لها أثر ومزار كقبور المؤمنين والصالحين أمثال أم البنين (ع) وزوجات الرسول (ص) ، في حين أنه لا أثر لقبرها هناك وحتى قبل طمس قبور البقيع على يد الوهابيين .

ثالثا : هناك دلائل تاريخية تدل على خروجها (ع) من المدينة إلى الشام أو إلى مصر ، وعلى هذا لا يمكن الاكتفاء بدخولها المدينة دليلا على دفنها هناك .

رابعا : لو كان قبر السيدة الجليلة زينب الكبرى (ع) في المدينة المنورة ، فلِمَ لَمْ ترد روايات وأحاديث في عصر الأئمة المعصومين بشأن قبرها وزيارتها على الرغم من إقامتهم في مدينة رسول الله (ص) ؟!

---

[1] ـ مقتبس من أعيان الشيعة (الطبعة الجديدة) : ج ٢ ص ١٤٠ ـ ص ١٤١

[2] ـ الحسين وبطلة كربلاء (محمد جواد مغنية) : ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ (طبعة ١٩٧٣) ، وناقش هذا القول أيضا الباحث الباكستاني المحقق الشيخ محمد حسين السابقي في كتابه (مرقد العقيلة زينب (ع))

٢- الرد على القول بدفنها في مصر :

لم يصرح في أي من الكتب التاريخية عن وجود قبر السيدة زينب الكبرى (ع) بنت علي بن أبي طالب (ع) في مصر ، وما ذهب إليه العلامة العبيدلي بأن قبر السيدة زينب (ع) في مصر لقد أكد الباحث الشيخ محمد حسين السابقي في كتابه (مرقد العقيلة زينب (ع)) أن أكثر رواة العبيدلي مجهولون ليس لهم تراجم في كتب الرجال والتراجم والأنساب ، وربما يكون قد اشتبه عليه الأمر بسبب تعدد المسميات بزينب والمدفونات بمصر .

وهنا قد يتساءل البعض : إلى أي زينب إذاً يُنسب هذا المقام الشامخ المعروف بـ (مشهد السيدة زينب) في القاهرة ؟!

الظاهر أن المشهد الزينبي المعروف في القاهرة هو للسيدة زينب بنت يحيى المتوج بن الحسن الأنور بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) [1] التي دخلت مصر بصحبة عمتها نفيسة بنت حسن العلوي [2] عام ١٩٣ هـ ، وتوفتا هناك ودفنتا [3] .

وأول من دَوَّن تاريخ مصر في الإسلام هو عبدالرحمن بن عبد الحكم المصري (المتوفى عام ٢٥٧ هـ) له في تاريخ مصر كتاب حافل سماه (منهج السالك في أخبار مصر والقرى والممالك) ذكر فيه تراجم كثير من الصحابة ممن دخل مصر .

وتبعه أبو عمرو محمد بن يوسف الكندي (المتوفى عام ٣٥٤ هـ) ، ثم أبو محمد حسن بن إبراهيم الليثي المصري (المتوفى عام ٣٨٧ هـ) ، ومن بعده عز الملك محمد بن عبد الله بن أحمد الحراني المسبحي (المتوفى عام ٤٢٠ هـ) ، ثم المؤرخ المتتبع القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة الشافعي (المتوفى عام ٤٥٣ هـ) ، وغيرهم من المؤرخين الذين

---

[1] - مرقد العقيلة زينب (ع) (للشيخ محمد حسين السابقي) : ص ٥٩

[2] - نفيسة بنت حسن بن زيد بن الحسن المجتبى (ع)

[3] - بطلة كربلاء زينب الكبرى (ترجمة محمد جواد المرعشي) : ص ٩١

ترجموا أصحاب القبور وميزوا مزاراتهم إلا أن أحداً منهم لم يذكر أن السيدة زينب بنت علي (ع) مدفونة في مصر [1] .

ويجدر بالذكر هنا أن المؤرخ ابن زيات الأنصاري (المتوفى عام ٨١٤ هـ) كتب كتاباً قيماً حول المقابر المشهورة في مصر باسم (الكواكب السيارة) ، وذكر فيه كل المسميات بزينب والمدفونات بمصر ، ولم يكن فيه لزينب الكبرى بنت علي (ع) أي أثر ، والمسميات بزينب في هذا الكتاب هن كالتالي :

١- زينب بنت أبا جلي
٢- زينب بنت سنان
٣- زينب الكلثمية
٤- زينب بنت مهذب
٥- زينب بنت يونس
٦- زينب بنت شعيب
٧- زينب الفارسية
٨- زينب بنت هاشم
٩- زينب بنت يحيى المتوج
١٠- زينب بنت محمد بن علي بن علي .... بن الحسن المثنى
١١- زينب بنت أحمد بن جعفر بن محمد بن الحنفية

ويقيناً إذا كانت السيدة زينب الكبرى بنت علي (ع) قد دفنت بمصر لما غفل عن ذكرها المؤرخون ، بل لكان اسمها على رأس قائمة الأسماء المذكورة في كتب التاريخ [2] .

وقد ذكر الشيخ محمد حسين السابقي في كتابه (مرقد العقيلة زينب (ع)) أن جملة من قبور العلويين كتب على ألواحها أنهم أولاد علي (ع) ، على سبيل المثال كتبوا على قبر رقية بنت عبد الله بن أحمد بن الحسين " هذا ضريح السيدة رقية بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب " !! وكتبوا على قبر السيدة زينب بنت يحيى المتوج " مشهد السيدة الطاهرة

---

[1] – مرقد العقيلة زينب (للشيخ محمد حسين السابقي) : ص ٢٩ – ص ٣١

[2] – الشرح في كتاب مراقد أهل البيت (ع) في الشام (للسيد أحمد الفهري) : ص ٥٥ – ص ٦٣

بنت الزهراء البتول بنت علي بن أبي طالب " !![1] مما يوحي ولأول وهلة أنه قبر السيدة زينب الكبرى (ع) .

وعلى هذا وبعد المطالعة والتحقيق يمكن أن نستنتج من الأقوال السابقة أنه لما لم يثبت أن المرقد المطهر للعقيلة زينب (ع) في المدينة أو مصر ، فهذا في حد ذاته دليل على أن القول بأن مرقدها الشريف في الشام هو الأقرب إلى الصحة والصواب .

وهناك دلائل وقرائن أخرى تؤيد هذا القول .

دلائل وقرائن تثبت أن مرقد السيدة زينب (ع) في الشام

نذكر هنا بشيء من الاختصار بعض الدلائل التي تثبت أن المرقد المنور للسيدة زينب (ع) موجود في الشام :

١ – ذكر المحدثون والمؤرخون وأصحاب السير أن مرقد السيدة زينب (ع) ينحصر في إحدى الأماكن التالية : ١– المدينة ٢– مصر ٣– الشام ، وكما أشرنا سابقا أنه لما لم يكن هناك دليل قطعي بوجود قبر السيدة زينب (ع) في المدينة أو مصر ، على هذا ترجح كفة القول الثالث وهو أن مشهد زينب (ع) المقدس في الشام .

٢– المرقد المنسوب إلى السيدة زينب (ع) في الشام له تاريخ عريق وقديم يعود إلى القرن الثاني للهجرة ، وذلك أن السيدة نفيسة بنت حسن بن زيد بن الحسن المجتبى (ع) زوجة إسحق المؤتمن ابن الإمام الصادق (ع) جاءت لزيارة هذا المرقد آنذاك .

وقد زار هذا المشهد الرحالة أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير (المتوفى عام ٦١٤ هـ) كما زارها الرحالة أبو عبد الله المعروف بابن بطوطة (المتوفى عام ٧٧٠ هـ) وكذلك الباحث عثمان بن أحمد الحوراني (المتوفى عام ٩٧٠ هـ أو عام ١٠٠٣ هـ) صاحب كتاب

---

[1] – مرقد العقيلة زينب (ع) (للشيخ محمد حسين السابقي) ص ٢٠٣ – ص ٢٠٤

(الإشارات إلى أماكن الزيارات) ، وأجمعوا على هذا الرأي بأن : " من مشاهد أهل البيت مشهد أم كلثوم بنت علي ويقال لها زينب الصغرى وأم كلثوم كنية أوقعها عليها النبي (ص) لشبهها بابنته أم كلثوم ومشهدها براوية على مقدار فرسخ ومشينا إليه وتبركنا برؤيته "[1] .

ويذكر الشيخ السابقي نقلا عن السيد محمد صادق بحر العلوم النجفي (المتوفى عام ١٣٥٣هـ) أن المتولي لحرم السيدة زينب (ع) في الشام وهو السيد عباس مرتضى أخرج له حجرا من أحجار القبر محفور بهذه العبارة : " هذا قبر السيدة زينب المكناة بأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب " .

وقال العلامة السيد محسن الأمين العاملي : يوجد في قرية تسمى " راوية " على نحو فرسخ من دمشق إلى جهة الشرق قبر ومشهد يسمى " قبر الست " ووجد على هذا القبر صخرة رأيتها وقرأتها كتب عليها : " هذا قبر السيدة زينب المكنّاة بأم كلثوم بنت سيدنا علي (رضي الله عنه) " ، وليس فيها تاريخ وصورة خطها تدل على أنها كتبت بعد الستمائة من الهجرة[2] .

وينقل العالم الجليل السيد حسن حسون زيني حسين البراقي قائلا : في عام ١٣٠٢ هـ قال السيد سليم – وكان متوليا لقبر السيدة زينب (ع) – أنه حينما تهدمت القبة المنورة لمرقد السيدة زينب (ع) في ذلك العام (١٣٠٢ هـ) أمر والي دمشق وبمساعدة تجار البلدة بتعمير القبة تعميرا جذريا ، وفي أثناء العمل كشف عن رخامة كبيرة الحجم (بطول القامة) وقد

---

[1] – مرقد العقيلة زينب (ع) (للشيخ محمد حسين السابقي) : ص ١٠٩ – ص ١١٠

[2] – أعيان الشيعة (للسيد محسن الأمين) : ج ٢ ص ١٣٦

كتب عليها : " هذا قبر السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب بنت فاطمة الزهراء ، تُوُفّيت في هذا المكان وأقبرت في رجوعها الثاني "[1] .

تحليل وتحصيل

لمزيد من الإيضاح نلفت انتباه القارئ إلى المطالب التالية :

١- كما أشير سابقا وكرارا أن السيدة زينب الكبرى (ع) كانت مكناة بأم كلثوم ، كناها بها جدها رسول الله (ص) وذلك لشبهها بخالتها أم كلثوم .

٢- على هذا كان لأمير المؤمنين علي (ع) ابنتان من الصدّيقة الزهراء (ع) ، الأولى وهي زينب الكبرى (ع) المكناة بأم كلثوم ، والأخرى هي أم كلثوم الصغرى وتلقب أحيانا بزينب الصغرى (ع) .

وكما ورد سابقا أنه كتب مرة على صخرة القبر " هذا قبر السيدة زينب المكناة بأم كلثوم " ، ومرة أخرى لم يصرح بالكنية ، وهذا يقوي الدليل بالقول أن قبر السيدة زينب (ع) في الشام .

٣- ذكر في بعض الكتب مثل (بحر المصائب) و (نور الأبصار) و (لواقح الأنوار) و (الطراز المذهب) روايات متعددة وردت فيها رجوع زينب الكبرى (ع) إلى الشام [2] .

٤- ذكر المحدث والفقيه المشهور ابن عساكر (أبو القاسم علي بن حسن بن هبة الله الدمشقي الشافعي المتوفى عام ٥٧١ هـ) في كتابه (تاريخ دمشق) وبمناسبة وجود قبر عبد

---

[1] - مراقد المعارف : ج ١ ص ٣٣٢ ، نقلا عن العلامة السابقي ، ولمزيد من التحقيق يمكن مراجعة كتاب مرقد العقيلة زينب (ع) تأليف العلامة محمد حسين السابقي

[2] - الطراز المذهب : ج ٢ ص ٥٦٩ - ص ٥٧٠

الله بن جعفر في دمشق أن : في مقبرة باب الصغير في دمشق ، وبجانب قبر بلال الحبشي ، يوجد قبر معروف بأنه قبر عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، زوج زينب (ع) [1] .

وعلى فرض ثبوت هذا الأمر ، فهذا دليل آخر بأن السيدة زينب (ع) كانت في أواخر عمرها مقيمة في الشام ، لأنه يبعد أن يكون عبد الله بن جعفر قد قدم إلى الشام وترك زوجته زينب (ع) في المدينة .

٥- علاوة على الأمور الظاهرية التي طرحناها سابقا ، هناك أمور معنوية تدل على وجود قبر زينب (ع) الشريف في الشام ، مثل وجود محل دفن الرؤوس المقدسة لشهداء كربلاء منها رأس أبي الفضل العباس وعلي الأكبر والقاسم عليهم السلام (ستة عشر رأسا) ، وكذلك وجود المرقد المنور للسيدة رقية بنت الحسين (ع) ، و.... و.... ، مما دعا زينب (ع) للسفر إلى الشام لزيارة هذه الأماكن المقدسة .

تصريح صاحب الزمان (عج) بوجود قبر زينب (ع) في الشام

ومن الآثار العجيبة التي تدل على وجود قبر السيدة زينب (ع) في الشام هي القصة التي تبين تصريح صاحب الأمر (عج) بهذا الأمر والتي نقلت عن الكتب المعتبرة :

نقل الواعظ المشهور المرحوم الحاج محمد رضا سقا زاده في مقدمة كتاب الخصائص الزينبية عن لسان المرحوم آية الله العظمى الملا علي الهمداني (ره) والذي كان من الشخصيات العلمية والروحانية البارزة في مدينة همدان بإيران أن :

آية الله العظمى المرحوم آقا ضياء العراقي - من مفاخر [illegible] والمجتهدين ومن تلامذة الآخوند الخراساني البارزين وأستاذ كثير من المراجع والفقهاء في هذا العصر (المتوفى عام ١٣٦١ هـ) - يقول :

---

[1] - رياحين الشريعة : ج ٣ ص ٢٢٣ ، الكنى والألقاب : ج ١ ص ٣٥٥ - ص ٣٥٦

جاء رجل من القطيف وكان من شيعة أهل البيت (ع) إلى خراسان قاصداً زيارة الإمام الرضا (ع) ، وفي طريقه فَقَد كل أمواله وبقي في حيرة من أمره ، هنالك توسل بذيل عنايات صاحب الزمان (عج) - أرواحنا له الفداء - وأخذ يستغيث به ، وإذا هو برجل نوراني ذي هيبة أقبل إليه وأعطاه مبلغا من المال وقال له : هذا المبلغ من المال سيوصلك إلى سامراء ، وفي سامراء تذهب إلى وكيلنا الحاج الميرزا حسن الشيرازي (أي آية الله العظمى الميرزا محمد حسن الشيرازي صاحب تحريم التنباكو ، المتوفى في سامراء عام ١٣١٢ هـ ، ودفن في النجف الأشرف) ، وتقول له أن السيد مهدي يقول لك : لنا عندك بعض الحقوق من الأموال ، أعطني مبلغا من هذا المال أنفقه في سفري لزيارة جدي ثامن الحجج الإمام الرضا (ع) .

يقول هذا الرجل القطيفي : في تلك اللحظة لم أستوعب من هو ذلك السيد النوراني ومن أين أتاني !! فقلت له : إذا سألني آية الله الشيرازي من هو السيد مهدي ، فبماذا أجيبه ؟! وما هي العلامة التي يصدق بها كلامي ؟!

فقال السيد : قل للسيد الشيرازي أن السيد مهدي يقول لك في صيف هذا العام كنتَ والملا علي كني الطهراني في الشام ، وتشرفتما بزيارة حرم عمتي زينب الكبرى (ع) ، ونظرا للزحام الشديد من قِبَل "زائرين في تلك الأيام والذين كانوا يتركون القمامة في الحرم ، رميت عباءك جانبا وأخذت تكنس الحرم وتجمع القمامة في زاوية ، ثم أخذ الملا علي الكني الطهراني القمامة بيديه وأخرجها من الحرم الشريف ، وكنت واقفا أراهما !!

ثم يقول الرجل القطيفي : وما أن قلت ذلك الحديث لآية الله الميرزا الشيرازي فزع من مكانه وعانقني وقبّل عيناي وهنأني وأعطاني مبلغا من المال ثم سافرت إلى خراسان .

وبعد فترة من الزمان سافرت إلى طهران وذهبت إلى الملا علي الكني وحدثته بتلك الحكاية ، فصدّقني الحديث ولكن قلبه كان متألما ومتأثرا وذلك لأنه كان يرى في نفسه أن

الإمام المهدي (عج) لم يجده أهلا لإرسال تلك الرسالة إليه ولم ينل شرف تلك المنزلة العظيمة التي نالها الميرزا الشيرازي [1] .

بعض كرامات السيدة زينب الكبرى (ع)

إشارة

إن العلماء وأولياء الله والعارفين الكُمّلين لما أخلصوا بنيّاتهم كمال الإخلاص وسلكوا بأنفسهم مسالك اليقين تُوجت أرواحهم ! بألطاف إلهية رفيعة وفيوضات رحمانية وسيعة ، فكانت أنوارا تستضيء بها النفوس وتصفو لها القلوب وترنو إليها الأبصار ، وكانت سبل النجاة وأعلام الهداية .

وتشمل تلك الفيوضات أيضا الجوانب المادية (وهي مقدمة للجوانب المعنوية) ، وبفضل العنايات الخاصة على أثر الأدعية والأذكار تقضى حوائج السائلين وتستجاب دعوة المضطرين ويهلك بها الأعداء المعاندين ، وهذا ما يسمى للأنبياء بالمعجزة وللأولياء بالكرامة .

ونذكر فيما يلي بعض من فيض كرامات السيدة الجليلة والعالمة العقيلة زينب الكبرى (ع) :

١ - هلاك الرجل الشامي بدعوة زينب (ع) عليه

روي أنه حينما دعا يزيد بأهل البيت (ع) وأجلسوا بين يديه قام رجل شامي وكان من الوقاحة أن أشار إلى فاطمة بنت الحسين (ع) وقال ليزيد : يا أمير المؤمنين ، هب لي هذه

---

[1] - مراقد أهل البيت في الشام (للسيد أحمد الفهري) : ص ٧٤

الجارية ، فغضبت زينب (ع) وردت عليه وعلى يزيد بما يليق بهما ، ثم عاد الشامي بطلبه ثانية ، هنالك ردت عليه زينب (ع) قائلة : " اسْكُتْ يا لَكَعَ الرِجال ، قَطَعَ الله لِسانَك وأعْمَى عَينك وأيْبَس يَدَيك وجَعَل النار مَثْواك ، إنَّ أولادَ الأنبياء لا يكونون خَدَمَةً لأولادِ الأدْعِياء ".

يقول الراوي : فو الله ما استتم كلامها حتى أجاب الله دعاءها في ذلك الرجل .
ثم قالت زينب (ع) : " الحَمْدُ لله الذي عَجَّلَ لَكَ العُقوبةَ في الدُنْيا قَبْلَ الآخِرَة ، فَهَذا جَزاءُ مَنْ يَتَعَرَّضْ لِحَرَمِ رَسولِ الله صَلّى الله عليه وآلِه "[1] .

٢- صناع المعدن يفقدون رأس مالهم

لما سار جند ابن زياد بسبايا آل محمد (ص) من الكوفة إلى الشام مروا على جبل اسمه جوشن (جبل يطل على حلب) ، وكانت زوجة الحسين (ع) حاملا بولد اسمه محسن ، ونظرا لمشقة الطريق وشدة العطش أسقطت (وهناك مشهد يسمى بـ "مشهد السقط") .

يروى أن السيدة زينب (ع) رأت في ذلك الجبل معدن الصفر،ومنه يحمل النحاس وكان هناك صناع يشتغلون بهذا المعدن ، فذهبت إليهم وطلبت للعيال خبزا وماء وبعض الحوائج فشتموها وأهلها ومنعوها ، فتأثرت زينب (ع) كثيرا ودعت عليهم ومن ذلك اليوم فُقد ذلك المعدن ومن كان يعمل فيه لم يربح !!

وفي رواية أخرى قريبة المضمون من الرواية الأولى : كان هنالك جبل اسمه جبل حرّان وكان هنالك رجال يعملون في هذا الجبل منعوا أهل البيت (ع) الماء والخبز ودفعوهم بقسوة ، فدعت عليهم زينب الكبرى (ع) ونزلت عليهم صاعقة فأحرقتهم عن بكرة أبيهم [2] .

---

[1] – الطراز المذهب : ج ٢ ص ٣٧٧ ، الدمعة الساكبة : ج ٥ ص ١١٨ ، رياحين الشريعة : ج ٣ ص ١٦٩

[2] – رياحين الشريعة : ج ٣ ص ١٥١ – ص ١٥٢

٣- سقوط القصر وهلاك المرأة العجوز

في مسير أهل البيت (ع) من الكوفة إلى الشام وصلوا إلى منزل اسمه " قصر العجوز " نسبة إلى عجوز اسمها " أم حجام " وكانت تَكِنُّ لآل الرسول (ص) الحقد والعداوة .

وفي رواية أن تلك الملعونة لما رأت رأس الحسين (ع) وهو على رمح طويل وشيبته مخضوبة بالدماء قالت : لمن هذا الرأس المتقدم وما هذه الرؤوس التي خلفه ؟! فقالوا لها : هذا رأس الحسين (ع) وهذه رؤوس أصحابه ، ففرحت فرحا عظيما وقالت : ناولوني حجرا لأضرب به رأس الحسين ، فإن أباه قتل أبي وبَعلي ، فناولوها حجرا فضربت به وجه الحسين (ع) وقيل ضربت به ثنايا الحسين (ع) فأدمته وسال الدم على شيبته ، فالتفتت إليه زينب (ع) فرأت الدم سائلا على وجهه وشيبته ، فلطمت وجهها وشقت أزياقها ونادت : " وا غوثاه !! وا مصيبتاه !! وا محمداه !! وا علياه !! وا حسناه !! وا حسيناه !! " ، ثم غشي عليها فلما أفاقت قالت : من فعل هذا بأخي ونور عيني ؟! فقيل لها : هذه العجوز ، فقالت (ع) : " اللهم اهجم عليها قصرها وأحرقها بنار الدنيا قبل نار الآخرة " .

يقول الراوي : فو الله ما استتم كلامها إلا وسقط عليها وأضرمت النار فيها ، فماتت ومات من معها واحترقوا من ساعتهم [1] .

٤- دعاء زينب (ع) لأهل سيبور

يقول الراوي : لما وصل القوم بالسبايا والرؤوس إلى مدينة " سيبور " أغلق أهل البلد في وجوه القوم أبواب بلدهم وكان فيها شيخ كبير قد شهد عثمان بن عفان فجمع المشايخ والشبان وقال لهم : يا قوم إن الله تعالى كره الفتنة وقد مر هذا الرأس في جميع البلدان ولم

---

[1] – مقتبس من الطراز المذهب (نقلا عن ناسخ التواريخ) : ج ٢ ص ، معالي السبطين : ج ٢ ص ١٤٢

يعارضه أحد فدعوه يجوز في بلدكم ، فقال الشبان : و الله لا كان ذلك أبدا ، ثم عمدوا إلى القنطرة وقطعوها فخرجوا عليهم شاكين في السلاح ، فقال لهم خولي لعنه الله إليكم عنا ، فحملوا عليه وعلى أصحابه وقاتلوهم قتالا شديدا ، فقالت زينب (ع) : ما يقال لهذه المدينة ؟! فقالوا : سيبور ، فقالت : أعذب الله تعالى شرابهم وأرخص أسعارهم ورفع أيدي الظلمة عنهم .

فلو أن الدنيا مملوءة ظلما وجورا لما نالهم إلا قسطا وعدلا [1] .

٥- شفاء السيد السلطان آبادي من مرض في عينه

العلامة الشيخ ميرزا حسين النوري الطبرسي صاحب (مستدرك الوسائل) إمام أئمة الحديث والرجال في الأعصار المتأخرة ومن أعاظم علماء الشيعة ينقل عن السيد محمد باقر السلطان آبادي وهو من كبار العلماء حيث يقول :

كنت في مدينة بروجرد وابتليت بمرض شديد في عيني اليمنى ، وورمت عيني إلى درجة أني لم أتمكن من فتحها ، ومن شدة المرض لم أستطع النوم فراجعت الأطباء ولكنهم عجزوا عن معالجتي ، فمنهم من قال لي أن العلاج يطول ستة أشهر وبعضهم قال أن العلاج يطول أربعين يوما ، حزنت كثيرا .

وذات يوم جاءني أحد الأصدقاء وقال لي : أنا عازم على السفر إلى كربلاء لزيارة قبر أبي عبد الله الحسين (ع) ، تعال معي وتوسل بالإمام (ع) ليشفيك بإذن الله تعالى ، فقلت له : كيف أسافر وأنا على هذا الحال !! لابد أن أستشير الطبيب في ذلك .

يقول : ولما راجعت الطبيب منعني من السفر وقال لي : السفر ليس في صالحك وإذا سافرت ففي المنزل الثاني في طريق سفرك سوف تفقد بصرك !!

---

[1] – معالي السبطين : ج ٢ ص ١٣٢

فرجعت إلى البيت ، ثم عادني أحد أصدقائي وقال لي : إن مرضك هذا لن يشفيه إلا تربة كربلاء وتربة الشهداء وعيادة أولياء الله .

ثم أخذ صديقي يشرح لي حاله حينما كان يشتكي من اضطراب في قلبه قبل تسع سنين وبعد أن يئس الأطباء من شفائه لجأ إلى تربة الحسين (ع) فشفي .

توكلت على رب العالمين والتحقت بالحملة المتجهة إلى كربلاء ، ولما وصلت إلى المنزل الثاني اشتد المرض وعلى أثر ذلك انتقل الألم إلى عيني اليسرى ، فلامني من كان معي في السفر واقترحوا عليّ أن أرجع من حيث جئت .

كنت في حيرة من أمري ، حتى أقبل الليل ، وأثناء السحر خفّ الألم فغفوت غفوة ، فرأيت في عالم الرؤيا الصدّيقة الصغرى زينب الكبرى (ع) ، فتشرفت في محضرها ، ثم أخذت بطرف مقنعتها ومسحت بها عيني .

فزعت من نومي وإذا بعيناي قد شفيتا !!

ذهبت إلى أصدقائي ومن كان معي في السفر وقصصت عليهم الرؤيا ولما نظروا في عيني لم يجدوا أي أثر من المرض .

المحدث النوري ينقل رواية أخرى مشابهة في شفاء الملا فتحعلي سلطان آبادي وكان من الأوتاد وكبار العرفاء [1] .

٦- بركة اسم زينب (ع)

ويرى بعض العرفاء أن كل حرف من حروف اسم زينب (ع) له رمز ومعنى :

" ز " إشارة إلى أمها الزهراء (ع) ،

" ي " إشارة إلى والدها الإمام علي (ع) ،

" ن " إشارة إلى أخويها الحسن والحسين (عليهما السلام) ،

---

[1] - رياحين الشريعة : ج ٣ ص ١٦٣ - ص ١٦٤ نقلا عن دار السلام (الميرزا حسين النوري)

" ب " إشارة إلى كلمة النبي الأمي العربي ، جدها رسول الله (ص) [1] .

وعلى هذا تكون السيدة زينب (ع) عصارة الكمالات الروحانية والأنوار الإلهية للخمسة أصحاب الكساء عليهم صلوات الله وسلامه ، حتى لُقّبت بالصدّيقة الصغرى .

ولما كانت أسماء الخمسة الأطهار ذات آثار طيبة ، ومن حيث أن اسم زينب (ع) التي سميت به من قِبَل الله تبارك وتعالى وثبوته في اللوح المحفوظ كان مجمعا لتلك الأسماء الخمسة المباركة ، على هذا يكون لاسمها الشريف أثرا طيبا في استجابة الدعاء ونيل الكرامات .

من المشهور أن العالم الكبير آية الله العظمى الميرزا القمي (الميرزا أبو القاسم الكيلاني المعروف بالميرزا القمي صاحب كتاب قوانين الأصول ومن المراجع البارزين وصاحب كرامات ، متوفى عام ١٢٣١ هـ في قم المقدسة ، وقبره في مقبر ةشيخان ملجأ للملهوفين والمحتاجين) كان يرى في اسم زينب (ع) المقدس خصوصية ونورانية فكان يتوسل إلى الله عز وجل باسم زينب (ع) لاستجابة الدعاء [2] .

ومن وراء هذا الاعتقاد قصة حقيقية نلفت انتباهكم إليها :

العالم المحقق المرحوم حجة الإسلام السيد علي نقي فيض الإسلام مترجم كتاب نهج البلاغة وكذلك الصحيفة السجادية والقرآن الكريم (ولد عام ١٣٢٤ هـ في مدينة إصفهان وتوفي عام ١٤٠٥ هـ بعدما ناهز الواحد والثمانين من عمره) ، ومنَّ الله تبارك وتعالى بالبركة في عمره فألف وترجم كتبا كثيرة من جملتها كتاب (خاتون دوسرا) - بالفارسية - ترجمة كتاب (سيدتنا المعصومة زينب الكبرى (ع)) ، وذكر في مقدمة هذا الكتاب السبب الذي دعاه إلى تأليف هذا الكتاب وملخصه ما يلي :

---

[1] - الخصائص الزينبية (العلامة الجزائري) : ص ١٦٠

[2] - مقتبس من الخصائص الزينبية : ص ١٦٨

يقول : كنت مبتلى بمرض شديد عجز عن معالجته الأطباء ، واشتد علي المرض ، وطلباً للشفاء غادرت مع عائلتي إلى كربلاء ولكن لم أحصل على نتيجة ، فتوجهت إلى النجف الأشرف وتوسلت بذيل عنايات أمير المؤمنين علي (ع) ، ولكن لم يكن لشفائي أي أثر ، وذات يوم دعاني أحد الأصدقاء وجَمْع من العلماء إلى بيته ، ولما دخلنا بيته وجلسنا قال لي أحد العلماء : إن والدي كان يقول دائما إذا كانت لكم حاجة إلى الله سبحانه وتعالى فتوسلوا إليه باسم السيدة زينب الكبرى (ع) ثلاث مرات وتقضى حوائجكم بإذنه تعالى .

توسلت إلى الله عز وجل بمقام السيدة زينب (ع) ثلاث مرات وطلبت منه الشفاء ، وعلاوة على ذلك نذرت لله تعالى إذا منَّ علي بالشفاء أن أؤلف كتابا عن حياة السيدة زينب الكبرى (ع) ، وبحمد الله ومنّه وبعد فترة وجيزة شُفيت من دائي ووفيت بنذري وألفت هذا الكتاب (خاتون دوسرا) وهو ترجمة لكتاب (سيدتنا المعصومة زينب الكبرى (ع)) .

الخاتمة

ونعطر خاتمة الكتاب بذكر زيارة تلك النجمة المضيئة في سماء الرسالة المحمدية والولاية العلوية العقيلة الحوراء زينب الكبرى (ع) سائلين المولى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه أن يجعلنا من شيعتها ومحبيها وأن يرزقنا في الدنيا زيارتها وفي الآخرة شفاعتها والحشر في زمرتها مع آلها الأطهار والنجباء الأخيار :

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليك يا بنت خاتم النبيين وسيد المرسلين السلام عليك يا سلالة من لا تحصى فضائله ولا تستقصى مناقبه السلام عليك يا بنت المبعوث بالرسالة ومنقذ العباد من الجهالة وحيرة الضلالة والعظيم المظلل بالغمام والنور المقتدى به في الليالي والأيام حبيب إله العالمين سيدنا أبي القاسم محمد بن عبد الله ورحمة الله وبركاته السلام عليك يا ابنة سيد الأوصياء وركن الأولياء وعماد الأصفياء أمير المؤمنين ويعسوب المتقين وقدوة الصديقين وإمام الصالحين ورحمة الله وبركاته السلام عليك يا ابنة أفضل الأولياء وأول السابقين لدين الله وأوفاهم لرسول الله السلام عليك يا ابنة صاحب بيعة يوم الغدير والمشتق اسمه من اسم العلي القدير قالع البوابة وقاتل الكفرة وقاصم الفجرة والمحمود في الشدائد والمشهود بحقه في مختلف المشاهد ومن أخلص لله تعالى بقلبه ولسانه ونصر الحق بسيفه وسنانه السلام عليك يا سليلة السيد الأكبر والشافع بيوم المحشر والساقي محبيه من نهر الكوثر السلام عليك يا بنت حيدر الكرار وخليفة المختار وقسيم الجنة والنار

وصاحب الحوض وحامل اللواء في يوم الجزاء وإمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ورحمة الله وبركاته السلام عليك يا مهجة قلب البتول وقرة عين الرسول يا حبيبة خير خلق الله وربيبة بيت وحي الله وعقيلة الهاشميين الطاهرين والمعصومين وعمة الأئمة الميامين من آل طه وياسين ورحمة الله وبركاته السلام على من شرفت مكة ومنى وزمزم والصفا سلام على من جدها محمد المصطفى وأبوها علي المرتضى وأمها فاطمة الزهراء سيدة النساء السلام على ابنة الدلائل الواضحات والبراهين الساطعات والمعجزات الباهرات والبراهين الظاهرات السلام على المولودة في منزل الوحي والتنزيل ومهبط الوحي والهدى والموروثة عظيم الفضل والندى سلام على المثل الأعلى للمرأة المجاهدة الناصعة والحرة الأبية واللبوة الطالبية والمعجزة المحمدية والذخيرة الحيدرية والوديعة الفاطمية السلام على من أطاعت الله تعالى في السر والعلن وتحدت بمواقفها أهل النفاق والفتن السلام على من أرهبت الطغاة في خطاباتها وأدهشت العقول برباطة جأشها ومثلت أباها عليا بشجاعتها وأشبهت أمها الزهراء في عظمتها وبلاغتها السلام على المنسوبة لأسرة النبوة والإمامة والموسومة بسمات الشرف والمجد والكرامة السلام على من رضعت بلبان الإيمان وتربت بتلاوة القرآن فشاع فخرها بكل زمان ومكان ويتمجد باسمها لسان كل إنسان السلام على من حباها الجليل جل اسمه بالصفات الحميدة وزادها قوة وثباتا على الدين والعقيدة وشد الله عزمها في مواطن المحن الشديدة وألهمها جميل الصبر وأكرمها جزيل الأجر سلام على من أحيت لياليها بالتهجد والعبادة فنالت من الله أعلى درجات السعادة سلام على من أولاها الإمام زين العابدين عليه السلام بشهادته إذ قال مخاطبا لعمته " أنت عالمة غير معلمة وفهمة غير مفهمة " سلام على الأخت التي واست أخاها في محنته وشاركته في نهضته وتفانت بالإسلام وعزته سلام على من ساندت الحسين في جهاده ولم تضعف عزيمتها بعد استشهاده سلام على قلب زينب الصبور ولسانها الشكور سلام على من تظافرت عليها المصائب والكروب وكابدت من النوائب ما تذوب منها القلوب سلام على من تجرعت غصص الآلام والمآسي وما انطوى على

احتمالها الجبال الرواسي فأضحت لبلاياها قبلتها وللرزايا كعبتها سلام على من شاطرت أمها الزهراء في ضروب المحن والأرزاء ودارت عليها رحى الحوادث والبلاء يوم كربلاء سلام على من عجبت من صبرها ملائكة السماء سلام على من فجعت بجدها وأبيها وأمها وبنيها والخيرة من أهلها وذويها أبكي على زينب الكبرى وكرباتها أبكي على زينب الثكلى وغربتها أبكي على زينب حزناً لمحنتها أبكي على قلبها من بعد عزتها أبكي على المظلومة الغريبة أبكي على المحزونة الكئيبة أبكي على من دهمتها الدنيا بالمشاهد الرهيبة ولم تشبه مصيبتها مصيبة أبكي على من عاينت أشلاء الضحايا مجزرين على صعيد المنايا ورأت مصارع الشهداء من عشيرتها وإخوتها وبني عمومتها قد فرق السيف بين الرؤوس منهم والأبدان وحرارة الشمس قد غيرت منهم الألوان وبينهم ريحانة المصطفى سيد شباب أهل الجنة صريعاً على الرمضاء فأجهشت بالبكاء ونادت بهذا الدعاء: "إلهي تقبل منا هذا القربان" ثم انثنت شاكية وجدها إلى جدها وهي تقول: "يا محمداه هذا حسين بالعراء مرمل بالدماء مقطع الأعضاء وبناتك سبايا وذريتك مقتلة" أبكي على من أبكت كل عدو وصديق حتى جرت دموع الخيل على حوافرها أبكي على من أبعدها الزمان عن الأهل والأوطان وطافت بها الأعداء سبية في البلدان وساروا بها أسيرة من الكوفة إلى الشام بجمع من الأرامل والأيتام السلام على عزيزة الصديقة الزهراء وابنة خديجة الكبرى السلام على من أصبح حرمها موئل آمال الآملين وملتقى وفود الزائرين ويتمسك بضريحها جميع المحبين والمناجين ويؤم قبرها الخلائق في كل حين سلام على سيدتنا ومولاتنا زينب بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ورحمة الله وبركاته[1].

---

(1) ـ نقلاً من المنتخب الحسني : ص ٥٩٣

فهرس

الفصل الثالث: زينب عليها السلام بعد عاشوراء إلى وفاتها

الفصل الرابع: مرقد زينب الكبرى عليها السلام وبعض كراماتها

مؤلفات السيد الديباجي :

١ – العرفان (نهج خاص).
٢ – رسالة عقائدية (رد على كتاب الشيعة والتصحيح للدكتور الموسوي).
٣ – خطر الأفيون.
٤ – الحج أحكاماً وفلسفة ودعاء.
٥ – التوحيد، دراسة معاصرة، الحلقة الأولى من سلسلة دراسات في أصول الدين.
٦ – النبوة دراسة معاصرة، الحلقة الثانية من سلسلة دراسات في أصول الدين.
٧ – العدل دراسة معاصرة الحلقة الثالثة من سلسلة دراسات في أصول الدين.
٨ – أجود المناظرات، تحت إشراف المؤلف.
٩ – الإمام المهدي الحقيقة المنتظرة.
١٠ – تحقيق و إشراف خمسة مجلدات منتقى الدرر في سيرة المعصومين الأربعة عشر ـ خمسة أهل الكساء.
١١ – تحقيق و إشراف خمسة مجلدات منتقى الدرر في سيرة المعصومين الأربعة عشر من الإمام السجاد (ع) إلى الإمام الرضا (ع).
١٢ – تحقيق و إشراف أربعة مجلدات منتقى الدرر في سيرة المعصومين الأربعة عشر من الإمام الجواد (ع) إلى الإمام المهدي (ع).
١٣ – القصص الهادفة من سيرة المعصومين الأربعة عشر.
١٤ – تحقيق و إشراف القصص المثنوية.
١٥ – زينب بطلة الحرية.

مؤلفات في الطريق إليك :

١ – مبحث في أصل الإمامة.
٢ – مبحث في أصل المعاد.
٣ – دراسة في الفقه الإسلامي.
٤ – دراسة في علم التفسير.
٥ – دراسة في الفلسفة الإسلامية.
٦ – السنة النبوية المطهرة، دراسة وتحليل.
٧ – رسالة المرأة في القرن العشرين، دراسة معاصرة.
٨ – دراسة في الأخلاق.
٩ – حقوق الإنسان في الإسلام.
١٠ – الإمام الحسين (ع) رسالة الإنسانية، دراسة معاصرة.
١١ – من الجمعة إلى الجمعة، سلسلة محاضرات المؤلف التي ألقاها في مسجد الإمام زين العابدين (عليه السلام) من خلال خطب الجمعة.